

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World
زاد المسير في علم التفسير
تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ
المجلد العاشر
المؤمنون - النور - الفرقان - الشعراء
النمل - القصص - العنكبوت - الروم
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
زاد المسير في علم التفسير
أوقاف
AWQAF
يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

١٠

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م



الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com







زَادُ المَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ

تأليف

الإِمَامِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الجَوْزِيِّ

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد العاشر

المؤمنون - الرُّوم

تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ

مَجْمُوعَةِ بَاحِثِينَ

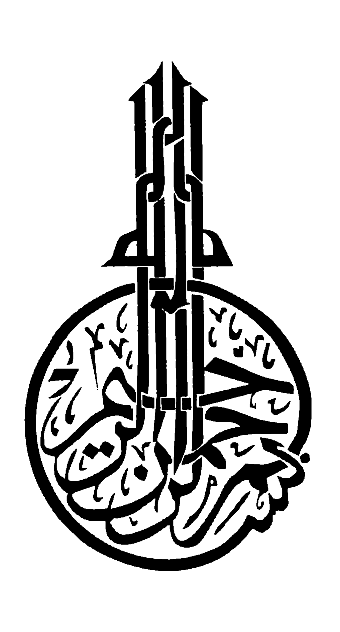
المكتب العلمي بالدار الشامية

وِزَارَةُ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ

إِدَارَةُ الشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر



سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾[المؤمنون: ١-١١].

سورة المؤمنين مكيَّةٌ في قول الجميع، روى عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ، مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشرِ آياتٍ، رواه الحاكمُ أبو عبد الله في صحيحه(١).

(١) رواه أحمد (١/ ٣٥٠)، وعبد بن حميد (١٥)، والنسائي في الكبرى (١٤٣٩)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٤٦٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٢) من طريق عبد الرزاق، عن يونس بن أسلم، عن يونس بن يزيد الأيلي، عن ابن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عبد القاريِّ، عن عمر، به.

قال النسائي: هذا حديث منكر، لا نعلم أحدًا رواه غير يونس بن سُليم، ويونس بن سُليم لا نعرفه.

وقال العقيلي: يونس بن سليم لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا - يعني: يونس بن سليم - فقال: أظنه لا شيء.



وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَاطَ حَائِطَ الْجَنَّةِ لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَغَرَسَ غَرْسَهَا بِيَدِهِ فَقَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَالَ لَهَا: طُوبَى لَكِ مَنْزِلِ الْمُلُوكِ**»[(١)].

قال الفرَّاءُ: ﴿قَدْ﴾ هاهنا يجوز أن تكون تأكيدًا لفلاح المؤمنين، ويجوز أن تكون تقريبًا للماضي من الحال، لأنَّ قد تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه، ألا تراهم يقولون: قد قامتِ الصلاةُ، قبل حال قيامها؛ فيكون معنى الآية: إنَّ الفلاح قد حصل لهم، وإنَّهم عليه في الحال.

وقرأ أُبي بنُ كعبٍ، وعكرمةُ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وطلحةُ بن مُصَرِّفٍ: «قَدْ أُفلِحَ» بضمِّ الألف وكسر اللامِ وفتحِ الحاءِ على ما لم يسمَّ فاعله[(٢)].

قال الزَّجَّاجُ: ومعنى الآية: قد نال المؤمنون البقاء الدائم في الخير، ومن قرأ: «قَدْ أُفلِحَ» بضمِّ الألف، كان معناه: قد أُصِيرُوا إلى الفلاحِ[(٣)]. [٥٧١/ب]

وأصل الخشوع في اللُّغة: الخضوعُ والتواضعُ.

---

(١) رواه البزار في مسنده كما في كشف الأستار (٣٥٠٧)، والطبراني في الأوسط (٣٧٠١) من طريق عدي بن الفضل، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد به بنحوه.
قال البزار: لا نعلم أحداً رفعه إلا عدي، وليس بالحافظ، وهو بصري متقدم الموت.

(٢) عن طلحة بن مصرف في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٩)، وفي البحر المحيط (٦/ ٣٩٥) عن عمرو بن عبيد.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥).

وفي المراد بالخشوع في الصلاة أربعةُ أقوال:

أحدها: أنَّه النظرُ الى موضعِ السُّجود.

روى أبو هريرةَ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ»، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ فنكس رأسه[1].

وإلى هذا المعنى ذهب مُسلمُ بنُ يسارٍ، وقتادةُ.

والثاني: أنَّه تركُ الالتفات في الصَّلاة، وأن تُلين كنفك للرَّجل المسلم، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ.

والثالث: أنَّه السكون في الصلاة، قاله مجاهدٌ، وإبراهيمُ، والزُّهريُّ.

والرابع: أنَّه الخوفُ، قاله الحسنُ.

وفي المراد باللَّغو هاهنا خمسة أقوالٍ:

أحدها: الشِّرك، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: الباطل، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: المعاصي، قاله الحسنُ.

والرابع: الكذب، قاله السُّدِّيُّ.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٦)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٤/ ٣٧٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣١٣) من طريق إسماعيل بن علية، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، به، بنحوه. وصحَّحه الحاكم، وتعقَّبه الذهبي فقال: الصحيح مرسل.

وقال البيهقيُّ: ورواه حمَّاد بن زيد، عن أيُّوبَ مرسلًا، وهذا هو المحفوظ.

والخامس: الشتمُ والأذى الذي كانوا يسمعونه من الكفَّار، قاله مقاتلٌ[١].

قال الزَّجَّاجُ: واللَّغو: كلُّ لعبٍ ولهوٍ، وكلُّ معصيةٍ فهي مطَّرحة مُلغاة[٢].

فالمعنى شغلهم الجِدُّ فيما أمرهم الله به عن اللَّغو.

قوله تعالى: ﴿لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ أي: مؤدُّون، فعبَّر عن التأدية بالفعل، لأنَّه فعلٌ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾.

قال الفَرَّاءُ: «على» بمعنى «مِنْ».

وقال الزَّجَّاجُ: المعنى؛ أنهم يُلامون في إطلاق ما حُظر عليهم وأُمروا بحفظه، ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ فإنَّهم لا يُلامون[٣].

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ﴾ أي: طلبَ ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: سوى الأزواج والمملوكات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ يعني: الجائرين الظالمين، لأنَّهم قد تجاوزوا إلى ما لا يحلُّ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: «لِأَمَانَتِهِم» وهو اسمُ جنسٍ[٤]، والمعنى: للأمانات التي ائتمنوا عليها، فتارة تكون الأمانةُ بين العبدِ وبين ربِّه، وتارة تكون بينه وبين جنسه، فعليه مراعاة الكل، وكذلك العهد،

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٥٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الحجة (٥/ ٢٨٧)، والتيسير (ص:١٥٨)، والتحصيل (٤/ ٤٨٣).

ومعنـى ﴿رَٰعُونَ﴾: حافظـون.

قـال الزَّجَّـاجُ: وأصـل الرَّعـي في اللُّغـة: القيـامُ عـلى إصـلاح مـا يتـولَّاه الراعـي مـن كلِّ شيءٍ[١].

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر: ﴿صَلَوَٰتِهِمْ﴾ على الجمع.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «صَلَاتِهِمْ» على التوحيد، وهو اسم جنسٍ[٢].

والمحافظة على الصلوات: أداؤها في أوقاتها.

قولـه تعـالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ ذكـر السُّـدِّيُّ عـن أشـياخه أنَّ الله تعـالى يرفـع للكفَّـار الجنَّـة، فينظـرون إلى بيوتهـم فيهـا لـو أنَّهـم أطاعـوا، ثـمَّ تقسـم بـين المؤمنـين فيرثونهـم، فذلـك قولـه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾[٣].

وقـد شرحنـا هـذا في الأعـراف[٤] عنـد قولـه: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾، وشرحنـا معنـى الفـردوس في الكهـف[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧).

(٢) السبعة (ص:٤٤٤)، والحجة (٥/ ٢٨٧)، والمبسوط (١/ ٣١١).

(٣) ذُكر نحو كلام السُّدِّي من قول أبي هريرةَ. انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ١٥).

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٤٣).

(٥) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (١٠٧).

قولـه تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنـون: ١٢-١٦].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّه آدمُ عليه السلام، وإنَّما قيل: من ﴿ سُلَٰلَةٍ ﴾؛ لأنَّه استلَّ من كلِّ الأرض، هذا مذهبُ سلمانَ الفارسي، وابنِ عبَّاسٍ في روايةٍ، وقتادةَ.

والثاني: أنَّه ابنُ آدمَ.

[٥٧٢/أ] والسلالة: النُّطفة استلَّت من الطِّين، والطينُ: آدمُ عليه السلام، قاله أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

قال الزَّجَّاج: والسلالة فُعَالة، وهي القليل ممَّا ينسلُّ، وكل مبنيٍّ على فعالة يراد به القليل، من ذلك: الفُضَالة، والنُّخَالة، والقُلَامة[1].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ ﴾ يعني: ابن آدم ﴿ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ ﴾ وهو الرَّحم ﴿ مَّكِينٍ ﴾ أي: حريز، قد هيئ لاستقراره فيه.

وقد شرحنا في سورة الحجِّ معنى النطفة، والعلقة، والمضغة[2].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٨).

(٢) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٥).

قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ﴾ على الجمع.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «عظمًا فَكَسَوْنَا العَظْمَ» على التوحيد[1].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ وهذه الحالةُ السابعةُ.

قال عليٌّ عليه السلام: لَا تكون مَوْءُودَةً حتى تمرَّ على التَّارَات السَّبْعِ[2].

وفي محلِّ هذا الإنشاء قولان:

أحدهما: أنَّه بطن الأمِّ.

ثمَّ في صفة الإنشاء قولان:

أحدهما: أنَّه نفخ الروح فيه، رواه عطاءٌ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال أبو العالية، والشعبيُّ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، والضَّحاكُ في آخرين.

والثاني: أنَّه جعله ذكرًا أو أنثى، قاله الحسنُ.

---

(١) السبعة (ص:٤٤٤)، والحجَّة (٥/ ٢٨٨)، والمبسوط (١/ ٣١١).

(٢) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ١٧٤)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف (٢/ ٨٧٧) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن معمر بن أبي حُيَيَّة عن عبيد بن رفاعة عن أبيه، قال: جلس إلى عُمَر بن الخطاب، علي، والزبير، وسعد، في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكروا العزل فقالوا: لا بأس به، فقال رجل: إنَّهم يزعمون أنَّها الموءودة الصغرى؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه: لا تكون مَوْءُودَةً حتى تمر على التارات السبع تكون سلالة من طين، ثم تكون نطفة، ثم تكون عَلَقَة، ثم تكون مضغة، ثم تكون لحمًا، ثم خلقًا آخر. فقال: عُمَر رضي الله عنه: صدقت، أطال الله بقاءك.

والقول الثاني: أنَّه بعد خروجه من بطن أمِّه.

ثمَّ في صفة هذا الإنشاء أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ ابتداء ذلك الإنشاء أنَّه استهل، ثم دل على الثدي، وعلم كيف يبسط رجليه الى أن قعد، إلى أن قام على رجليه، إلى أن مشى، إلى أن فطم، إلى أن بلغ الحلم، إلى أن تقلَّب في البلاد، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه استواء الشباب، قاله ابنُ عمر، ومجاهدٌ.

والثالث: أنَّه خروج الأسنان والشعر، قاله الضَّحاكُ، فقيل له: أليس يولد وعلى رأسه الشعر؟ فقال: وأين العانة والإبط؟

والرابع: أنَّه إعطاءُ العقل والفهم، حكاه الثعلبيُّ[1].

قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: استحقَّ التعظيمُ والثناءُ.

وقد شرحنا معنى تبارك في الأعراف[2].

﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أي: المصوِّرين والمقدرين، والخلق في اللُّغة: التقدير.

وجاء في الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآية وعنده عمرُ، إلى قوله تعالى: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، فقال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ خُتِمَتْ بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ»[3].

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٤٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٥٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور(٦/ ٩٢) عن صالح أبي الخليل، به. =

فإن قيل: كيف الجمعُ بين قوله: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

فالجواب: أنَّ الخلقَ يكون بمعنى الإيجاد، ولا موجد سوى الله، ويكون بمعنى التقدير، كقول زهير: [من الكامل](١)

.... وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

فهذا المراد هاهنا، أن بني آدم قد يصوِّرون ويقدِّرون ويصنعون الشيء، فالله خير المصوِّرين والمقدِّرين.

وقال الأخفشُ: الخالقون هاهنا هم الصانعون، فالله خير الخالقين(٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد ما ذكر من تمام الخلق ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ عند انقضاء آجالكم.

وقرأ أبو رَزِينٍ العُقيليُّ، وعكرمةُ، وابنُ أبي عبلةَ: «لَمَائِتُونَ» بألفٍ(٣).

=ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في إتحاف المهرة (٦/ ٢٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦٩)، والطبراني في الأوسط (٤٦٥٧) من طريق جابر الجعفي، عن الشعبي، عن زيد بن ثابت قال: فذكره... وفيه معاذ بن جبل بدلًا من عمر.

(١) في ديوانه (ص: ٩٤)، ولسان العرب (١٠/ ٨٧ـ ١٥/ ١٥٣)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢١٤)، والمخصص (٤/ ١١١)، وصدره: «وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ».

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٥٤).

(٣) عن عيسى بن عمر في مختصر ابن خالويه (ص:٩٩)، وفي البحر المحيط (٧/ ٥٥٢) عن زيد بن علي، وابن أبي عبلة، وابن محيصن.

[٥٧٢/ب] قال الفَرَّاء: والعرب تقول لمن لم يمت: إنَّك مائت عن قليلٍ، وميت، ولا يقولون للميت الذي قد مات: هذا مائت، إنَّما يقال في الاستقبال فقط، وكذلك يقال: هذا سيد قومه اليوم، فإذا أخبرت أنَّه يسودهم عن قليل؛ قلت: هذا سائد قومه عن قليل، وكذلك هذا شريف القوم، وهذا شارف عن قليل، وهذا الباب كله في العربيَّة على ما وصفت لك[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[المؤمنون: ١٧-٢٠].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ يعني: السموات السبع.

قال الزَّجَّاج: كلُّ واحدة طريقة[٢].

وقال ابنُ قتيبةَ: إنَّما سمِّيت طَرَائِق بالتَّطَارق، لأنَّ بعضها فوق بعضٍ، يقال: طارقت الشيء: إذا جعلت بَعْضَه فوق بعضٍ[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٣٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٩٦).

أحدهـا: مـا غفلنـا عنهـم إذ بنينـا فوقهـم سـماءً أطلعنـا فيهـا الشـمس والقمـر والكواكـب.

والثاني: ما كنَّا تاركين لهم بغيرِ رزقٍ، فأنزلنا المطر.

والثالث: لم نغفل عن حفظهم من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ يعلمه الله.

وقال مُقاتلٌ: بقدر ما يكفيهم للمعيشة[١].

قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً﴾ هي معطوفةٌ على قوله: ﴿جَنَّٰتٍ﴾.

وقرأ أبو مجلزٍ، وابنُ يعمر، وإبراهيمُ النَّخعي: «وَشَجَرَةٌ» بالرفع[٢].

والمراد بهذه الشجرة: شجرة الزيتون.

فإن قيل: لماذا خصَّ هذه الشجرة من بين الشجر؟

فالجواب من أربعة أوجهٍ:

أحدهـا: لكثـرة انتفاعهـم بهـا، فذكَّرهـم مـن نعمـه مـا يعرفـون، وكذلـك خـصَّ النخيـل والأعنـاب في الآيـة الأولى، لأنَّهـما كانـا جـل ثـمار الحجـاز ومـا والاهـا، وكانـت النخيـل لأهـل المدينـة، والأعنـاب لأهـل الطائـف.

والثـاني: لأنَّهـم لا يـكادون يتعاهدونهـا بالسـقي، وهـي تخـرج الثمـرة التـي يكـون منهـا الدهـن.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٥٣).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٩٩) عن نافع، وعاصم.

والثالث: أنَّها تنبت بالماء الذي هو ضد النَّار، وفي ثمرتها حياة للنار ومادةٌ لها.

والرابع: لأنَّ أوَّل زيتونة نبتت بذلك المكان فيما زعم مقاتل[١].

قوله تعالى: ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «طُورِ سِيْنَاءَ» مكسورة السين.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، مفتوحة السين، وكلهم مدَّها[٢].

قال الفَرَّاءُ: العرب تقول: سَيْنَاء، بفتح السين في جميع اللُّغات، إلَّا بني كنانة، فإنَّهم يكسرون السين[٣].

قال أبو عليٍّ: ولا تنصرف هذه الكلمة، لأنَّها جعلت اسمًا لبقعة أو أرض، وكذلك سينين، ولو جعلت اسمًا للمكان أو للمنزل أو نحو ذلك من الأسماء المذكرة لصرفت، لأنَّك كنت قد سميت مذكرًا بمذكَّر[٤].

والطور: الجبل.

وفي معنى سَيْنَاء خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه بمعنى الحسن، رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٥٤).

(٢) السبعة (ص: ٤٤٤ـ ٤٤٥)، والحجة (٥/ ٢٨٩)، والمبسوط (١/ ٣١١).

(٣) لغات القرآن (ص: ١٠٢).

(٤) الحجة (٥/ ٢٨٩).

وقال الضَّحاكُ: الطور: الجبل بالسريانية، وسَيْنَاء: الحسن بالنبطية.

وقال عطاء: يريد الجبل الحسن.

والثاني: أنَّه المبارك، رواه العوفي، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّه اسم حجارة بعينها، أضيف الجبل إليها لوجودها عنده، قاله مجاهد. [٥٧٣/أ]

والرابع: أنَّ طور سَيْنَاء: الجبل المشجر، قاله ابنُ السائب.

والخامس: أن سَيْنَاء: اسم المكان الذي به هذا الجبل، قاله الزَّجَّاج[١].

قال الواحديُّ: وهو أصحُّ الأقوال[٢].

قال ابنُ زيدٍ: وهذا هو الجبل الذي نودي منه موسى، وهو بين مصر وأيلة[٣].

قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «تُنبِت» برفع التاء وكسر الباء.

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: بفتح التَّاءِ وضمِّ الباء[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠).

(٢) الوسيط (٣/ ٢٨٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠).

(٤) السبعة (ص:٤٤٥)، والحجة (٥/ ٢٩١)، والتيسير (ص:١٩٥).

قال الفَرَّاءُ: وهما لغتان: نبتت، وأنبتت[١].

وكذلك قال الزَّجَّاج: يقال: نبت الشجر وأنبت في معنى واحد[٢].

قال زهير [من الطويل][٣]:

رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ

قال: ومعنى ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾: تنبت ومعها دهنٌ، كما تقول: جاءني زيد بالسيف، أي: جاءني ومعه السيف.

وقال أبو عبيدةَ: معنى الآية: تنبت الدهن، والباء زائدةٌ،[٤] كقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾ [الحج: ٢٥] وقد بيَّنا هذا المعنى هناك.

قوله تعالى: ﴿وَصِبۡغٖ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ يعمر، وإبراهيمُ النخعي، والأعمشُ: «وصِبْغًا» بالنصب[٥].

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «وَصِبَاغٍ» بألفٍ مع الخفضِ[٦].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٣٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠).

(٣) في ديوانه (ص: ١١١)، وجمهرة اللغة (ص: ٢٥٧)، ولسان العرب (٢/ ٥٦)، والمحتسب (١/ ١٠٢)، وخزانة الأدب (١/ ٥٠)، ومغني اللبيب (١/ ١٠٢).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٥٦).

(٥) عن الأعمش في مختصر ابن خالويه (ص:٩٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٥٥).

(٦) عن عامر بن عبد الله في مختصر ابن خالويه (ص:٩٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٥٥).

قال ابنُ قتيبةَ: الصبغ مثل الصباغ، كما يقال: دِبْغٌ ودِباغ، ولِبْسٌ ولِباس.

قال المفسِّرونَ: والمراد بالصبغ هاهنا: الزيت لأنَّه يلون الخبز إذا غُمس فيه، والمراد أنَّه إدامٌ يصبغ به.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾[المؤمنون: ٢١-٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم﴾.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «نَسْقِيكُم» بفتح النُّون.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: بضمِّها[1].

وقد شرحنا هذا في النَّحل[2] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ يعني: في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من لحومها، وأولادها والكسب عليها.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعني الإبل خاصَّة ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ فالإبل تحمل في البَرِّ، والسُّفنُ تحمل في البحر.

---

(١) السبعة (ص:٤٤٥)، والحجة (٥/ ٢٩٢)، والتيسير (ص: ١٥٩).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٦٦).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٨) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤)﴾ [المؤمنون: ٢٣-٤٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ قال المفسِّرون: هذا تعزيةٌ لرسول الله ﷺ بذكر هذا الرسول الصابر ليتأسَّى به في صبرِه، وليعلم أنَّ الرسل قبله قد كذَّبوا.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يعلوكم بالفضيلة، فيصير متبوعًا، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يعبد شيءٌ سواه ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ تبلغ عنه أمره، لم يرسل بشرًا ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي يدعونا إليه نوح من التوحيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

فأمَّا الجنَّة فمعناها: الجنون.

وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ **قولان**:

أحدهما: أنَّه الموت، فتقديره: انتظروا موته.

والثاني: أنَّه وقتٌ منكرٌ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾.

وقرأ عكرمةُ، وابنُ مُحيصنٍ: «قال ربُّ» بضمِّ الباء[1]، وفي القصَّة الأخرى [المؤمنون: ٣٩].

---

(١) عن أبان بن تغلب، وابن محيصن، وأبي جعفر المدني، وإسماعيل، عن ابن كثير في مختصر ابن خالويه (ص:١٠١)، وفي التحصيل (٤/ ٤٨٤) عن ابن محيصن، ورواية عن ابن كثير.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

وقرأ يعقوبُ: «كذبوني» بياء، وفي القصة التي تليها أيضًا: «فاتقوني» [المؤمنون: ٥٢] «أن يحضروني» [المؤمنون: ٩٨] «ربِّ ارجعوني» [المؤمنون:٩٩] «ولا تكلموني» [المؤمنون: ١٠٨]، أثبتهن في الحالين يعقوبُ، والمعنى: انصرني بتكذيبهم، أي: انصرني بإهلاكهم جزاءً لهم بتكذيبهم.

[٥٧٣/ب] ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ قد شرحناه في هود[1] إلى قوله: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أدخل في سفينتك ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: من «كُلِّ» بكسر اللام من غير تنوين.

وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتَّنوين[2].

قال أبو عليٍّ: قراءة الجمهور إضافة كل إلى زوجين، وقراءة حفصٍ تؤول إلى زوجين، لأنَّ المعنى: من كلِّ الأزواج زوجين[3].

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿مُنزَلًا﴾ بضمِّ الميمِ.

---

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٣٧).

(٢) السبعة (ص:٤٤٥)، والحجة (٥/ ٢٩٤)، والمبسوط (١/ ٢٣٧).

(٣) الحجة (٥/ ٢٩٤).

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: فتحها[1].

والمَنزِلُ، بفتح الميم: اسمٌ لكلِّ ما نزلت به، والمُنزل، بضمِّها: المصدر بمعنى الإنزال؛ تقول أنزلته إنزالًا ومنزلًا.

وفي الوقت الذي قال فيه نوح ذاك قولان:

أحدهما: عند نزوله في السفينة.

والثاني: عند نزوله من السفينة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في قصَّة نوح وقومه ﴿لَآيَٰتٖ وَإِن كُنَّا﴾ أي: وما كنَّا ﴿لَمُبۡتَلِينَ﴾ أي: لمختبرين إيَّاهم بإرسال نوح إليهم.

﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ يعني: عادًا ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ وهو هود، هذا قول الأكثرين.

وقال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: هم ثمود، والرسول صالح.

وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: موضع ﴿أَنَّكُمۡ﴾ نصب على معنى: أيعدكم أنَّكم مخرجون إذا متم، فلما طال الكلام أعيد ذكر أنَّ كقوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣][2].

---

(١) السبعة (ص:٤٤٥)، والحجة (٥/ ٢٩٣)، والتيسير (ص:١٥٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٤).

قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بفتح التَّاءِ فيهما في الوصل، وإسكانها في الوقف[1].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وهارونُ، عن أبي عمرٍو: «هيهاتًا هيهاتًا» بالنَّصبِ والتَّنوينِ[2].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وأبو حيوةَ الحضرميُّ، وابنُ السَّمَيْفَع: «هَيْهَاتٌ هَيْهَاتٌ» بالرَّفعِ والتَّنوينِ[3].

وقرأ أبو العاليةَ، وقتادةُ: «هَيْهَاتٍ هَيْهَاتٍ» بالخفض والتنوين[4].

وقرأ أبو جعفرٍ: «هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ» بالخفض من غير تنوين، وكان يقف بالهاء[5].

وقرأ أبو المتوكِّلِ النَّاجيُّ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعكرمةُ: «هيهاتُ هيهاتُ» بالرفع من غير تنوين.

---

(١) المبسوط (ص: ٣١٢).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٩)، وانظر: المحرر (٤/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٧/ ٥٦٢).

(٣) المحتسب (٢/ ٩٠)، والتحصيل (٤/ ٤٨٤) عن أبي حيوة.

(٤) المحتسب (٢/ ٩٠)، والتحصيل (٤/ ٤٨٤) عن عيسى بن عمر الثقفي، وزاد في المحرر (٤/ ١٤٣) أبا حيوة.

(٥) المحتسب (٢/ ٩٠)، والتحصيل (٤/ ٤٨٤)، والمحرر (٤/ ١٤٣) عن أبي جعفر.

وقرأ معاذٌ القارئ، وابنُ يعمر، وأبو رجاءٍ، وخارجةُ عن أبي عمرٍو: «هَيْهَاتْ هَيْهَاتْ» بإسكان التاء فيهما[١].

وفي «هيهات» عشر لغات قد ذكرنا منها سبعة عن القرَّاء، والثامنة: «إيهات»، والتاسعة: «إيهان» بالنون، والعاشرة: «إيها» بغير نون، ذكرهن ابنُ القاسم[٢].

وأنشد الأحوصُ في الجمع بين لغتين منهن[٣] [من الطويل]:

تَذكَّرُ أَيَّاماً مَضَيْنَ مِنَ الصِّبَا وهَيْهاتِ هَيْهاتاً إليكَ رُجُوعُها

قال الزَّجَّاجُ: فأمَّا الفتح، فالوقف فيه بالهاء، تقول: هيهاه إذا فتحت ووقفت بعد الفتح، فإذا كسرت ووقفت على التاء كنت ممن ينون في [٥٧٤/أ] الوصل، أو كنت ممن لا ينون[٤].

وتأويل هيهات: البعد لما توعدون، وإذا قلت: هيهات ما قلت، فمعناه: بعيد ما قلت.

وإذا قلت: هيهات لما قلت، فمعناه: البعد لما قلت.

---

(١) المحتسب (٢/ ٩٠)، والمحرر (٤/ ١٤٣) عن عيسى الهمداني، وأبي عمرو.

(٢) انظر: المذكر والمؤنث (١/ ١٨٦).

(٣) عن الأحوص في المذكر والمؤنث (١/ ١٨٧)، وإيضاح الوقف والابتداء (١/ ٢٩٩)، ولسان العرب (١٣/ ٥٥٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢).

ويقال: أيهات في معنى هيهات، وأنشدوا[١] [من الطويل]:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌّ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهْ

قال أبو عمرو بنُ العلاء: إذا وقفت على هيهات فقل: هيهاه[٢].

وقال الفَرَّاءُ: الكسائيُّ يختار الوقف بالهاء، وأنا أختار التاء[٣].

قوله تعالى: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾.

قرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «ما توعدون» بغير لامٍ[٤].

قال المفسِّرون: استبعد القوم بعثهم بعد الموتِ إغفالًا منهم للتفكُّر في بدو أمرهم وقدرة الله على إيجادهم، وأرادوا بهذا الاستبعاد أنَّه لا يكون أبدًا، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يعنون: ما الحياة إلَّا ما نحن فيه، و ليس بعد الموت حياة.

فإن قيل: كيف قالوا: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ وهم لا يقرُّون بالبعث؟

فعنه ثلاثة أجوبةٍ ذكرها الزَّجَّاجُ:

أحدها: نموت ويحيا أولادنا، فكأنَّهم قالوا: يموت قومٌ ويحيا قومٌ.

والثاني: نحيا ونموت، لأنَّ الواو للجمعِ، لا للترتيب.

(١) البيت لجرير في ديوانه (ص: ٩٦٥)، ولسان العرب (١٣/ ٥٥٣)، والخصائص (٣/ ٤٢)، وشرح المفصل (٤/ ٣٥)، والأشباه والنظائر (٨/ ١٣٣)، والعين (١/ ٦٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٣٥).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٣٦).

(٤) عن ابن أبي عبلة في المحرر (٤/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٧/ ٥٦٢).

والثالث: ابتداؤنا موات في أصل الخلقة، ثم نحيا، ثم نموت[١].

قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعنون الرَّسولَ.

وقد سبق تفسير ما بعد هذا[٢] إلى قوله: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: معناه: عن قليلٍ، وما زائدةٌ بمعنى التوكيد[٣].

قوله تعالى: ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَدِمِينَ ﴾ أي: على كفرهم، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: باستحقاقهم العذاب بكفرهم.

قال المفسِّرون: صاح بهم جبريلُ صيحةً رجفت لها الأرضُ من تحتهم، فصاروا لشدتها غثاء.

قال أبو عُبيدةَ: الغثاء ما أشبه الزبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به في شيءٍ[٤].

وقال ابنُ قتيبةَ: المعنى: فجعلناهم هلكى كالغثاء، وهو ما علَا السَّيْل من الزَّبَد والقَمْش، لأنَّه يذهب ويتفرَّق[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٣٤).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧)، وتفسير سورة النحل الآية رقم (٣٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٥٨).

(٥) غريب القرآن (ص:٢٩٧).

وقال الزَّجَّاج: الغثاء: الهالك والبالي من ورق الشجر الذي إذا جرى السيل رأيته مخالطًا زبده(١).

وما بعد هذا قد سبق شرحه(٢) إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: «تترى كلما» منونة والوقف بالألف.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: بلا تنوينٍ، والوقف عند نافعٍ، وابنُ عامرٍ بألف.

وروى هبيرةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ، أنَّه يقف بالياءِ.

قال أبو عليٍّ: يعني بقوله: يقف بالياءِ، أي: بألفٍ ممالة(٣).

قال الفَرَّاءُ: أكثر العرب على تركِ التَّنوينِ، ومنهم من نوَّن(٤).

قال ابنُ قتيبةَ: والمعنى: تَتَابع بِفَتْرَةٍ بين كل رسولين، وهو من التَّوَاتُر، والأصل: وَتْرَى، فقلبت الواو تاءً كما قلبوها في التَّقْوى، والتُّخمة(٥).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣).

(٢) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٥).

(٣) السبعة (ص:٤٤٦)، والحجة (٥/ ٢٩٥)، والتيسير (ص:١٥٩).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٣٦).

(٥) غريب القرآن (ص:٢٩٧).

وحكى الزَّجَّاجُ عن الأصمعيِّ أنَّه قال: معنى واترت الخبر: أتبعت بعضه بعضًا، وبين الخبرين هنيَّة[١]. [٥٧٤/ ب]

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللُّغوي قال: ومما تضعه العامَّة غير موضعه قولهم: تواترت كتبي إليك، يعنون: اتَّصلت من غير انقطاعٍ، فيضعون التواتر في موضع الاتِّصال، وذلك غلطٌ إنَّما التواتر مجيء الشيء ثمَّ انقطاعه ثمَّ مجيئه، وهو التفاعل من الوتر، وهو الفردُ، يقال: واترت الخبر، أتبعت بعضه بعضًا، وبين الخبرين هنيهة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أصلها وترى من المواترة، فأبدلت التاءُ من الواو، ومعناه: منقطعة متفاوتة، لأنَّ بين كلِّ نبيين دهرًا طويلاً.

وقال أبو هريرةَ: لا بأس بقضاءِ رمضانَ تترى، أي: منقطعًا. فإذا قيل: واتر فلانٌ كتبه، فالمعنى: تابعها، وبين كلِّ كتابين فترة[٢].

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: أهلكنا الأمم بعضهم في إثر بعضٍ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾.

قال أبو عبيدةُ: أي: يتمثَّل بهم في الشرِّ؛ ولا يقال في الخير: جعلته حديثًا[٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤).

(٢) التكملة والذيل (ص:٨٤٧).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٥٩).

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المؤمنون: ٤٥-٤٨].

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: عن الإيمان بالله وعبادته ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: قاهرين للنَّاس بالبغي والتطاول عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ أي: مطيعون.

قال أبو عبيدةُ: كل من دان للملكِ فهو عابدٌ له[1].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٤٩-٥٠].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: التوراة، أُعطيها جملة واحدة بعد غرق فرعونَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعني: بني إسرائيل، والمعنى: لكي يهتدوا.

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «آيتين» على التثنية، وهذا كقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾ [الأنبياء: ٩١] وقد سبق شرحه[2].

قوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾ أي: جعلناهما يأويان ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: «رُبوة» بضمِّ الراء.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٩١).

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ: بفتحها[١].

وقد شرحنا معنى الربوة في البقرة[٢].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: مستويةٌ يستقرُّ عليها ساكنوها، والمعنى: ذات موضع قرار.

وقال الزَّجَّاجُ: أي: ذات مستقر ﴿وَمَعِينٍ﴾ وهو الماء الجاري من العيون[٣].

وقال ابنُ قتيبةَ: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: يستقرُّ بها للعمارة، ﴿وَمَعِينٍ﴾ هو الماء الظاهر، ويقال: هو مفعولٌ من العين، كأنَّ أصلَه مَعْيُون، كما يقال: ثوب مَخِيط، وبُرٌّ مَكِيل[٤].

واختلف المفسِّرون في موضع هذه الرَّبوة الموصوفة على أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها دمشقُ، رواه عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عبدُ الله بن سلام، وسعيدُ بن المسيِّب.

والثاني: أنَّها بيت المقدس، رواه عطاء عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ، وعن الحسن كالقولين.

والثالث: أنَّها الرملة من أرض فلسطين، قاله أبو هريرةَ.

والرابع: مصرُ، قاله وهب بن منبِّه، وابنُ زيدٍ، وابنُ السائب.

---

(١) السبعة (ص: ٤٤٦)، والحجة (٥/ ٢٩٦)، والمبسوط (١/ ١٥١).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٦٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥).

(٤) غريب القرآن (ص:٢٩٧).

فأمَّا السبب الذي لأجله أويا إلى الرَّبوة، فقال أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاس: فرَّت مريم بابنها عيسى من ملكهم، ثمَّ رجعت إلى أهلها بعد اثنتي عشرة سنة[١].

قال وهبُ بنُ مُنبِّهٍ: وكان الملك أراد قتل عيسى[٢].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[المؤمنون: ٥١- ٥٦].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾.

[٥٧٥/أ] قال ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، ومجاهدٌ، وقتادةُ في آخرين: يعني بالرسل هنا محمَّدًا ﷺ وحده، وهو مذهبُ العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجميع، ويتضمَّن هذا أنَّ الرسل جميعًا كذا أمروا، وإلى هذا المعنى ذهب ابنُ قتيبةَ، والزَّجَّاجُ[٣].

والمراد بالطيِّبات: الحلال.

قال عمرو بنُ شرحبيل: كان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمِّه[٤].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: الكشف والبيان (٣/ ٧٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٩٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤٤).

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «وأَنَّ» بالفتح وتشديد النون.

وافق ابنُ عامرٍ في فتح الألفِ، لكنَّه سكَّن النَّون.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿ وَإِنَّ ﴾ بكسر الألف وتشديد النون[1].

قال الفرَّاءُ: من فتح، عطف على قوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾، و﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ ﴾، فموضعها خفض لأنَّها مردودةٌ على ما؛ وإن شئت كانت منصوبة بفعلٍ مضمر، كأنَّك قلت: واعلموا هذا؛ ومن كسر استأنف[2].

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: وأمَّا ابنُ عامرٍ، فإنَّه خفَّف النَّونَ المشدَّدة، وإذا خفَّفت تعلَّق بها ما يتعلَّق بالمشدَّدة[3].

وقد شرحنا معنى الآية والتي بعدها في الأنبياء[4] إلى قوله: ﴿زُبُرٗا ﴾.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو عِمرانَ الجَونيُّ: «زُبَرًا» برفع الزاي وفتح الباء[5].

وقرأ أبو الجوزاء، وابن السَّمَيْفَع: «زُبْرًا» برفع الزاي وإسكان الباء[6].

---

(١) السبعة (ص:٤٤٦)، والحجة (٥/ ٢٩٦)، والتيسير (ص:١٥٩).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٣٧).

(٣) الحجة (٥/ ٢٩٦).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٩٢).

(٥) عن الأعمش، وأبي عمرو في التحصيل (٤/ ٥٠٠)، والمحرر (٤/ ١٤٧).

(٦) عبد الوهاب، عن أبي عمرو، في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠١)، وفي الكامل (ص: ٦٠٦) اللؤلؤي عن أَبِي عَمْرٍو، والخفاف عنه.

قال الزَّجَّاج: من قرأ «زُبُرًا» بضمِّ الباء، فتأويله: جعلوا دينهم كتبًا مختلفة، جمع زبور، ومن قرأ «زُبَرًا» بفتح الباء، أراد قطعًا[(١)].

قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: بما عندهم من الدين الذي ابتدعوه معجبون، يرون أنَّهم على الحقِّ.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم أهل الكتاب، قاله مجاهدٌ.

والثاني: أنَّهم أهل الكتاب ومشركو العرب، قاله ابنُ السائب.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾[(٢)].

قال الزَّجَّاجُ: في عمايتهم وحيرتهم، ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى حين يأتيهم ما وعدوا به من العذابِ[(٣)].

قال مقاتلٌ: يعني كفَّار مكةَ[(٤)].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦).

(٢) وجاء في المطبوع بعد ذكر الآية هذه القراءة بهذه العبارة: «وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب: «فِي غَمَرَاتِهِمْ» على الجمع»، وليست في النسخ التي بين أيدينا، وهي بلا نسبة في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي المحرر (٤/ ١٤٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٥٦٧) عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبا حيوة.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٥٩).

فصل

وهل هذه الآية منسوخةٌ، أم لا؟ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها منسوخةٌ بآية السيفِ.

والثاني: أنَّ معناها التهديد، فهي محكمةٌ.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾.

وقرأ عكرمةُ، وأبو الجوزاءِ: «يُمِدُّهم» بالياء المرفوعة وكسر الميم(١).

وقرأ أبو عِمرانَ الجَونيُّ: «نَمُدُّهم» بنونٍ مفتوحةٍ ورفع الميم(٢).

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أيحسبون أنَّ الذي نمدهم به ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ مجازاة لهم؟ إنَّما هو استدراجٌ، ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: نسارع لهم به في الخيرات(٣).

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ، وأيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ: «يُسَارِعُ» بياءٍ مرفوعةٍ وكسر الراء(٤).

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو المتوكِّلِ مثله، إلَّا أنَّهما فتحا الرَّاء(٥).

---

(١) رواية عن ابن كثير في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٠)، والبحر المحيط (٧/ ٥٦٧).

(٢) لم أقف عليها في المصادر.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٠)، والمحرر (٤/ ١٤٧) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، وفي التحصيل (٤/ ٥٠٠) عن أبي عبد الرحمن السلمي.

(٥) في المحرر (٤/ ١٤٧)، والبحر المحيط (٧/ ٥٦٨) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة.



وقرأ أبو عِمرانَ الجَونيُّ، وعاصمٌ الجَحْدَريُّ، وابنُ السَّمَيْفَع: «يُسْرَع» بياءٍ مرفوعةٍ وسكون السين ونصب الراء من غير ألف[1].

قوله تعالى: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنَّ ذلك استدراجٌ لهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧- ٦١].

ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ وقد شرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[2] [الأنبياء: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾.

[٥٧٥/ب] وقرأ عاصمٌ الجَحْدريُّ: «يَأْتُون مَا أَتَوا» بقصر همزة «أتوا»[3].

وسألت عائشة رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقالت: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهُمُ الَّذِينَ يُذْنِبُونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ؟ فقال: «لَا، بَلْ هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ، وَيَصُومُونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ»[4].

---

(١) بلا نسبة في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي التحصيل (٤/ ٥٠٠)، والمحرر (٤/ ١٤٧)، والبحر المحيط (٧/ ٥٦٨) عن الحر النحوي.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٢٨).

(٣) عن النبي ﷺ، وعائشة في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٠)، وفي التحصيل (٤/ ٥٠١) عن عائشة، وابن عباس، والنخعي.

(٤) رواه الحميدي (٢٧٥)، وأحمد (٦/ ١٥٩)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨) وغيرهم بألفاظ متقاربة.

قال الزَّجَّاجُ: فمعنى ﴿يُؤْتُونَ﴾: يعطون ما أعطوا وهم يخافون أن لا يتقبل منهم، ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ أي: لأنَّهم يوقنون أنَّهم يرجعون[١].

ومعنى يأتون: يعملون الخيرات وقلوبهم خائفةٌ أن يكونوا مع اجتهادهم مقصِّرين، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

وقرأ أبو المتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «يُسْرِعُون» برفع الياءِ وإسكان السينِ وكسر الرَّاءِ من غير ألفٍ[٢].

قال الزَّجَّاجُ: يقال: أسرعت وسارعت في معنى واحد، إلَّا أن سارعت أبلغ من أسرعت، ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ أي: من أجلها، وهذا كما تقول: أنا أكرم فلانًا لك، أي: من أجلك[٣].

وقال بعض أهل العلم: الوجل المذكور هاهنا واقع على مضمر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون: ٦٢-٦٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧).

(٢) عن الحر النحوي في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧).



قولـه تعـالى: ﴿وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ﴾ يعنـي: اللُّـوح المحفـوظُ ﴿يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ قـد أثبـت فيـه أعـمال الخلـق، فهـو ينطـقُ بـما يعملـون ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي: لا ينقصـون مـن ثـوابِ أعمالهـم. ثـمَّ عـاد إلى الكفَّـارِ، فقـال: ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾.

قال مقاتلٌ: في غفلةٍ عن الإيمانِ بالقرآنِ[١].

وقال ابنُ جريرٍ: في عمى عن هذا القرآنِ[٢].

قـال الزَّجَّـاجُ: يجـوز أن يكـون إشـارةً إلى مـا وصـف مـن أعـمال الـبرِّ في قولـه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ فيكـون المعنـى: بـل قلـوبٌ هـؤلاء في عماية مـن هـذا، ويجـوز أن يكـون إشـارةً إلى الكتـاب، فيكـون المعنـى: بـل قلوبهـم في غمـرةٍ مـن الكتـاب الـذي ينطـق بالحـقِّ وأعمالهـم محصـاةٌ فيـه[٣].

فخرج في المشار إليه بـ﴿هَٰذَا﴾ **ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: القرآنُ.

والثاني: أعمال البرِّ.

والثالث: اللُّوح المحفوظُ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٦٠).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٧٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أعمالٌ سيئةٌ دون الشركِ، رواه عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: خطايا سيئةٌ من دون ذلك الحقِّ، قاله مجاهدٌ.

وقال ابنُ جرير: من دون أعمال المؤمنين وأهل التقوى والخشية(١).

والثالث: أعمالٌ غير الأعمال التي ذكروا بها سيعملونها، قاله الزَّجَّاجُ(٢).

والرابع: أعمالٌ من قبل الحين الذي قدَّر الله تعالى أنَّه يعذِّبهم عند مجيئه من المعاصي، قاله أبو سليمان الدمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ إخبارٌ بما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي كتبت عليهم لا بدَّ لهم من عملها.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ أي: أغنياءهم ورؤساءهم، والإشارة إلى قريش.

وفي المراد بالعذاب قولان:

أحدهما: ضربُ السيوف يوم بدر، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، والضَّحاكُ.

والثاني: الجوع الذي عُذِّبوا به سبع سنين، قاله ابنُ السائب.

و﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ بمعنى: يصيحون. ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: لا تستغيثوا من العذاب ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا تمنعون من عذابنا ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٧٤).

[٥٧٦/أ] ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ أي: ترجعون وتتأخَّرون عن الإيمانِ بها.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ منصوبٌ على الحال. وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ الكناية عن البيت الحرامِ، وهي كنايةٌ عن غير مذكور؛ والمعنى: إنَّكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت والحرم، لأمنكم فيه مع خوف سائر النَّاس في مواطنهم. تقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف أحدًا، ونحن أهل بيت الله وولاته، هذا مذهبُ ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه.

قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أن تكون الهاءُ في ﴿بِهِۦ﴾ للكتاب، فيكون المعنى: تحدث لكم تلاوتُه عليكم استكبارًا[١].

قوله تعالى: ﴿سَٰمِرًا﴾.

قال أبو عُبيدةَ: معناه: تهجرون سمارًا، والسامر بمعنى السمار، بمنزلة طفلٍ في موضعِ أطفال، وهو من سمر اللَّيل[٢].

وقال ابنُ قتيبةَ: ﴿سَٰمِرًا﴾ أي: متحدِّثين ليلًا، والسَّمَرُ حديث اللَّيلِ[٣].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو العالية، وابنُ مُحيصنٍ: «سُمَّرًا» بضمِّ السين وتشديد الميم وفتحها، جمع سامر[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧ ـ ١٨).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٦٠).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٩٨).

(٤) عن ابن محيصن في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي التحصيل (٤/ ٥٠١) عن=

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رجاءٍ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «سُمَّارًا» برفع السين وتشديد الميم وألف بعدها[١].

قوله تعالى: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾ بفتح التَّاءِ وضمِّ الجيمِ[٢].

وفي معناها أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: تهجرونَ ذكرَ الله والحقِّ، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: تهجرونَ كتابَ الله تعالى ونبيِّه ﷺ، قالَه الحسنُ.

والثالث: تهجرونَ البيتَ، قالَه أبو صالحٍ.

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ: كانت قريش تسمر حولَ البيتِ، وتفتخرُ به ولا تطوفُ به[٣].

والرابع: تقولون هُجْرًا من القولِ، وهو اللَّغو والهذيانُ، قالَه ابنُ قتيبةَ[٤].

=ابن مسعود، وابن عباس، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٥٧٢) عكرمة، وأبا حيوة، والزعفراني، ومحبوب، عن أبي عمرو.

(١) ابن عباس، وأبو رجاء، وأبو نهيك في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي التحصيل (٤/ ٥٠١)، والمحرر (٤/ ١٥٠) عن أبي رجاء، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٥٧٢) زيد بن علي.

(٢) السبعة (ص: ٤٤٦)، وقرأ نافع وحده «تُهْجِرون» بضمِّ التاء وكسر الجيم.

(٣) رواه سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم في تفسيرهما، كما في الدرِّ المنثور (٦/ ١٠٩).

(٤) غريب القرآن (ص:٢٩٩).



قال الفَرَّاءُ: يقال: قد هجر الرجلُ في منامِه: إذا هذى، والمعنى: إنَّكم تقولون في رسولِ الله ﷺ ما ليس فيه وما لا يضرُّه[1].

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ، وابنُ مُحيصنٍ، ونافعٌ: «تُهجِرون» بضمِّ التاء وكسرِ الجيم[2].

قال ابنُ قتيبةَ: وهذا من الهجر، وهو السبُّ والإفحاشُ من المنطق، يريدُ سبَّهم للنبيِّ ﷺ ومن اتَّبعه[3].

وقرأ أبو العاليةُ، وعكرمةُ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وأبو نَهيكٍ: «تُهَجِّرون» بتشديد الجيمِ ورفعِ التَّاءِ[4].

قال ابنُ الأنباريِّ: ومعناها معنى قراءة ابن عبَّاسٍ.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾[المؤمنون: ٦٨-٧٠].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ يعني: القرآن فيعرفوا ما فيه من الدلالاتِ والعبرِ على صدقِ رسولهم ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المعنى: أليسَ قد أرسل الأنبياء إلى أممهم كما أُرسِل محمَّدٌ ﷺ؟

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٣٩).

(٢) السبعة (ص:٤٤٦)، والتيسير (ص:١٥٩).

(٣) غريب القرآن (ص:٢٩٩).

(٤) عكرمة في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٥٧٣) ابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن علي، وأبا نهيك، وابن محيصن، وأبا حيوة.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ هذا توبيخٌ لهم، لأنَّهم عرفوا نسبه وصدقه وأمانته صغيرًا وكبيرًا ثمَّ أعرضوا عنه.

«الجِنَّة»: الجنونُ، ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ يعني القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧١-٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في المرادِ بالحقِّ قولان:

أحدُهما: أنَّه الله ﷻ، قاله مجاهدٌ، وابنُ جريجٍ، والسُّدِّيُّ في آخرين.

والثاني: أنَّه القرآنُ، ذكرهُ الفرَّاءُ، والزَّجَّاجُ(١).

فعلى القول الأوَّل يكون المعنى: لو جعل الله لنفسِهِ شريكًا كما يحبُّون، وعلى الثاني: لو نزلَ القرآنُ بما تحبون من جعل شريكٍ لله [٥٧٦/ب] ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: بما فيه شرفُهم وفخرُهم، وهو القرآنُ ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: قد تولَّوا عمَّا جاءهم من شرفِ الدُّنيا والآخرةِ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٣٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٩).



وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو رجاءٍ، وأبو الجوزاءِ: «بل أتيناهم بذكراهم فهم عن ذكراهم مُعرضون» بألفٍ فيهما[١].

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ عمّا جئتهم به ﴿خَرْجًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ: ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألفٍ ﴿فَخَرَاجُ﴾ بألفٍ.

وقرأ ابنُ عامر: ﴿خَرْجًا﴾ «فخرج» بغير ألفٍ في الحرفين.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «خراجًا» بألفٍ «فخراج» بألفٍ في الحرفين[٢].

ومعنى ﴿خَرْجًا﴾: أجرًا ومالًا ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أي: فما يعطيك ربُّك من أجرِه وثوابِه ﴿خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ﴾ أي: أفضلُ من أعطى؛ وهذا على سبيل التَّنبيه لهم أنَّه لم يسألْهم أجرًا، لا أنَّه قد سألهم، والناكبُ: العادلُ؛ يقال: نكبَ عن الطَّريق، أي: عدلَ عنهُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾[المؤمنون: ٧٤-٧٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠) عن عيسى، وعمر، عن أبي عمرٍو، وفي البحر المحيط (٧/ ٥٧٥) عن عيسى.

(٢) السبعة (ص:٤٤٧).

قال ابنُ عبَّاسٍ: الضرُّ هاهنا: الجوعُ الذي نزل بأهلِ مكَّةَ حين دعا عليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى قُرَيشٍ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ**»، فجاء أبو سفيانَ إلى رسولِ الله ﷺ فشكا إليه الضر، وأنَّهم قد أكلوا القَدَّ والعظامَ، فنزلت هذه الآيةُ والتي بعدها[١]، وهو العذابُ المذكورُ في قولِه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: أنَّه يومُ بدرٍ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه الجوعُ الذي أصابهم، قاله مقاتلٌ[٢].

والثالث: بابٌ من عذابِ جهنَّمَ في الآخرةِ، حكاه الماورديُّ[٣].

قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلميُّ، وأبو المتوكِّلِ، وأبو نَهيكٍ، ومعاذٌ القارئ: «مُبْلَسُونَ» بفتحِ اللَّامِ[٤]، وقد شرحنا معنى المبلس في الأنعام[٥].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (١١٢٨٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٣)، والطبراني في الكبير (١٢٠٣٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٨) وصحَّحه، ووافقه الذهبي، بلفظ: «جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْشُدُكَ اللهَ وَالرَّحِمَ قَدْ أَكَلْنَا الْعِلْهِزَ يَعْنِي الْوَبَرَ وَالدَّمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ».

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٦٣).

(٣) النكت والعيون (٤/ ٦٤).

(٤) الظامي في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي البحر المحيط (٧/ ٥٧٧) عن السلمي.

(٥) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٤٥).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: ٧٨-٨٥].

قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ قال المفسِّرونَ: يريد أنَّهم لا يشكرون أصلاً.

قوله تعالى: ﴿ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم من الأرضِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: هو الذي جعلهما مختلفين يتعاقبانِ ويختلفانِ في السوادِ والبياضِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما ترون من صنعه؟ وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قولِه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: قُل لأهلِ مكَّةَ المكذِّبين بالبعث: لمن الأرضُ ﴿وَمَن فِيهَآ﴾ من الخلقِ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بحالها، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.

قرأ أبو عمرٍو: «لله» بغير ألفٍ هاهنا، وفي اللذين بعدها بألفٍ.

وقرأ الباقون: «لله» في المواضع الثلاثةِ[1]، وقراءةُ أبي عمرٍو على القياس.

قال الزَّجَّاج: ومن قرأ: «سيقولون الله» فهو جوابُ السؤال، ومن قرأ: «لله» فجيدٌ أيضًا لأنَّك إذا قلت: من صاحب هذه الدارُ؟ فقيل:

---

(١) السبعة (ص:٤٤٧).

لزيد، جاز، لأنَّ معنى من صاحب هذه الدار؟ لمن هي[١].

وقال أبو عليٍّ الفارسيِّ: مَن قرأ: «لله» في الموضعين الآخرين، فقد أجاب على المعنى دون ما يقتضيه اللَّفظُ[٢].

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو المتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ: «سيقولون الله الله الله» بألفٍ فيهنَّ كلهن. [٥٧٧/أ]

قال أبو عليٍّ الأهوازيُّ: وهو في مصاحفِ أهل البصرةِ بألفٍ فيهنَّ[٣].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أنَّ من قدر على خلق ذلك ابتداءً، أقدر على إحياءِ الأمواتِ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٩].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: تتَّقون عبادةَ غيرِه.

والثاني: تخشون عذابَه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٠).

(٢) الحجة (٥/ ٣٠٠).

(٣) نظر: معاني القرآن (٢/ ٢٤٠).

فأمَّا الملكوتُ، فقد شرحناه في الأنعام[١].

قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: يمنعُ من السوءِ من شاءَ، ولا يُمنع منه من أراده بسوءٍ، يقال: أجرت فلانًا: أي: حميته، وأجرت عليه: أي: حميت عنه.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: أنَّى تُخْدَعون وتُصْرَفون عن هذا[٢].

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩٠-٩٢].

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: بالتوحيدِ والقرآنِ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يضيفونَ إلى الله من الولدِ والشريكِ؛ ثمَّ نفاهما عنه بما بعد هذا إلى قولِهِ: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: لانفردَ بخلقِهِ ولم يرضَ أن يضاف خلقُه وإنعامُه إلى غيرِه، ولمنعُ الإلهُ الآخرَ عن الاستيلاءِ على ما خلقَ ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: غلبَ بعضُهم بعضًا.

قوله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٧٥).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٩٩).

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿عَالِمِ﴾ بالخفضِ.

وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «عَالِمُ» بالرَّفعِ[1].

قال الأخفشُ: الجرُّ أجودُ، ليكون الكلامُ من وجهٍ واحدٍ، والرفعُ على أن يكونَ خبر ابتداء محذوف، ويقوِّيه أنَّ الكلامَ الأوَّل قد انقطع[2].

قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾[المؤمنون: ٩٣-٩٨].

قوله تعالى: ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي﴾.

وقرأ أبو عِمرانَ الجَونيُّ، والضَّحاكُ: «تُرِئَنِّي» بالهمز بين الرَّاء والنون من غيرِ ياءٍ[3].

والمعنى: إن أريتني ما يوعدونَ من القتلِ والعذابِ، فاجعلني خارجًا عنهم ولا تهلكني بهلاكهم؛ فأراهُ الله تعالى ما وعدهم ببدرٍ وغيرِها، ونجَّاه ومَن معهُ.

---

(١) السبعة (ص:٤٤٧)، والتيسير (ص: ١٦٠).

(٢) الكلام للفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٤١).

(٣) بلا نسبة في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٠)، وفي البحر المحيط (٧/ ٥٨٢) عن الضحاك، وأبي عمران الجوني.

قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: ادفع إساءةَ المسيءِ بالصَّفح، قاله الحسنُ.

والثاني: ادفع الفحشَ بالسلامِ، قاله عطاء، والضَّحاكُ.

والثالث: ادفع الشِّركَ بالتوحيدِ، قاله ابنُ السائبِ.

والرابع: ادفع المنكرَ بالموعظةِ، حكاه الماورديُّ[1].

وذكر بعضُ المفسِّرين أنَّ هذا منسوخٌ بآية السيفِ.

قولُه تعالى: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: بما يقولون من الشركِ والتكذيبِ؛ والمعنى إنَّا نجازيهم على ذلك.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾ أي: ألجأ وامتنعُ ﴿بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: هو نَخْسُها وطَعْنُها، ومنه قيل للعائبِ: هُمَزَةٌ، كأنَّه يطعن ويَنْخَس إذا عابَ[2].

وقال ابنُ فارسٍ: الهمزُ كالعَصرِ، يقال: هَمَزتُ الشَّيءَ في كَفٍّ، ومنه الهَمزُ في الكلامِ، لأنَّه كأنَّه يَضغطُ الحرفَ[3].

وقال غيره: الهمزُ في اللُّغة: الدفعُ، وهمزات الشياطين: دفعهم بالإغواءِ إلى المعاصي.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٦٦).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٠٠).

(٣) مقاييس اللغة (٦/ ٦٦).

قولـه تعـالى: ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ أي: أن يشـهدونَ؛ والمعنـى: أن يصيبـوني بسـوءٍ، لأنَّ الشـيطانَ لا يحضرُ ابـن آدم إلَّا بسـوءٍ.

ثـمَّ أخـبر أنَّ هـؤلاء الكفَّـارِ المنكريـنَ للبعـثِ يسـألونَ الرَّجعـةَ إلى الدُّنيـا عنـد المـوت بالآيـة التـي تـلي هـذه، وقيـل: هـذا السـؤالُ منهـم للملائكـة [٥٧٧/ ب] الذيـن يقبضـون أرواحهـم.

فإن قيل: كيف قال: «ارجعون» وهو يريد: ارجعني؟

فالجـواب: أنَّ هـذا اللَّفـظ تعرفـه العـرب للعظيـم الشـأن، وذلـك أنَّـه يخبر عـن نفسـه فيـه بـما تخـبر بـه الجماعـةُ، كقولـه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ [ق: ٤٣] فجـاء خطابُـه كإخبـارِه عـن نفسِـه، هـذا قـولُ الزَّجَّـاجِ[١].

قولـه تعـالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنـون: ٩٩-١٠٤].

قوله تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: فيما مضى من عمري[٢].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢١).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٨).



وقال مقاتلٌ: فيما تركت من العملِ الصالحِ[1].

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا يرجعُ إلى الدُّنيا ﴿إِنَّهَا﴾ يعني مسألته الرجعة ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي: هو كلامٌ لا فائدةَ له فيه ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: أمامهم وبين أيديهم ﴿بَرْزَخٌ﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: البرزخُ: ما بين الدُّنيا والآخرة، وكلُّ شيءٍ بين شيئين فهو بَـرْزَخٌ[2].

وقال الزَّجَّاجُ: البرزخُ في اللُّغةِ: الحاجزُ، وهو هاهنا: ما بين موت الميت وبعثه[3].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ في هذه النفخةِ قولان:

أحدهما: أنَّها النفخةُ الأولى، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّها الثانية، رواه عطاءُ عن ابنِ عبَّاسٍ.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في الكلام محذوفٌ، تقديره: لا أنساب بينهم يومئذٍ يتفاخرون بها أو يتقاطعون بها، لأنَّ الأنسابَ لا تنقطعُ يومئذٍ، إنَّما يرفع التواصل والتفخار بها.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٦٥).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٠٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٣).

وفي قوله: ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ **ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: لا يتساءلون بالأنسابِ أن يترك بعضُهم لبعضٍ حقَّه.

والثاني: لا يسأل بعضهم بعضًا عن شأنه، لاشتغال كلٍّ واحدٍ بنفسه.

والثالث: لا يسأل بعضُهم بعضًا من أي قبيلٍ أنت، كما تفعل العرب لتعرف النسب فتعرف قدر الرجل.

وما بعد هذا قد سبق تفسيره[1] إلى قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: تلفح وتنفح بمعنى واحدٍ، إلَّا أنَّ اللفح أعظمُ تأثيرًا، والكالح: الذي قد تشمَّرت شفته عن أسنانه، نحو ما ترى من رؤوس الغنم إذا برزت الأسنانُ وتشمَّرت الشِّفاه[2].

وقال ابنُ مسعودٍ: قد بدت أسنانُهم وتقلَّصت شفاههم كالرأس المشيط بالنَّار[3].

وروى أبو عبد الله الحاكم في صحيحه من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال في هذه الآية: «**تَشْوِيهِ النَّارُ، فَتَقَلَّصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا، حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ**»[4].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٣).

(٣) رواه الثوري في تفسيره (ص:٢١٨)، وابن المبارك في الزهد (٢/ ٨٤)، وعبدالرزاق (٢/ ٢١:)، والطبري في تفسيره (١٧/ ١١٦)، والطبراني في الكبير (٩١٢١)، و الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٤)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٠٨).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٨/ ٣٥٠)، والترمذي (٢٥٨٧ـ ٣١٧٦)، وأبو يعلى (١٣٦٧)،=

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾[المؤمنون: ١٠٥-١١١].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ المعنى: ويقال لهم: ألم تكن ﴿ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين من غير ألفٍ[1].

وقرأ عمرو بنُ العاص، وأبو رَزِينٍ العُقَيليُّ، وأبو رجاءٍ العطارديُّ كذلك، إلَّا أنَّه بفتح الشين[2].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلميُّ، والحسنُ،

=والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٩ ـ ٤٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٨٢)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٥٨) من طريق عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن يزيد أبو شجاع، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، به، بنحوه، وإسناده ضعيف؛ لضعف أبي السمح ـــ وهو دراج بن سمعان ـــ في روايته عن أبي الهيثم.

(١) السبعة (ص: ٤٤٨)، والمبسوط (ص: ٣١٤).

(٢) في البحر المحيط (٧/ ٥٨٦) عن شبل.

والأعمش، وحمزة، والكسائي: «شَقَاوَتُنَا» بألفٍ مع فتح الشين والقاف[١].

وعن الحسن، وقتادة كذلك، إلَّا أنَّ الشينَ مكسورةٌ[٢].

قال المفسِّرون: أقرَّ القومُ بأنَّ ما كتب عليهم من الشقاءِ منعهم [٥٧٨/أ] الهدى.

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا ﴾ أي: من النارِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: طلبوا الرجوعَ إلى الدُّنيا.

﴿ فَإِنۡ عُدۡنَا ﴾ أي: إلى الكفرِ والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: تباعدوا تباعد سخطٍ، يقال: خسأت الكلب اخسؤه: إذا زجرتُه ليتباعد[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ أي: في رفع العذابِ عنكم.

قال عبدُ الله بنُ عمرو: إنَّ أهل جهنَّم يدعون مالكاً أربعين عاماً، فلا يجيبهم، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧] ثم ينادون ربَّهم ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا ﴾ فيدعهم مثل عمر الدُّنيا، ثمَّ يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ ثم ينادون ربَّهم: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا ﴾ فيدعهم مثل عمر الدُّنيا، ثمَّ يردُّ

---

(١) السبعة (ص: ٤٤٨)، والمبسوط (ص: ٣١٤).

(٢) في البحر المحيط (٧/ ٥٨٦) عن قتادة، والحسن، ورواية خالد بن حوشب عنه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤).

عليهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمةٍ إن كان، إلَّا الزَّفير والشهيق[1].

ثمَّ بيَّن الذي لأجله أخسأهم بقوله: ﴿إِنَّهُ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ الجَونيُّ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «أَنَّهُ» بفتح الهمزةِ[2].

﴿كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد المهاجرين.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: الأجودُ إدغام الذَّال في التاء لقرب المخرجين، وإن شئت أظهرت، لأنَّ الذالَ من كلمة والتاء من كلمة، وبين الذال والتاء في المخرج شيءٌ من التباعد[3].

قوله تعالى: ﴿سِخْرِيًّا﴾.

قرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو حاتمٍ عن يعقوبَ: «سُخريًّا» بضمِّ السين هاهنا وفي «ص»[4]، تابعهم المفضل في «ص».

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٢/ ٩١)، وابن جرير الطبري (٢٠/ ٦٥٠)، وابن أبي حاتم (١٤٠٤٧) في تفسيرهما، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٩).

(٢) عن أُبي بن كعب في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي التحصيل (٤/ ٥٠٨) عن هارون، وانظر: البحر المحيط (٤/ ١٥٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤).

(٤) انظر: تفسير سورة ص الآية رقم (٦٣).

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: بكسر السين في السورتين[١].

ولم يختلف في ضمِّ السين في الحرف الذي في الزخرف[٢]، واختار الفَرَّاءُ الضَّمَّ، والزَّجَّاجُ الكسر.

وهل هما بمعنى؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّهما لغتان ومعناهما واحدٌ، قاله الخليل، وسيبويه، ومثله قول العرب، بحر لُجِّيٌّ ولِجِّيٌّ، وكوكبٌ دُرِّيٌّ ودِرِّيٌّ.

والثاني: أنَّ الكسرَ بمعنى الهمز، والضمَّ بمعنى: السخرة والاستعبادِ، قاله أبو عُبيدةَ، وحكاه الفَرَّاءُ[٣]، وهو مرويٌّ عن الحسنِ، وقتادةَ.

قال أبو عليٍّ: قراءةُ من كسر أرجحُ من قراءةِ من ضمَّ، لأنَّه من الهزء، والأكثرُ في الهزءِ كسر السين[٤].

قال مقاتلٌ: كان رؤوس كفَّار قريشٍ كأبي جهلٍ وعقبةَ والوليد، قد اتَّخذوا فقراءَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ كعمَّار وبلال وخَبَّاب وصهيب، سخريًّا يستهزئون بهم ويضحكون منهم[٥].

---

(١) في السبعة (ص: ٤٤٨)، والحجة (٥/ ٣٠٢)، والتيسير (ص: ١٦٠).

(٢) انظر: تفسير سورة الزخرف الآية رقم (٣٢).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٦٢)، ومعاني القرآن (٢/ ٢٤٣).

(٤) الحجة (٥/ ٣٠٣).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٦٧).



قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ أي: أنساكم الاشتغالَ بالاستهزاء بهم ذكري، فنسب الفعلَ إلى المؤمنين وإن لم يفعلوه، لأنَّهم كانوا السبب في وجودِهِ، كقوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ أي: على أذاكم واستهزائكم ﴿أَنَّهُمۡ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: ﴿أَنَّهُمۡ﴾ بفتح الألف.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «إِنَّهم» بكسرها[1].

فمن فتح «أنَّهم»، فالمعنى جزيتهم بصبرهم الفوز، ومن كسر «إنَّهم»، استأنف.

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٨].

---

(١) السبعة (ص: ٤٤٨).

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾.

قرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾، وهذا سؤال الله تعالى للكافرين.

وفي وقته قولان:

أحدهما: أنَّه يسألهم يوم البعث.

والثاني: بعد حصولهم في النارِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «قُلْ كم لبثتم»[1]. [٥٧٨/ب]

وفيها قولان:

أحدهما: أنَّه خطابٌ لكلِّ واحدٍ منهم، والمعنى: قل يا أيُّها الكافرُ.

والثاني: أنَّ المعنى: قولوا، فأخرجه مخرج الأمرِ للواحد، والمراد الجماعةُ، لأنَّ المعنى مفهومٌ.

وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: يدغمون ثاء ﴿لَبِثۡتُمۡ﴾، والباقون لا يدغمونها[2]؛ فمن أدغم، فلتقارب مخرجِ الثاء والتاء، ومن لم يدغم، فلتباين المخرجين.

وفي المراد بـ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنَّها القبورُ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٤٩).

(٢) السبعة (ص: ٤٤٩).

والثاني: الدُّنيا.

فاحتقر القومُ ما لبثوا لما عاينوا من الأهوالِ والعذابِ فقالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

قال الفَرَّاءُ: والمعنى: لا ندري كم لبثنا[١].

وفي المراد بـ ﴿ٱلْعَآدِّينَ﴾ **قولان:**

أحدهما: الملائكةُ، قاله مجاهدٌ.

والثاني: الحسابُ، قاله قتادةُ.

وقرأ الحسنُ، والزُّهريُّ، وأبو عِمرانَ الجَونيُّ، وابنُ يعمرَ: «العادين» بتخفيفِ الدَّالِ[٢].

قوله تعالى: ﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: ﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «قل إن لبثتم» على معنى: قل أيُّها السائل عن لبثهم[٣].

وزعموا أنَّ في مصحف أهلِ الكوفةِ «قل» في الموضعين، فقرأهما حمزةُ، والكسائيُّ على ما في مصاحفهم، أي: «ما لبثتم» في الأرضِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأنَّ مكثهم في الأرضِ وإن طالَ، فإنَّه متناهٍ، ومكثهم في النارِ لا يتناهى.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٤٣).

(٢) الحسن، ورواية عن الكسائي في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠).

(٣) السبعة (ص: ٤٤٩).

وفي قوله: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قولان:

أحدهما: لو علمتم قدر لبثِكم في الأرضِ.

والثاني: لم علمتم أنَّكم إلى الله ترجعون، فعملتم لذلك.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أي: أفظننتم أنَّما ﴿خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي: للعبث؛ والعبث في اللُّغة: اللَّعب، وقيل: هو الفعلُ لا لغرضٍ صحيحٍ، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ: ﴿لَا تُرْجَعُونَ﴾ بضمِّ التاء.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ بفتحها[1].

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عمَّا يصفه [به][2] الجاهلون من الشركِ والولد، ﴿الْمَلِكُ﴾.

قال الخطابيُّ: هو التامُّ المِلْك الجامِعُ لأصْنَافِ المَمْلُوكَاتِ[3].

وأمَّا المالك: فهو الخالصُ الملك، وقد ذكرنا معنى ﴿الْحَقِّ﴾ في يونسَ[4].

قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ والكريمُ في صفة الجماد بمعنى: الحسن.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٤٩ ـ ٤٥٠).

(٢) زيادة من (س).

(٣) انظر: شأن الدعاء (ص: ٣٩ ـ ٤٠).

(٤) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٣٢).

وقرأ ابنُ مُحيصنٍ: «الكريمُ» برفع الميم[1]، يعني الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾ أي: لا حجَّة له ﴿بِهِۦ﴾ ولا دليلَ؛ وقال بعضُهم: معناه: فلا برهانَ له به.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: جزاؤه عند ربِّه.

(١) عن أبان بن تغلب، وابن محيصن، وأبي جعفر المدني، وإسماعيل، عن ابن كثير في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، والتحصيل (٤/ ٥٠٩).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾[النور: ١-٣].

وهي مدنيَّةٌ كلها بإجماعهم.

روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث عائشةَ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**لَا تُنْزِلُوهُنَّ الْغُرَفَ وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ الْكِتَابَةَ، وَعَلِّمُوهُنَّ الْمِغْزَلَ وَسُورَةَ النُّورِ**» يعني النِّساء[1].

قوله ﷻ: ﴿سُورَةٌ﴾.

قرأ الجمهورُ بالرفعِ.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٧١٣)، والمستغفري في فضائل القرآن (٨٣٩)، من طريق محمد بن إبراهيم الشامي، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٠) من طريق عبد الوهاب بن الضَّحاك، كلاهما (محمد الشامي، وعبد الوهاب) عن شعيب بن إسحاق، عن هشام بن عروةَ، عن أبيه، به، بنحوه.

ومحمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي، كذَّبه الدارقطنيُّ، وعبد الوهاب بن الضَّحاك الحمصي متروكٌ، وحكم عليه الذهبيُّ في التلخيص بالوضع.

وقـرأ أبـو رزيـن العقيـليُّ، وابـنُ أبي عبلـةَ، ومحبـوبٌ عـن أبي عمـرٍو: «سُـورَةً» بالنصـب[١].

قال أبو عبيدةَ: من رفع فعلى الابتداءِ[٢].

وقـال الزَّجَّـاجُ: هـذا قبيـحٌ؛ لأنَّهـا نكـرةٌ، و﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ صفـةٌ لهـا، وإنَّـما الرفـعُ عـلى إضـمارِ هـذه سـورة، والنَّصـب عـلى وجهـين، أحدُهمـا: عـلى معنـى أنزلنـا سـورة، وعـلى معنـى اتـل سـورةً[٣].

قوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بالتَّشديد.

[٥٧٩/أ] وقـرأ ابـنُ مسـعودٍ، وأبـو عبـد الرحمـن السُّـلميُّ، والحسـنُ، وعكرمـةُ، والضَّحـاكُ، والزُّهـريُّ، ونافـعٌ، وابـنُ عامـر، وعاصـمٌ، وحمـزةُ، والكسـائيُّ، وأبـو جعفـرٍ، وابـنُ يعمـر، والأعمـش، وابـنُ أبي عبلـةَ: بالتخفيـف[٤].

قال الزَّجَّاجُ: من قرأ بالتَّشديدِ فعلى وجهين:

أحدهما: على معنى التكثير، أي: إنَّنا فرضنا فيها فروضًا.

---

(١) عـن عيسـى بـن عمـرو في مختصر ابـن خالويـه (ص:١٠١)، ومعاني إعـراب القـرآن (٤/ ٢٧)، وفي التحصيـل (٤/ ٥٢٤) عـن أمِّ الـدرداء، وعيسـى الهمـدان، والثقفي.

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٦٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٤٥٢).

والثاني: على معنى: بيَّنَّا وفصَّلنا ما فيها من الحلال والحرام، ومن قرأ بالتخفيف فمعناه: ألزمناكم العمل بما فرض فيها[(١)].

وقال غيرُه: من شدَّد أراد فصَّلنا فرائضها، ومن خفَّف فمعناه فرضنا ما فيها.

قوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾، القراءةُ المشهورةُ بالرَّفعِ.

وقرأ أبو رَزِينٍ العقيليُّ، وأبو الجوزاءِ، وابنُ أبي عبلةَ، وعيسى بنُ عمرَ: «الزَّانِيَةَ» بالنَّصبِ[(٢)].

واختار الخليلُ وسيبويه الرَّفعَ اختيار الأكثرين[(٣)].

قال الزَّجَّاجُ: والرفعُ أقوى في العربيَّة، لأنَّ معناه: مَن زنى فاجلدوه، فتأويله الابتداءُ، ويجوز النَّصبُ على معنى: اجلدوا الزانيةَ[(٤)].

فأمَّا الجَلْدُ فهو ضربُ الجِلْدِ، يقال: جَلَدَهُ: إذا ضَربَ جِلْدَهُ، كما يقال: بَطَنَهُ: إذا ضرب بَطْنَهُ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧).

(٢) عن عيسى بن عمر، ويحيى بن يعمر، وعمرو بن فائد في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢)، وفي لتحصيل (٤/ ٥٢٦) عن عيسى الثقفي.

(٣) في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧): وزعم الخليل وسيبويه أنَّ النصب المختار، وزعم سيويه أنَّ القراءة الرفع.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨).



قال المفسِّرون: ومعنى الآية: الزانيةُ والزاني إذا كانا حرَّين بالِغينِ بكرين، فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدة.

فصل

قال شيخنا عليُّ بنُ عبيد الله: هذه الآية تقتضي وجوب الجلد على البكر والثيِّب، وقد روي عن رسولِ الله ﷺ في حقِّ البكر زيادةٌ على الجلد بتغريب عام، وفي حق الثيِّب زيادةٌ على الجلد بالرَّجم بالحجارةِ.

فروى عُبادةُ بنُ الصامت عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ بِالْحِجَارَةِ**»[1].

وممن قال بوجوب النَّفي في حقِّ البكر: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعلي، وابنُ عمر، وممَّن بعدهم عطاء، وطاووس، وسفيانُ، ومالك، وابنُ أبي ليلى، والشافعيُّ، وأحمدُ، وإسحاقُ.

وممن قال بالجمع بين الجلد والرجم في حقِّ الثيب: عليُّ بنُ أبي طالبٍ، والحسنُ البصري، والحسنُ بن صالح، وأحمدُ، وإسحاقُ.

قال: وذهب قومٌ من العلماء إلى أنَّ المراد بالجلد المذكور في هذه الآية البكر، فأمَّا الثيِّبُ، فلَا يجب عليه الجلدُ، وإنَّما يجب الرَّجم، روي عن عمرَ، وبه قال النخعيُّ، والزهريُّ، والأوزاعيُّ، والثوريُّ، وأبو حنيفةَ، ومالكٌ، وروي عن أحمدَ رواية مثل قول هؤلاء.

---

(١) رواه أحمد (٣٧/ ٣٣٨)، والدارمي (٢٣٢٨)، ومسلم (١٦٩٠)، وأبو داود (٤٤١٦)، والترمذي (١٤٣٤)، والنسائي في الكبرى (٧١٤٤)، وابن الجارود في المنتقى (٨١٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم﴾.

قرأ أبو عبدِ الرَّحمن السلميُّ، وأبو رزين، والضَّحاكُ، وابنُ يعمر، والأعمشُ: «يأخُذْكم» بالياء[1].

﴿رَأْفَةٌ﴾.

قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿رَأْفَةٌ﴾ بإسكان الهمزةِ.

وقرأ أبو المتوكِّل، ومجاهدٌ، وأبو عمرانَ الجونيُّ، وابنُ كثيرٍ: بفَتْح الهمزة وقصرها على وزن رَعَفَة[2].

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، والضَّحاكُ، وأبو رجاء العطارديُّ: «رَآفَةٌ» مثل سآمة وكآبة[3].

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: لا تأخذكم بهما رأفةٌ فتخفِّفوا الضَّربَ، ولكن أوجعوهما، قاله سعيدُ بنُ المسيّب، والحسنُ، والزهريُّ، وقتادةُ.

---

(١) عن علي بن أبي طالب، وأبي عبد الرحمن السلمي في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢)، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٩) ابن مقسم، وداود بن أبي هند، عن مجاهد.

(٢) انظر: السبعة (ص:٤٥٢)، والمبسوط (ص:٣١٦).

(٣) عن ابن جريج في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢)، وعن عاصم في المحرر (٤/ ١٦١)، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٩) ابن كثير.

[٥٧٩/ب] والثاني: لا تأخذكم بهما رأفةٌ، فتعطِّلوا الحدودَ، ولا تقيموها، قاله مجاهدٌ، والشعبيُّ، وابنُ زيدٍ في آخرين.

فصل

واختلف العلماءُ في شدَّة الضَّرب في الحدود:

فقال الحسنُ البصريُّ: ضرب الزنا أشدُّ من القذف، والقذفُ أشدُّ من الشرب، وضرب الشارب أشدُّ من ضرب التعزير(١)، وعلى هذا مذهب أصحابنا.

وقال أبو حنيفةَ: التعزيرُ أشدُّ الضرب، وضرب الزاني أشد من ضرب الشارب، وضربُ الشارب أشدُّ من ضرب القذفِ.

وقال مالكٌ: الضربُ في الحدودِ كلها سواء غير مُبرِّح بين الضَّربين.

فصل

فأمَّا ما يُضرب من الأعضاءِ:

فنقل الميمونيُّ عن أحمدَ في جلد الزاني قال: يُجرَّد ويعطى كل عضو حقَّه، ولَا يضرب وجهه ولَا رأسه(٢).

ونقل يعقوبُ بنُ بُخْتانَ: لا يضرب الرأسُ ولا الوجه ولا المذاكيرُ، وهو قول أبي حنيفةَ.

وقال مالكٌ: لا يضربُ إلَّا في الظهر.

---

(١) أورده الجصاص في أحكام القرآن (٥/ ١٠٠).

(٢) نقله أبو يعلى الفراء في الأحكام السلطانية (ص:٢٨٣).

وقال الشافعيُّ: يتَّقى الفرجُ والوجه.

قوله: ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في حكمه، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثاني: في طاعة الله، ذكره الماورديُّ[١].

قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ[٢]﴾.

قال الزَّجَّاجُ: القراءةُ بإسكان اللَّام ويجوزُ كسرها، والمرادُ بـ﴿عَذَابَهُمَا﴾ ضربهما[٣].

وفي المرادِ بالطائفة هاهنا خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: الرجلُ فما فوقه، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ.

وقال النَّخعيُّ: الواحدُ طائفة[٤].

والثاني: الاثنان فصاعدًا، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ، وعطاءُ، وعن عكرمةَ كالقولين.

قال الزَّجَّاجُ: والقولُ الأوَّل على غير ما عند أهل اللُّغة، لأنَّ الطائفةَ في معنى الجماعة، وأقل الجماعة اثنان[٥].

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/ ٧٢).

(٢) قوله تعالى: (طائفة)، ليس في (س).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ١٤٦) عن حمَّاد وإبراهيمَ قالا: "الطائفةُ: رجلٌ".

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨ـ ٢٩).

والثالث: ثلاثةٌ فصاعدًا، قاله الزهريُّ.

والرابع: أربعةٌ، قاله ابنُ زيدٍ.

والخامس: عشرةٌ، قاله الحسنُ البصريُّ.

قوله: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾.

قال عبدُ الله بنُ عمرٍو: كَانَتْ امرأة تُسَافِحُ، وَكَانَتْ تَشْتَرِطُ لِمَنْ تَزَوَّجَهَا أَنْ تَكْفِيَهُ النَّفَقَةَ، فَأَرَادَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسلِمِينَ أَن يَتَزَوَّجَهَا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فنزلت هذه الآية(١).

وقال عكرمةُ: نزلت في بغايا كُنَّ بمكَّةَ، ومنهنَّ تسعُ صواحب رايات، وكانت بيوتهنَّ تسمَّى في الجاهليَّة: المواخير، ولا يدخلُ عليهنَّ إلَّا زانٍ من أهل القبلة، أو مشركٍ من أهل الأوثان، فأراد ناسٌ من المسلمين نكاحهنَّ، فنزلت هذه الآية(٢).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ١٥٨)، والنسائي في الكبرى (١١٣٥٩)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٨٥٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٠)، والطبراني في الأوسط (١٨١٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١١)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٣١٦) من طرق عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحضرميِّ، عن القاسم بن محمَّد، عن عبد الله بن عمرٍو، به.

والحضرمي هذا شيخ سليمان بن طرخان، مجهول، وقد قال أحمد: لا أعلم يروي عنه غيرُ سُليمان التيمي، وقال علي ابنُ المديني: حضرمي، شيخ بالبصرة، روى عنه التيمي، مجهول، وكان قاصًّا، وليس هو بالحضرمي بن لاحق.

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣١٦).

قال المفسِّرون: ومعنى الآية: الزاني من المسلمين لا يتزوَّج من أولئك البغايا إلَّا ﴿زَانِيَةً﴾، أو ﴿مُشْرِكَةً﴾، لأنهنَّ كذلك كن، ﴿وَٱلزَّانِيَةُ﴾ منهن ﴿لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾، ومذهب أصحابنا أنَّه إذا زنى بامرأةٍ لم يجز له أن يتزوَّجها إلَّا بعد التوبةِ منهما.

قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ: «وَحَرَّمَ اللهُ ذلك» بزيادة اسمِ الله ﷻ مع فتح حروف «حَرَّمَ»[1].

وقرأ زيدُ بنُ عليٍّ: «وَحَرُمَ ذلك» بفتح الحاءِ وضمِّ الراءِ مخفَّفة[2].

ثُمَّ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه نكاحُ الزواني، قاله مقاتلٌ[3]. [٥٨٠/أ]

والثاني: الزِّنا، قاله الفرَّاءُ[4].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٤-٥].

---

(١) في المحرر (٤/ ١٦٣) عن أبي البرهسم.

(٢) عن زيد بن علي في البحر المحيط (٨/ ١٢).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٨٣).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٤٥).



قولـه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ شرائـطُ الإحصـانِ في الزِّنـا الموجـب للرَّجـم عندنـا أربعـةٌ: البلـوغُ، والحريَّـةُ، والعقـلُ، والـوطء في نـكاحٍ صحيـحٍ، فأمَّـا الإسـلامُ فليـس بـشرطٍ في الإحصـان، خلافًـا لأبي حنيفـةَ ومالـكٍ.

وأمَّا شرائـطُ إحصـانِ القـذف فأربـعٌ: الحريَّـةُ، والإسـلامُ، والعفَّـةُ، وأن يكـون المقـذوف ممـن يُجامِـع مثلـه.

ومعنـى الآيـة: يرمـونَ المحصنـات بالزِّنـا، فاكتفـى بذكـره المتقـدِّم عـن إعادتـه، ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ ﴾ عـلى مـا رموهـنَّ بـه ﴿ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ عـدول، يشـهدون أنَّهـم رأوهـن يفعلـن ذلـك، فاجلدوهـم يعنـي القاذفـين.

فصل

وقـد أفـادت هـذه الآيـةُ أنَّ عـلى القـاذفِ إذا لم يُقـمِ البينـةَ الحـدَّ وردَّ الشـهادةِ وثبـوتَ الفسـقِ.

واختلفوا هل يحكم بفسقِه وردِّ شهادته بالقذف نفسه أم بالحدِّ؟

فعـلى قـول أصحابِنـا: إنَّـه يحكـمُ بفسـقِهِ وردِّ شـهادتِه إذا لم يقـمِ البينـةَ، وهـو قـولُ الشـافعيِّ.

وقـال أبـو حنيفـةَ ومالـكٌ: لا يحكـمُ بفسـقِه، وتقبـلُ شـهادتُه مـا لم يُقـم الحـدَّ عليـه.

فصل

والتعريـضُ بالقـذفِ، كقولـه لمـن يخاصمـه: مـا أنـت بـزانٍ ولا أمـك زانيـة، يوجـب الحـدَّ في المشـهور مـن مذهبنـا.

وقال أبو حنيفةَ: لا يوجب الحد.

وحـدُّ العبـد في القـذف نصـف حـدِّ الحـرِّ، وهـو أربعـون، قالـه الجماعـة إلَّا الأوزاعـي، فإنَّـه قـال: ثمانـون.

فأمَّا قاذف المجنونِ فقال الجماعةُ: لا يحدُّ.

وقال الليثُ: يحدُّ.

فأمَّـا الصَّبـي، فَـإِنْ كان مثلـه يجامِـع، أو كانـت صبيـة مثلهـا يجامَـع، فعـلى القــاذفِ الحدَّ.

وقال مالكٌ: يحدُّ قاذفُ الصبيَّةِ التي يجامع مثلها، ولا يحدُّ قاذفُ الصَّبي.

وقـال أبـو حنيفـةَ والشـافعيُّ: لا يحـدُّ قاذفهـا، فَـإِنْ قـذف رجـلٌ جماعـةً بكلمـةٍ واحـدةٍ فعليـه حـدٌّ واحـدٌ، وإن أفـردَ كل واحـد بكلمـةٍ فعليـه لـكلِّ واحـدٍ حـد، وهـو قـول الشَّـعبي، وابـنُ أبي ليـلى.

وقال أبو حنيفةَ وأصحابه: عليه حدٌّ واحدٌ، سواء قذفهم بكلمةٍ أو بكلماتٍ.

فصل

وحدُّ المقذوفِ حق لآدمي يصحُّ أن يُبرئ منه ويعفو عنه.

وقال أبو حنيفةَ: هو حقٌّ لله، وعندنا أنَّه لا يستوفى إلَّا بمطالبة المقذوف، وهو قول الأكثرين.

وقال ابنُ أبي ليلى: يحدُّه الإمام وإنْ لم يطالبِ المقذوف.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ أي: من القذف ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: أظهروا التوبة.

وقال غيرُه: لم يعودوا إلى قذفِ المحصناتِ.

وفي هذا الاستثناء قولان:

أحدهما: أنَّه نسخ حدّ القذف وإسقاط الشهادة معًا، وهذا قولُ عكرمةَ، والشعبيِّ، وطاووسَ، ومجاهدٍ، والقاسمِ بنِ محمَّدٍ، والزهريِّ، والشافعيِّ، وأحمدَ.

والثاني: أنَّه يعودُ إلى الفسقِ فقط، وأمَّا الشهادةُ فلا تقبل أبدًا، قاله الحسنُ، وشريحٌ، وإبراهيمُ، وقتادةُ، فعلى هذا القول انقطع الكلام عند قوله: ﴿أَبَدًا﴾، وعلى القول الأوَّل وقع الاستثناء على جميع الكلام، وهذا أصحُّ لأنَّ المتكلِّم بالفاحشة، لا يكون أعظم جرمًا من راكبها، فإذا قُبلت شهادة المقذوف بعد توبته، فالرّامي أيسرُ جرمًا وليس القاذفُ بأشدِّ جرمًا من الكافرِ، فإنَّه إذا أسلمَ قبلت شهادتُه. [٥٨٠/ب]

قولــه تعــالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [النــور: ٦-١٠].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾.

سبب نزولها: أنَّ هلالَ بنَ أميَّةَ وجد عند أهله رجلًا، فرأى بعينه وسمع بأذنه، فلم يَهِجْهُ حتَّى أصبحَ، فغدا على رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إنِّي جئت أهلي، فوجدت عندها رجلًا، فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسولُ الله ﷺ ما جاء به، واشتدَّ عليه، فقال سعدُ بن عبادةَ: الآن يضربُ رسول الله ﷺ هلالًا، ويبطلُ شهادته، فقال هلال: والله إنِّي لأرجو أن يجعلَ الله لي منها مخرجًا، فوالله إنَّ رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربِه، إذ نزل عليه الوحي، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ[1].

وفي حديثٍ آخرَ أنَّ الرجلَ الذي قذفها به شريك بن سحماء، وأنَّ رسولَ الله ﷺ قال لهلال حين قذفها: «**ائْتِنِي بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، وَإِلَّا فَحَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**»[2]، فنزلت هذه الآيةُ، فنسخ حكمُ الجلدِ في حقِّ الزَّوجِ القاذفِ.

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي (٢٦٦٧)، وأحمد (٤/ ٣٦)، والبخاري (٤٧٤٧) مختصراً، وأبو داود (٢٢٥٤_٢٢٥٦)، والترمذي (٣١٧٩)، وابن ماجه (٢٠٦٧)، ويهجه: أي لم يُزعِجه ولم يُنفِّرهُ. عمدة القاري (١٣/ ٢٥١).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٤٢)، وعبد بن حميد (١٢١٨)، ومسلم (١٤٩٦)، والنسائي (٤٣٦٨)،=

فصل

في بيانِ حكمِ الآيةِ

إذا قـذفَ الرَّجـلُ زوجتـه بالزِّنـا، لزمـهُ الحـدُّ ولـه التخلُّـص منـه، بإقامـةِ البيِّنـة أو باللِّعـان، فـإنْ أقـام البيِّنـة لزمهـا الحـدُّ، وإن لاعنهـا فقـد حقَّـق عليهـا الزِّنـا ولهـا التخلُّـص منـه باللِّعـان، فـإنْ نـكل الـزَّوج عـن اللِّعـان، فعليـه حـدُّ القـذفِ، وإن نكلـتِ الزوجـةُ لم تحـدَّ، وحبسـت حتَّـى تلاعـن أو تقـرّ بالزِّنـا في إحـدى الروايتـين، وفي الأخـرى: يخلى سبيلها.

وقال أبو حنيفةَ: لا يحدُّ واحدٌ منهما، ويحبس حتَّى يلاعن.

وقال مالكٌ، والشافعيُّ: يجبُ الحدُّ على الناكل منهما.

فصل

ولا تصـحُّ الملاعنـةُ إلَّا بحـضرةِ الحاكـمِ، فـإنْ كانـت المـرأة خَفِـرةً[1] بعث الحاكـمُ مـن يلاعـن بينهما.

وصفـةُ اللِّعـان أن يبـدأ الـزوج فيقـول: أشـهد بـالله إني لمـن الصادقـين فيما رميتهـا بـه مـن الزِّنـا، أربع مـرات، ثُمَّ يقـول في الخامسـةِ: ولعنة الله عليـه إن كان مـن الكاذبـين، ثُمَّ تقـول الزوجـةُ، أربع مرات: أشـهدُ بـالله لقد كـذبَ فيما رماني بـه مـن الزِّنـا، ثُمَّ تقـول: وغضـب الله عليهـا إن كان مـن الصادقين.

=وفي الكبرى (٥٦٣٣) من حديث أنس بن مالك.

(١) الخَفَـرُ: شِـدَّةُ الْحَيَـاءِ؛ تقـول: خَفِـرَ، بالكسر، وخَفِـرَتِ المـرأةُ خَفَـراً وخَفـارَةً، وتَخَفَّـرَتْ: اشْـتَدَّ حَيَاؤُهَـا. لسـان العـرب (٤/ ٢٥٣).

والسنَّة أن يتلاعنا قيامًا، ويقال للزَّوج إذا بلغ اللَّعنة: اتَّقِ الله، فإنَّها الموجبة، وعذاب الدُّنيا أهونُ من عذابِ الآخرةِ، وكذلك يقالُ للزَّوجةِ إذا بلغت إلى الغضبِ، فإنْ كان بينهما ولدٌ اقتصر نفيه عن الأب إلى ذكره في اللِّعان، فيزيد في الشهادة: وما هذا الولد ولدي، وتزيد هي: وإن هذا الولد ولده.

فصل

واختلف الفقهاء في الزوجين اللذين يجري بينهما اللِّعان:

فالمشهور عن أحمدَ أنَّ كلَّ زوجٍ صحَّ قذفُه صحَّ لعانُه، فيدخل تحت هذا المسلم، والكافر، والحرُّ، والعبدُ، وكذلك المرأةُ، وهذا قول مالكٍ، والشافعيِّ.

وقال أبو حنيفةَ: لا يجوز اللِّعانُ بين الحرِّ والأمةِ، ولا بين العبد والحرَّةِ، ولا بين الذمِّيين، أو إذا كان أحدُهما ذميًّا. [١٨٥/أ]

ونقل حربٌ عن أحمدَ نحو هذا، والمذهبُ هو الأوَّلُ، ولا تختلف الروايةُ عن أحمدَ: أنَّ فرقةَ اللِّعانِ لا تقع بلعانِ الزَّوجِ وحده، واختلف هل تقع بلعانهما من غيرِ فرقة الحاكمِ على روايتين، وتحريمُ اللِّعانِ مؤبدٌ، فإن أكذب الملاعن نفسه لم تحلَّ له زوجتُه أيضًا، وبه قال عمرُ، وعليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وعن أحمدَ روايتان أصحُّهما هذا، والثانية: يجتمعان بعد التكذيب، وهو قولُ أبي حنيفةَ.

قوله : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾.

وقرأ أبو المتوكِّلِ، وابنُ يعمر، والنخعيُّ: «تَكُنْ» بالتاء[(١)].

قوله: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «أَرْبَعَ» بفتح العين.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: برفع العين[(٢)].

قال الزَّجَّاجُ: من رفع ﴿أَرْبَعُ﴾ فالمعنى فشهادةُ أحدهم التي تدرأ حدَّ القذفِ ﴿أَرْبَعُ﴾، ومن نصبَ فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدُهم «أَرْبَعَ»[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ﴾

قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ﴾ نصبًا حملًا على نصب ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ﴾[(٤)].

قوله : ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

قرأ نافع، ويعقوبُ، والمفضلُ: «أَنْ لعْنَةُ اللهِ»، و«أَنْ غَضَبُ اللهِ» بتخفيف النون فيهما وسكونها ورفع الهاء من «لعنةُ»، والباء من

(١) بلا نسبة في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٢).

(٢) السبعة (ص:٤٥٢ـ ٤٥٣)، والتيسير (ص: ١٦١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢).

(٤) السبعة (ص: ٤٥٣)، والمقصود بقوله: (والخمسة) الموضع الثاني وليس الموضع الأول؛ لأنَّهم لم يختلفوا على أنَّ (الخامسة) الأولى بالرَّفع.

«غضبُ»، إلَّا أن نافعًا كسر الضاد من «غضِبَ» وفتح الباء[1].

قوله ﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ أي: ويدفعُ عنها العذابَ، **وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدهما: أنَّه الحدُّ.

والثاني: الحبسُ، ذكرهما ابنُ جريرٍ[2].

والثالث: العارُ.

قوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ أي: ستره ونعمتُه.

قال الزَّجَّاجُ: وجوابُ «لَوْلَا» هاهنا متروكٌ، والمعنى: لَوْلَا ذلك لنال الكاذب منكم عذابٌ عظيمٌ[3].

وقال غيرُه: لَوْلَا فضلُ الله لبيَّن الكاذب من الزَّوجين فأُقيم عليه الحد، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ ﴾ يعودُ على مَن رجع عن المعاصي بالرَّحمة ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما فرض من الحدودِ.

قوله تعالى: **﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾**

---

(١) السبعة (ص: ٤٥٣)، والتيسير (ص:١٦١).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ١٨٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣).

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[النور: ١١-٢٠].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ أجمع المفسِّرونَ أنَّ هذه الآية وما يتعلَّقُ بها [بعدها][1] نزلت في قصَّة عائشةَ رضي الله عنها، وفي حديث الإفكِ أنَّ هذه الآية إلى عشرِ آياتٍ نزلت في قصَّة عائشةَ.

وقد ذكرنا حديثَ الإفكِ في كتاب «الحدائق»[2]، وفي كتاب «المغني في التفسير»، فلم نطلْ بذكرِهِ، لأنَّ غرضنا اختصار هذا الكتاب؛ ليُحفظ.

فأمَّا «الإفك» فهو الكذبُ، و«العصبة»: الجماعةُ، ومعنى قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من المؤمنين.

وروى عروةُ عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها قالت: هم أربعةٌ: حسانُ بن ثابتٍ، وعبدُ الله بن أُبيٍّ، ومسطحُ بنُ أُثاثةَ، وحَمنةُ بنتُ جحشٍ[3]، وكذلك

(١) زيادة من (س).

(٢) انظر: كتاب الحدائق في الزهديات والحديث (١/ ٤٥١).

(٣) البخاري (٤١٤١) من قول عروة بن الزبير.

عدَّهم مقاتل[1].

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ قال المفسِّرون: هذا خطابٌ لعائشةَ، وصفوانَ بنِ المعطِّلِ، وقيل: لرسول الله ﷺ، وأبي بكرٍ، وعائشةَ رضي الله عنهما.

والمعنى: إنَّكم تُؤجرون فيه.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم﴾ يعني: من العصبة الكاذبة ﴿مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ أي: جزاء ما اجترحَ من الذَّنب على قدرِ خوضِه فيه، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ [٥٨١/ب] مِنْهُمْ﴾:

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو رزين، وعكرمةُ، ومجاهدٌ، وابنُ أبي عبلةَ، والحسنُ، ومحبوبٌ عن أبي عمرٍو، ويعقوبُ: «كُبْرَهُ» بضمِّ الكافِ[2].

قال الكسائيُّ: وهما لغتان.

وقال ابنُ قتيبةَ: كِبْر الشيءِ: معظمه، ومنه هذه الآية.

قال قيسُ بنُ الخطيمِ يذكرُ امرأةً [من المنسرح][3]:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٨٩).

(٢) عن حميد، ومجاهد، وأبي البرهسم، ويعقوب، وابن قطيب في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢)، وفي التحصيل (٤/ ٥٢٧)، عن ابن هرمز، وأبي رجاء، ويعقوب الحضرمي، وزاد في المحرر (٤/ ١٧٠) الأعرج، والزهري، والأعمش، وابن أبي عبلة، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٢١) عمرة بن عبد الرحمن، والثوري، والزعفراني، وابن مقسم، وسورة عن الكسائي، ومحبوب، عن أبي عمرو.

(٣) في ديوانه (ص: ١٠٦)، وغريب القرآن (ص:٣٠١)، ولسان العرب (٥/ ١٢٩) (كبر)، (٩/ ٢٦٤) (غرف)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٠٤)، وتاج العروس (١٤/ ٧).



تَنَامُ عَـنْ كِـبْرِ شَـأْنِهَا فَـإِذَا قَامَـتْ رُوَيْـدًا تَـكَادُ تَنْغَـرِفُ

وفي المتولي لذلك قولان:

أحدهما: أنَّه عبدُ الله بنُ أُبيٍّ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وعروةُ عن عائشةَ، وبه قال مجاهدٌ، والسُّدِّيُّ، ومقاتلٌ[1].

قال المفسِّرونَ: هو الذي أشاع الحديثَ فله عذابٌ عظيمٌ بالنَّارِ.

وقال الضَّحاكُ: هو الذي بدأ بذلك[2].

والثاني: أنَّه حسانُ.

روى الشَّعبيُّ: أنَّ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: مَا سَمِعْتُ بِشَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ، وَمَا تَمَثَّلْتُ بِهِ إِلَّا رَجَوْتُ لَهُ الْجَنَّةَ، فَقِيلَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فقالت: أَلَيسَ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ[3].

وروى عنها مسروقٌ أنَّها قالت: وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَى، وَلَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ ذَلِكَ الْعَذَابَ الْعَظِيمَ، ذَهَابَ بَصَرِهِ[4]، تعني: حسان بن ثابت.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٨٩).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩١).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٣) من طريق داود بن أبي هند به، بنحوه.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٣) من طريق الأعمش، عن أبي الضحى به، بنحوه.

ثُمَّ إن الله ﷻ أنكر على الخائضين في الإفكِ بقولِه تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: هلَّا إذ سمعتم أيَّتها العصبةُ الكاذبةُ قذفَ عائشةَ رضي الله عنها ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ من العصبةِ الكاذبةِ وهم حسانُ ومسطح رضي الله عنهما ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾، وهي حَمنةُ بنتُ جحشٍ رضي الله عنها.

﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾، **وفيها ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: بأمَّهاتهم.

والثاني: بأخواتهم.

والثالث: بأهل دينهم، لأنَّ المؤمنينَ كنفسٍ واحدةٍ، ﴿وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: كذبٌ بيِّن.

وجاء في التفسير أَنَّ أبا أيوبَ الأنصاري رضي الله عنه، قالت له أُمُّه: ألا تسمع ما يقول النَّاسُ في أمر عائشةَ؟! فقال: هذا إفكٌ مبينٌ، أكنت يا أمَّاه فاعلته؟ فقالت: معاذ الله، قال: فعائشةُ والله خيرٌ منك، فنزلت هذه الآية[(١)].

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا﴾ أي: هلَّا جاءت العصبةُ الكاذبةُ على قذفهم عائشة رضي الله عنها ﴿جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾:

وقرأ الضَّحاكُ، وعاصمٌ الجحدري: «بِأَرْبَعَةٍ» منونة[(٢)].

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (١٦٩٨)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (١٤٢٢١) في تفسيرهما، من طرق عن بعض بني النجار، عن أبي أيوب، به، والصواب أنَّ الذي قال ذلك لأبي أيوبَ، هي زوجته أم أيوب كما في الروايات.

(٢) عن أبي زرعةَ بن عمرو بن جرير، وعبد الله بن مسلم بن يسار في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٣).

والمعنى: يشهدون بأنَّهم عاينوا ما رموها به، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، ثُمَّ ذكر القاذفين فقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: لولا ما منَّ الله به عليكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ أي: لأصابكم ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ أي: أخذتم وخضتم ﴿فِيهِ﴾ من الكذب والقذفِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الدُّنيا والآخرة.

ثُمَّ ذكر الوقت الذي لولا فضله لأصابَهم فيه العذابُ فقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾، وكان الرجل منهم يلقى الرَّجل فيقول: بلغني كذا، فيتلقَّاه بعضُهم من بعضٍ.

وقرأ عمرُ بنُ الخطَّاب: «إِذْ تُلْقُوْنَهُ» بتاءٍ واحدةٍ خفيفةٍ مرفوعةٍ، وإسكان اللام، وقاف منقوطة بنقطتين مرفوعة خفيفة[(١)].

وقرأ معاويةُ، وابنُ السَّمَيْفَع مثله[(٢)]، إلَّا أنَّهما فتحا التاء والقاف.

وقرأ ابنُ مسعودٍ: «تَتَلَقَّونه» بتاءين مفتوحتين مع نصبِ اللام وتشديد القاف[(٣)].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وعائشةُ، ومجاهدٌ، وأبو حيوةَ: «إِذْ تَلِقُوْنَهُ» بتاء واحدةٍ خفيفةٍ مفتوحة وكسر اللام ورفع القاف[(٤)]. [٥٨٢/أ]

(١) بلا نسبة في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢)، وفي المحتسب (٢/ ١٠٤)، والتحصيل (٤/ ٥٢٧)، والمحرر (٤/ ١٧١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢) عن ابن السَّمَيْفَع.

(٢) البحر المحيط (٨/ ٢٢).

(٣) عن أبي بن كعب في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٢)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢) عن عائشة، وزاد في المحتسب (٢/ ١٠٤) ابن عباس،=

وقال الزَّجَّاجُ: ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ يلقيه بعضكم إلى بعضٍ، وتَلِقُونَهُ؛ ومعناه: إذ تسرعون بالكذب، يقال: وَلَقَ يَلِقُ: إذا أسرع في الكذب وغيره.

قال الشاعر [من الرجز][1]:

.... جَاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّأْمِ تَلِقْ

أي: تسرع.

وقال ابنُ قتيبةَ: ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ أي: تقبلونه، ومن قرأ: «تَلِقُونه» أخذه من الْوَلْق وهو الكذبُ[2].

قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: من غير أن تعلموا أنّه حقٌّ، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ﴾، يعني ذلك القذف ﴿هَيِّنًا﴾ أي: سهلًا لا إثمَ فيه، ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر، ثُمَّ زاد عليهم في الإنكارِ فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾ أي: ما يحلُّ وما ينبغي لنا أن نتكلّم بهذا سبحانك، وهو يحتمل التنزيه والتعجُّب.

وروت عائشةُ رضي الله عنها، أنَّ امرأةَ أبي أيوب الأنصاري، قالت له: ألا تسمع مَا يتحدَّث النَّاس؟ فقال: ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ الآية، فنزلت الآية[3].

=وزاد في التحصيل (٤/ ٥٢٧) ابن يعمر، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٢٢) زيد بن علي.

(١) البيت للشماخ في ديونه (ص:٤٥٣)، و معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨)، ولسان العرب (١٠/ ١٤٥) (زلق)، وشرح المفصل (٩/ ١٤٥) وصدره: إنَّ الْجُلَيْدَ زَلِقٌ وَزُمَّلِقْ.

(٢) غريب القرآن (ص:٣٠١).

(٣) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ١٦٠).



وقد روينا آنفًا أنَّ أمَّه ذكرت له ذلك، فنزلت الآية المتقدمة.

وروي عن سعيدِ بنِ جبير: أنَّ سعدَ بن معاذ لَّما سمع ذلك قال: سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ. فقيل للنَّاس: هلَّا قلتم كما قال سعدُ[(١)].

قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ينهاكم الله ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ أي: إلى مثله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، لأنَّ من شرطَ الإيمان ترك قذفَ المحصنةِ، ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ في الأمرِ والنَّهي.

ثُمَّ هدَّد القاذفين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أي: يحبُّون أن يفشو القذف بالفاحشةِ وهي الزنا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: الجلد ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ عذاب النار.

وروت عمرةُ، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: لما نزل عذري، قامَ رسولُ الله ﷺ على المنبر، فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلمَّا نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدَّهم[(٢)].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠٤) من طريق ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، به، مرسلاً، بنحوه.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٣٥)، وأبو داود (٤٤٧٤)، والترمذي (٣١٨١)، والنسائي في الكبرى (٧٣١١)، وابن ماجه (٢٥٦٧) من طرق عن محمَّد بن أبي عدي، عن محمَّد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكرة، عن عمرة، به، بنحوه.
ورواه أبو داود (٤٤٧٥) قال: حدثنا النفيلي. قال: حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق بهذا الحديث لم يذكر عائشة. قال: فأمر برجلين وامرأة ممن تكلم بالفاحشة: حسان بن ثابت ومسطح بن أُثاثة. قال النفيلي: ويقولون: المرأة حمنة بنت جحش.

وروى أبو صالح، عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ جلد عبدَ الله بن أُبيٍّ، ومسطحَ بنَ أُثاثةَ، وحسانَ بنَ ثابتٍ، وحَمنةَ بنتَ جحشٍ، فأمَّا الثلاثة فتابوا، وأمَّا عبدُ الله فمات منافقًا(١).

وبعض العلماء ينكر صحَّة هذا ويقول: لم يضرب أحدًا.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شرَّ ما خضتم فيه، وما يتضمَّن من سخط الله ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ جوابُه محذوفٌ تقديره: لعاقبكم فيما قلتم لعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال ابن عبَّاسٍ: يريد مسطحًا وحسانَ وحمنةَ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[النور: ٢١].

قوله: ﴿لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ أي: تزيينه لكم قذفَ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقد سبق شرح ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾، وبيان ﴿بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾:

وقرأ الحسنُ، ومجاهدٌ، وقتادةُ: «ما زكَّى» بتشديد الكاف(٢).

---

(١) لم أقف على هذه الرواية مسندة.

(٢) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢).

وفيمن خوطب بهذا قولان:

أحدهما: أنَّه عامٌّ في الخلقِ.

والثاني: أنَّه خاصٌّ للمتكلِّمين في الإفك.

ثُمَّ في معناه أربعةُ أقوالٍ:

أحدهما: ما اهتدى، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: ما أسلم، قاله ابنُ زيدٍ.

والثالث: ما صلح، قاله مقاتلٌ(١).

والرابع: ما طَهُرَ، قاله ابن قتيبةَ(٢).

[٥٨٢/ب] قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ﴾ أي: يطهر مَن يشاء من الإثم بالتوبةِ والغفران، فالمعنى: وقد شئت أن أتوبَ عليكم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ علم ما في نفوسكم من التوبة والندامة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور: ٢٢].

قوله: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ﴾:

وقرأ الحسنُ، وأبو العاليةَ، وأبو جعفر، وابن أبي عبلةَ: «ولا يَتَألَّ»

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٩٢).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٠٢).

بهمزةٍ مفتوحة بين التاء واللام، وتشديد اللام على وزن «يَتَعلَّ»[1].

قال المفسِّرون: سببُ نزولها، أنَّ أبا بكرٍ الصديق رضي الله عنه، كان ينفقُ على مسطحٍ لقرابته وفقره، فلمَّا خاض في أمرِ عائشةَ رضي الله عنها، قال أبو بكرٍ: والله لا أنفقُ عليه شيئًا أبدًا، فنزلت هذه الآيةُ[2].

فأمَّا الفضلُ، فقال أبو عبيدةَ: هو التفضُّلُ، والسَّعة: الجِدة[3].

قال المفسِّرون: والمرادُ به: أبو بكرٍ رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿أَن يُؤۡتُوٓاْ﴾:

قال ابنُ قتيبةَ: معناه: أن لا يؤتوا، فحذف «لا»[4].

فأمَّا قوله: ﴿أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، فإنَّه يعني مسطحًا، وكان ابنُ خالة أبي بكرٍ، وكان مسكينًا وكان مهاجرًا.

قال المفسِّرون: فلمَّا سمع أبو بكرٍ رضي الله عنه: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ قال: بلى يا رب وأعاد نفقته على مسطحٍ[5].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٢-١٠٣) عن أبي جعفر، والحسن، وعبد الله بن أبي عياش، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٢٥) زيد بن أسلم.

(٢) جاءت في حديث الإفك الطويل الذي رواه البخاري(٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٦٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٣٠٢).

(٥) جاءت في حديث الإفك الطويل الذي رواه البخاري(٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور: ٢٣- ٢٥].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ يعني: العفائف ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفواحش، ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: عذِّبوا بالجلد، وفي الآخرة بالنارِ.

واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها نزلت في عائشةَ رضي الله عنها خاصَّة.

قال خصيف: سألت سعيدَ بنَ جبيرٍ عن هذه الآية، فقلت: من قذف محصنة لعنه الله؟ قال: لا، إنَّما أنزلت هذه الآية في عائشةَ رضي الله عنها خاصَّة[١].

والثاني: أنَّها في أزواج النَّبي ﷺ خاصَّة، قاله الضَّحاكُ[٢].

والثالث: أنَّها في المهاجرات.

قال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أنَّ المرأةَ كانت إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة، قذفها المشركون من أهل مكَّةَ وقالوا: إنَّما خرجت تفجر، فنزلت هذه الآية[٣].

---

(١) رواه الثوري في تفسيره (ص:٢٢٣)، وابن جرير الطبري (١٧/ ١٦٢)، وابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٣٣٨)، والطبراني في الكبير (٢٢٦-٢٢٧).

(٢) رواه الثوري في تفسيره (ص:٢٢٣)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٢٢٧)، وابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٣٣٨).

(٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٨٢).

والرابع: أنَّها عامة في أزواج النبيِّ ﷺ وغيرهن، وبه قال قتادةُ[١]، وابنُ زيدٍ[٢].

فإنْ قيل: لم اقتصر على ذكر المحصنات دون الرجال؟

فالجواب: أنَّ مَن رمى مؤمنةً فلَا بد أن يرمي معها مؤمنًا، فاستغني عن ذكر المؤمنين ومثله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[النحل:٨١] أراد: والبرد، قاله الزَّجَّاجُ[٣].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾:

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلف: «يَشْهَدُ» بالياء، وهو إقرارها بما تكلَّموا به من الفريةِ[٤].

قال أبو سليمان الدِّمشقي: وهؤلاء غير الذين يختم على أفواههم.

وقال ابنُ جريرٍ: المعنى: أنَّ ألسنةَ بعضهم تشهد على بعضٍ[٥].

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: حسابهم العدل، وقيل: جزاءهم الواجبُ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٣٠) من طريق سعيد بن أبي عروبةَ، به، أنهَّا نزلت في شأن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٢٨٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧).

(٤) السبعة (ص: ٤٥٤)، والحجة (٥/ ٣١٧).

(٥) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٢٣٠)



وقرأ مجاهدٌ، وأبو الجوزاء، وحميدُ بنُ قيس، والأعمش: «دِينَهُمُ الحقُّ» برفع القاف[١].

﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: وذلك أنَّ عبدَ الله بن أُبيٍّ، كان يشكُّ في الدين، فإذا كانت القيامة علم حيث لا ينفعُه[٢].

قوله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[النور: ٢٦].

قوله: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: الكلماتُ الخبيثات لا يتكلَّم بها إلَّا الخبيث من الرجالِ والنساء، والكلمات الطيبات لا يتكلَّم بها إلَّا الطيبون من الرجال والنِّساءِ.

[**والثاني**: الكلمات الخبيثات، إنَّما تلصق بالخبيثين من الرِّجال والنِّساء][٣]، فأمَّا الطيبات والطيبون، فَلَا يصلح أن يقال في حقِّهم إلَّا الطيبات.

[٥٨٣/أ] **والثالث**: الخبيثاتُ من النِّساء للخبيثين من الرِّجال، والطيبات من النِّساء للطيبين من الرِّجال.

---

(١) عن ابن عباس، ومجاهد في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣)، وفي التحصيل (٥/ ٥٢٧) عن مجاهد.

(٢) البحر المحيط (٨/ ٢٦).

(٣) ما بين المعكوفين سقط من الأصل، وهو من (س).

والرابع: الخبيثات من الأعمالِ، للخبيثين من النَّاس، والخبيثون من النَّاس، للخبيثات من الأعمالِ، وكذلك الطيِّبات.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: عائشة، وصفوان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ﴿مُبَرَّءُونَ﴾ أي: منزَّهون ﴿مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ من الفِريةِ ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ في الجنة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ۝٢٩﴾[النور: ٢٧-٢٩].

قوله: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ﴾.

ذكر أهلُ التفسير أنَّ سبب نزولها: أنَّ امرأةً من الأنصارِ جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَكُونُ فِي بَيتِي على حَالٍ لَا أُحِبُّ أَنْ يَرَانِي عَلَيْهَا أَحَدٌ، فَلَا يَزَالُ يَدْخُلُ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أهلي، فنزلت هذه الآية.

فقال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد نزولها: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الْخَانَاتِ وَالْمَسَاكِنَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا سَاكِنٌ، فنزل قوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ﴾ الآيةَ[1].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٢) بدون قول أبي بكر، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٥) من طريق أشعث بن سوار الكندي، عن عدي بن ثابت، قال:=

ومعنى قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بيوتًا ليست لكم.

واختلف القُرَّاء في باء «البيوت»، فقرأ بعضهم: بضمِّها، وبعضهم: بكسرها، وقد بيَّنا ذلك في البقرة[1].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾:

قال الفَرَّاءُ: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: حتَّى تسلموا وتستأنسوا[2].

قال الزَّجَّاجُ: و﴿تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ في اللُّغة بمعنى: تستأذنوا، وكذلك هو في التفسير، والاستئذان: الاستعلام، تقول: آذنته بكذا، أي: أعلمته، وآنست منه كذا، أي: علمت منه، ومثله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] أي: علمتم. فمعنى الآية: حتَّى تستعلموا، يريد أهلها أن تدخلوا، أم لا[3]؟

قال المفسِّرون: وصفةُ الاستعلام أن تقول: السلامُ عليكم، أأدخلُ؟ ولا يجوز أن تدخلَ بيتَ غيرك إلَّا بالاستئذان لهذه الآية، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أن تدخلوا بغيرِ إذنٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّ الاستئذانَ خيرٌ فتأخذون به.

=جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَكُونُ فِي بَيْتِي عَلَى حَالٍ لَا أُحِبُّ أَنْ يَرَانِي عَلَيهَا أَحَدٌ. لَا وَالِدٌ، وَلَا وَلَدٌ، فَيَأتِي الأَبُ، فَيَدخُلُ عَلَيَّ، وَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَدخُلُ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي وَأَنَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وهذا إسناد مرسل ضعيف؛ لضعف أشعث بن سوار الكندي.

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٨٩).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٩٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩).

قال عطاء: قلت لابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أستأذن على أمِّي وأختي ونحن في بيتٍ واحدٍ؟ قال: أيسرُّكَ أن ترى منهنَّ عورة. قلت: لا. قال: فاستأذن[1].

قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا﴾ أي: إن وجدتموها خالية، ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا﴾ أي: إن ردُّوكم فلا تقفوا على أبوابهم وتلازموها، ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ يعني: الرجوع خيرٌ لكم وأفضلُ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخولِ بإذنٍ وغير إذنٍ ﴿عَلِيمٌ﴾.

فصل

وهل هذه الآيةُ منسوخةٌ أم لا؟ فيها قولان:

أحدهما: أنَّ حكمها عامٌّ في جميع البيوت، ثُمَّ نسخت منها البيوت التي ليس لها أهل يُستأذنون بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾، هذا مرويٌّ عن الحسنِ، وعكرمةَ.

والثاني: أنَّ الآيتين محكمتان، فالاستئذان شرطٌ في الأولى إذا كان للدّار أهلٌ، والثانيةُ وردت في بيوتٍ لا ساكنَ لها، والإذن لا يتصوَّر من غيرِ آذنٍ، فإذا بطل الاستئذانُ لم تكن البيوتُ الخاليةُ داخلةً في الأولى، وهذا أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ **فيها خمسةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها الخاناتُ والبيوتُ المبنيَّةُ للسَّابلَةِ ليأووا إليها، ويؤووا [٥٨٣/ ب] أمتعتهم، قاله قتادةُ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٥).



والثاني: أنَّها البيوتُ الخربةُ، والمتاع: قضاء الحاجة فيها من الغائطِ والبولِ، قاله عطاءٌ.

والثالث: أنَّها بيوتُ مكَّة، قاله محمَّدُ بنُ الحنفيَّة.

والرابع: حوانيت التُّجَّار التي بالأسواق، قاله ابنُ زيدٍ.

والخامس: أنَّها جميع البيوت التي لا ساكن لها، لأنَّ الاستئذانَ إنَّما جعل لأجل الساكن، قاله ابنُ جريجٍ.

فيخرَّج في معنى ﴿مَتَعٌ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدهما: الأمتعةُ التي تُباع وتشترى.

والثاني: إلقاء الأذى من الغائطِ والبول.

والثالث: الانتفاعُ بالبيوت؛ لاتِّقاء الحرِّ والبرد.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ التَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُولِى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَٰتِ النِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣٠-٣١].

قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ في ﴿مِنْ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها صلةٌ.

والثاني: أنَّها أصلٌ، لأنَّهم لم يؤمروا بالغضِّ مطلقًا، وإنَّما أمروا بالغضِّ عمَّا لا يحلُّ.

وفي قوله: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ قولان:

أحدهما: عمَّا لا يحلُّ لهم، قاله الجمهورُ.

والثاني: عن أن ترى، فهو أمرٌ لهم بالاستتار، قاله أبو العاليةُ، وابنُ زيدٍ.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الغضِّ وحفظِ الفروج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي: خيرٌ وأفضلُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ في الأبصار والفروج، ثُمَّ أمر النِّساء بما أمر به الرجال.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: لا يُظهرنها لغيرِ محْرَمٍ.

و﴿زِينَتَهُنَّ﴾ على ضربين: خفيَّةٌ: كالسوارين، والقُرْطَين، والدُّملُج، والقلائد، ونحو ذلك، وظاهرةٌ: وهي المشارُ إليها بقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وفيه سبعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها الثيابُ، رواه أبو الأحوص، عن ابنِ مسعودٍ، وفي لفظ آخر قال: هو الرِّداءُ[1].

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٣٣)، وفي المصنف (١٧٠٠٤)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٩٩ ـ ١٤٤٠٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٧٢١٣)، والطبراني في الكبير (٩١١٥ ـ ٩١١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣١).

والثاني: أنَّها الكفُّ والخاتمُ والوجه.

والثالث: الكحلُ والخاتمُ، رواهما سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والرابع: القُلْبان، وهما السواران والخاتم والكحل، قاله المسورُ بنُ مَخرمةَ.

والخامس: الكحل، والخاتم، والخضاب، قاله مجاهدٌ.

والسادس: الخاتم، والسوار، قاله الحسنُ.

والسابع: الوجه، والكفَّان، قاله الضَّحاكُ.

قال القاضي أبو يعلى: والقول الأوَّل أشبه، وقد نصَّ عليه أحمدُ، فقال: الزينة الظاهرةُ: الثياب، وكلُّ شيءٍ منها عورة حتَّى الظفر، ويفيد هذا تحريمُ النظر إلى شيءٍ من الأجنبيَّات لغير عذرٍ، فإنْ كان لعذرٍ مثل: أن يريد أن يتزوَّجها، أو يشهد عليها، فإنَّه ينظرُ في الحالين إلى وجهها خاصَّة، فأمَّا النظرُ إليها بغير عذرٍ، فلا يجوز لا لشهوةٍ، ولا لغيرها، وسواءٌ في ذلك الوجه والكفَّان، وغيرهما من البدن.

فإنْ قيل: فلمَ لا تبطلُ الصلاةُ بكشف وجهها؟

فالجواب: أنَّ في تغطيته مشقَّةٌ، فعفي عنه.

قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ وهي جمعُ خِمارٍ، وهو ما تغطي به المرأةُ رأسَها، والمعنى: وليُلْقِين مَقانِعَهن ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ليسترن بذلك شعورهنَّ وقُرطهنَّ وأعناقهنَّ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وإبراهيمُ النخعي، والأعمشُ: «جِيُوبِهِنَّ» بكسر الجيم(١).

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني: الخفيَّة وقد سبق بيانها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا يضعن الجلبابَ والخمارَ إلَّا لأزواجهنَّ(٢).

قوله: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني: المسلمات.

قال أحمدُ: لا يحلُّ للمسلمةِ أن تكشفَ رأسَها عند نساءِ أهلِ الذِّمَّةِ، [٥٨٤/أ] واليهودية والنصرانية لا يُقبِّلان(٣) المسلمة(٤).

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ قال أصحابُنا: المرادُ به: الإماء دون العبيد.

وقال أصحابُ الشافعيِّ: يدخل فيه العبيدُ، فيجوز للمرأةِ عندهم أن تُظهر لمملوكها ما تظهر لمحارمها، لأنَّ مذهبَ الشافعيِّ أنَّه مَحْرمٌ لها، وعندنا أنَّه ليس بمحرمٍ، ولا يجوز أن ينظر إلى غير وجهها وكفَّيها، وقد نصَّ أحمدُ على أنَّه لا يجوز أن ينظرَ إلى شعرِ مولاته.

قال القاضي أبو يعلى: وإنَّما ذكرَ الإماءَ في الآيةِ، لأنَّه قد يظنُّ الظانُّ أنَّه لا يجوز أن تبدي زينتها للإماءِ، لأنَّ الذين تقدَّم ذكرهم أحرارٌ، فلمَّا ذكرَ الإماءَ زالَ الإشكالَ.

---

(١) انظر: التيسير (ص:١٦١)، والمبسوط (ص:١٤٤).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٦).

(٣) في (س): (لا تُقبِّلان).

(٤) انظر: أحكام النساء؛ للإمام أحمد (ص:٣٨).

قوله: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ وهم الذين يتَّبعون القومَ ويكونون معهم لإرفاقهم إيَّاهم، أو لأنَّهم نشؤوا فيهم.

وللمفسِّرين في هذا التابع ستَّةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الأحمقُ الذي لا تشتهيه المرأةُ ولا يغار عليه الرَّجل، قاله قتادةُ.

وكذلك قال مجاهدٌ: هو الأبله الذي يريد الطعامَ ولا يريدُ النِّساء[1].

والثاني: أنَّه العنِّينُ، قاله عكرمةُ.

والثالث: المخنَّث كان يتَّبع الرجل يخدمه بطعامِه، ولا يستطيعُ غشيان النِّساء، ولا يشتهيهن، قاله الحسن.

والرابع: أنَّه الشيخُ الفاني.

والخامس: أنَّه الخادمُ، قالهما ابنُ السائب.

والسادس: أنَّه الذي لا يكترثُ بالنِّساء، إمَّا لكبرٍ، أو هرمٍ، أو لصغرٍ، ذكره ابنُ المنادي من أصحابنا.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿غَيْرِ﴾ صفةٌ للتَّابعين، وفيه دليلٌ على أنَّ قولَه: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ معناه: ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ والمعنى: ولا يبدينَ زينتهنَّ لمماليكهن ولا لتُبَّاعِهنَّ، إلَّا أن يكونوا غير أولي الإربةِ، والإربة: الحاجةُ، ومعناه غير ذوي الحاجات إلى النِّساءِ[2].

(١) رواه الثوري في تفسيره (ص:٢٢٥)، وكذا ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦٧) من طريق ابن أبي نجيحٍ، به.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢).

قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾:

قال ابنُ قتيبةَ: يريدُ الأطفالَ، بدليل قوله ﴿لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: لم يعرفوها[١].

قوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: بإحدى الرِّجلين على الأُخرى، ليضرب الخلخال الخلخال، فيعلم أنَّ عليها خلخالين.

قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[النور: ٣٢-٣٤].

قوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾ وهم الذين لا أزواج لهم من الرِّجالِ والنِّساءِ، يقال: رجلٌ أيِّمٌ، وامرأةٌ أيِّمٌ، ورجُلٌ أرْمَلٌ، وامْرَأةٌ أرْمَلَةٌ، ورجلٌ بِكْرٌ، وامراةٌ بِكْرٌ: إذا لم يتزوَّجا، وامرأةٌ ثيِّبٌ، ورجلٌ ثيِّبٌ: إذا كانا قد تزوَّجا، ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ أي: من عبيدكم، يقال: عبدٌ وعباد وعبيد، كما يقال: كلب وكلاب وكَليب.

(١) غريب القرآن (ص: ٣٠٤).

وقرأ الحسنُ، ومعاذٌ القارئ: «من عَبيدِكُمْ»[1].

قال المفسِّرون: والمراد بالآية الندب.

ومعنى الصلاح هاهنا: الإيمان. والمراد بالعباد المملوكون، فالمعنى: زوِّجوا المؤمنين من عبيدكم وولائدكم، ثُمَّ رجع إلى الأحرار فقال: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فأخبرهم أنَّ النِّكاح سببٌ لنفي الفقر.

قوله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: وليطلب العفَّة عن الزِّنا والحرام مَن لا يجد ما ينكح به من صداقٍ ونفقةٍ.

وقد روى ابنُ مسعودٍ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، عَلَيكُمْ بِالْبَاءَةِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَعَلَيْهِ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[2]. [٥٨٤/ب]

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: يطلبون المكاتبةَ من العبيد والإماءِ على أنفسهم.

﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه مندوبٌ إليه، قاله الجمهورُ.

والثاني: أنَّه واجبٌ، قاله عطاءٌ، وعمرو بنُ دينارٍ.

وذكر المفسِّرون: أنَّها نزلت في غلامٍ لحويطب بن عبدِ العزَّى يقال له: صبيح، سأل مولاه الكتابةَ فأبى عليه، فنزلت هذه الآية، فكاتبه

---

(١) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣)، والتحصيل (٤/ ٥٥٠)، والمحرر (٤/ ١٨٠).

(٢) رواه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠) بنحوه.

حويطب على مائة دينارٍ، ووهب له منها عشرين دينارًا[١].

قوله: ﴿إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ﴾ **فيه ستَّةُ أقوالٍ:**

أحدها: إن علمتم لهم مالًا، رواه العُوفي، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وعطاءٌ، والضَّحاكُ.

والثاني: إِنْ علمتم لهم حيلة، يعني: الكسب، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: إِنْ علمتم فيهم دينًا، قاله الحسنُ.

والرابع: إِنْ علمتم أنَّهم يريدون بذلك الخير، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والخامس: إِنْ أقاموا الصلاةَ، قاله عبيدةُ السلماني.

والسادس: إِنْ علمتم لهم صدقًا ووفاءً، قاله إبراهيمُ.

قوله: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّه خطابٌ للأغنياء الذين تجب عليهم الزَّكاة، أمروا أن يعطوا المكاتبين من سهمِ الرِّقاب.

روى عطاءٌ، عن ابن عبَّاسٍ في هذه الآية قال: هو سهمُ الرِّقاب يعطى منه المكاتبون[٢].

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٥).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٩).

والثاني: أنَّه خطابٌ للسادة أُمروا أن يعطوا مكاتبيهم من كتابتهم شيئًا.

قال أحمدُ، والشَّافعيُّ: الإيتاءُ واجبٌ، وقدَّره أحمدُ بربع مال الكتابةِ.

وقال الشَّافعيُّ: ليس بمقدَّرٍ.

وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا يجبُ الإيتاءُ.

وقد روي عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه أنَّه كاتبَ غلامًا له، يقال له: أبو أُميةَ، فَجَاءَ بنجمِهِ حينَ حلَّ، فقال: اذهب يا أبا أميةَ فاستعن به في مكاتبتك، قال: يا أمير المؤمنين لو أخَّرته حتى يكون في آخر النُّجوم، فقال: يا أبا أميَّة إنِّي أخافُ أن لا أدرك ذلك، ثُمَّ قرأ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾، قال عكرمةُ: وكان ذلك أوَّلُ نجمٍ أُدِّي في الإسلام[1].

قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾:

روى مسلمٌ في «صحيحه» من حديثِ أبي سفيانَ، عن جابرٍ رضي الله عنهما، قال: كَانَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ يَقُولُ لجَارِيَتِهِ: اذهَبِي فَابغِينَا شَيئًا، فنزلت هذه الآية[2].

قال المفسِّرون: وكان له جاريتان مُعَاذَةُ وَمُسَيْكَةُ، فكان يُكرههما على الزِّنا، ويأخذ منهما الضريبة، وكذلك كانوا يفعلونَ في الجاهليةِ، يؤاجرون إماءهم، فلمَّا جاء الإسلامُ قالت مُعَاذةُ لمُسَيكَة: إنَّ هذا الأمر الذي نحن

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٠٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٥١٠)، والبيهقي في الكبرى (٢١/ ٤٧٩) من طريق وكيع، عن أبي شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس، به، بنحوه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٤٨٢)، و مسلم (٣٠٢٩)، والبيهقي في الكبرى (١٦/ ١٠٩).

فيـه، إن كان خـيرًا فقـد اسـتكثرنا منـه، وإن كان شرًّا فقـد آن لنـا أن ندعـه، فنزلـت هـذه الآيـةُ(١).

وزعـم مقاتـلٌ أنَّهـا نزلـت في سـتِّ جـوارٍ كـنَّ لعبـد الله بـن أُبيٍّ: معـاذةُ، ومُسـيكةُ، وأُميمـةُ، وقُتيلـةُ، وعمـرةُ، وأَروى(٢).

فأمَّا الفتيات فهنَّ الإماءُ، والبغاء: الزِّنا، والتحصنُ: التعفُّف.

واختلفوا في معنى ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ على أربعةِ أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّ الـكلامَ ورد عـلى سـببٍ، وهـو الـذي ذكرنـاه، فخـرج النَّهـي عـن صفـة السـبب وإن لم يكـن شرطًـا فيـه.

والثـاني: إنَّـه إنَّـما شرط إرادة التحصُّـن، لأنَّ الإكـراه لا يتصـوَّر إلَّا عنـد [٥٨٥/أ] إرادة التحصُّـن، فأمَّـا إذا لم تـرد المـرأة التحصُّـن، فإنَّهـا تبغـي بالطَّبـع.

والثالـث: أنَّ ﴿إِنۡ﴾ بمعنـى «إذ»، ومثلـه ﴿مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقـرة:٢٧٨] ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمـران:١٣٩].

والرابـع: أنَّ في الـكلام تقديـمًا وتأخـيرًا، تقديـرُه: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ﴾ إلى قولـه: ﴿وَإِمَآئِكُمۡ﴾ ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾، ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾ ﴿لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ وهـو كسـبهن وبيـع أولادهـن ﴿وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ﴾ للمكرهـات ﴿رَّحِيمٞ﴾.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٩٨).

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو عمرانَ الجونيُّ، وجعفرُ بنُ محمَّدٍ: «مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»(١).

قوله تعالى: ﴿مُبَيَّنَٰتٍ﴾.

قرأ ابنُ عامر، وأهلُ الكوفة غير أبي بكر، وأبانُ: ﴿مُبَيِّنَٰتٍ﴾ بكسر الياء في الموضعين في هذه السورة(٢)، وآخر سورة الطلاق(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ أي: شبهًا من حالهم بحالكم أيُّها المكذِّبون، وهذا تخويفٌ لهم أن يلحقهم ما لحق المكذِّبين قبلهم.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾[النور: ٣٥].

قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: هادي أهل السماوات والأرض، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ(٤)، وبه قال أنسُ بنُ مالكٍ(٥)، وبيان هذا أنَّ النور في اللُّغة:

(١) في المحتسب (٢/ ١٠٨) عن ابن عباس، وابن جبير.

(٢) السبعة (ص:٢٢٩)، والحجة (٣/ ١٤٥)، والتيسير (ص:١٦٢).

(٣) انظر: سورة الطلاق الآية رقم (١١).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٦) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩٦) من طريق وهب بن راشد، عن فرقد=

الضيـاء، وهـو الـذي تصـل بـه الأبصـار إلى مبصراتهـا، فـوردَ النـورُ مضافًـا إلى الله تعـالى، لأنَّـه هـو الـذي يهـدي المؤمنـين ويبـين لهـم مـا يهتـدون بـه، والخلائـق بنـوره يهتـدونَ.

والثاني: مدبِّر السماواتِ والأرض، قاله مجاهدٌ، والزَّجَّاج[١].

وقـرأ أُبيٌّ بـنُ كعـبٍ، وأبو المتـوكِّل، وابـن السَّـمَيْفَع: «الله نَـوَّرَ» بفتح النون والواو وتشـديدها ونصب الراء، «السـماواتِ» بالخفضِ، «والأرضَ» بالنَّصب[٢].

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ في هاء الكنايةِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ترجع إلى الله ﷻ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: مثل هداه في قلب المؤمنِ[٣].

والثاني: أنَّها ترجعُ إلى المؤمن، فتقديره: مثل نور المؤمنِ، قاله أُبيُّ بنُ كعبٍ.

وكان أُبيٌّ، وابنُ مسعودٍ يقرآن: «مَثَلُ نُورِ مَنْ آمَنَ بِهِ»[٤].

والثالث: أنَّها ترجع إلى محمَّدٍ ﷺ، قاله كعبٌ.

والرابع: أنَّها ترجعُ إلى القرآن، قاله سفيانُ.

=السبخي، به.

ووهب ابن راشد الرقي البصري، متروكٌ. انظر: الميزان (٤/ ٣٥١).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٣).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣) عن أبي جعفر المدني، وعبد العزيز المكي.

(٣) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٧/ ٢٩٩)، وابـن أبي حاتـم (١٤٥٥٥) في تفسـيرهما، والبيهقـي في الأسـماء والصفـات (١٣٦) مـن طريـق عـلي بـن أبي طلحـة، بـه.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣) عن أُبي بن كعب.

فأمّا المشكاةُ، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنّها في موضع الفتيلة الذي هو كالأنبوبِ، والمصباح: الضوءُ، قاله ابنُ عبّاسٍ.

والثاني: أنّها القنديلُ، والمصباح الفتيلةُ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنّها الكُوَّة التي لا منفذ لها، والمصباح: السِّراج، قاله كعبٌ.

وكذلك قال الفَرَّاءُ: المشكاة الكُوَّة التي ليست بنافذة [١].

وقال ابنُ قتيبةَ: المِشْكاة الكُوَّة بلسان الحبشة[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: هي من كلامِ العرب، والمصباح: السراج، وإنَّما ذكر الزُّجَاجةَ، لأنَّ النورَ في الزُّجَاج أشدُّ ضوءًا منه في غيره[٣].

وقرأ أبو رجاءَ العطارديُّ، وابنُ أبي عبلةَ: «في زَجَاجَةٍ الزَجَاجَةُ» بفتح الزاي فيهما[٤].

وقرأ معاذٌ القارئ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ يعمر: بكسر الزاي فيهما[٥].

قال بعضُ أهل المعاني: معنى الآية: كمثل مصباحٍ في مشكاةٍ فهو من المقلوب.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٥٠).

(٢) أدب الكاتب (ص:٤٩٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٣).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣)، والتحصيل (٤/ ٥٥٠) ابن مجاهد عن نصر بن عاصم.

(٥) مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣) عن أبي رجاء، ونصر بن عاصم.

فأمَّا «الدُّريُّ»، فقرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، وأبانُ عن عاصمٌ: «دِريءُ» بكسر الدَّال وتخفيفُ الياء ممدودًا مهموزًا[1]. [٥٨٥/ ب]

قال ابنُ قتيبةَ: المعنى على هذا إنَّه من الكواكب الدَّرارئ، وهي اللاتي يَدْرَأْن عليك أي يطلُعن[2].

وقال الزَّجَّاجُ: هذا مأخوذٌ من دَرَأ يَدْرَأُ إذا اندفعَ منقضًّا، فتضاعف نورُه، يقال: تَدَارأَ الرَّجلَانِ إذا تدافعا[3].

وروى المفضلُ، عن عاصمٌ: كسر الدال وتشديد الياء من غيرِ همزٍ ولا مدٍّ، وهي قراءةُ عبد الله بنِ عمرَ، والزُّهريِّ[4].

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامر، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضمِّ الدال وكسر الراء وتشديد الياء من غير مدٍّ ولا همزٍ[5].

وقرأ عثمانُ بنُ عفَّانَ، وابنُ عبَّاسٍ، وعاصمٌ الجحدري: «دَرِيء» بفتح الدال وكسر الرّاء ممدودًا مهموزًا[6].

---

(١) السبعة (ص:٤٥٥)، والحجة (٥/ ٣٢٢_ ٣٢٣)، والمبسوط (ص:٣١٨).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٠٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤).

(٤) «دِرِّيٌّ» في التحصيل (٤/ ٥٥٠)، والكامل (ص:٣٩٥) عن المفضل، عن عاصم.

(٥) السبعة (ص:٤٥٥_٤٥٦).

(٦) عن النبي ﷺ، وقتادة، وأبان، عن عاصم في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وسعيدُ بنُ المسيب، وقتادةُ: بفتح الدّال، وتشديد الرّاء، والياء من غير مدٍّ ولا همزٍ[١].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعكرمةُ، وقتادةُ، وابنُ يعمر: بفتح الدّال وكسر الراء مهموزًا مقصورًا[٢].

قال الزَّجَّاجُ: ﴿دُرِّيٌّ﴾: منسوبٌ إلى أنَّه كالدرِّ في صفائه وحسنه[٣].

وقال الكسائيُّ: «الدُّرِّيُّ» الذي يُشْبِهُ الدُّرَّ، «والدِّرِّيُّ» جارٍ «والدَّرِّيُّ» يلتمع.

وقرأ حمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، والوليد بن عتبةَ، عن ابن عامر: بضمِّ الدال وتخفيف الياء مع إثبات الهمزة والمد[٤].

قال الزَّجَّاجُ: فالنحويُّون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا[٥].

وقال الفَرَّاءُ: ليس هذا بجائزٍ في العربيَّة، لأنَّه ليس في الكلام فُعِّيل إلَّا أعجمي مثل مُرِّيق وما أشبهه[٦].

---

(١) نصر بن عاصم، وأبو رجاء، وسعيد بن المسيب، وأبان بن عثمان في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣)، وانظر: المحتسب (٣/ ١١٠).

(٢) عن قتادة والضحاك في المحتسب (٣/ ١١٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤).

(٤) في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٦١) عن عاصم في رواية أبي بكر، وحمزة في إعراب القرآن (٢/ ١٣٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤).

(٦) معاني القرآن (٢/ ٢٥٢).

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللُّغوي: المُرِّيق: العُصْفُر أعجميٌّ معرَّبٌ[١].

وليس في كلامهم اسمٌ على زنة فُعِّيل.

قال أبو عليٍّ: وقد حكى سيبويه عن أبي الخطَّاب: كوكب دُرِّيء: من الصفات، ومن الأسماء المُرِّيق: العُصْفُر[٢].

قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بالتاء المفتوحة وتشديد القاف ونصب الدال، يريدان المصباح؛ لأنَّه هو الذي يوقد.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامر، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿دُرِّيٌّ يُوقَدُ﴾ بالياء مضمومة مع ضمِّ الدال، يريدون المصباح أيضًا.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «تُوقَدُ» بضمِّ التاء والدال، يريدون الزُّجَاجة[٣].

قال الزَّجَّاج: والمقصودُ: مصباح الزُّجَاجة، فحذف المضاف[٤].

قوله: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ أي: من زيت شجرة، فحذفُ المضافِ، يدلُّك على ذلك قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ والمرادُ بالشجرة هاهنا شجرة الزيتون، وبركتها من وجوه، فإنَّها تجمع الأدم والدُّهن والوقود، فيوقد

---

(١) المعرب (ص:٥٨٣).

(٢) الحجة (٥/ ٣٢٣).

(٣) السبعة (ص:٤٥٦)، والحجة (٥/ ٣٢٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤).

بحطب الزَّيتون، ويغسل برمادِهِ الإِبْرِيسِم، ويستخرج دهنه أسهل استخراج، ويورق غصنُه من أوَّله إلى آخره.

وإنَّما خصَّت بالذكر هاهنا دون غيرها، لأنَّ دهنها أصفى وأضوأ.

قوله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها بين الشجر فهي خضراءُ ناعمةٌ لا تصيبها الشمسُ، قاله أُبي بنُ كعبٍ، ورواه سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّها في الصحراء، لا يظلُّها جبلٌ ولا كهفٌ، ولا يواريها شيءٌ، فهو أجود لزيتها، رواه عكرمةُ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، والزَّجَّاجُ[1].

والثالث: أنَّها من شجر الجنَّة لا من شجر الدُّنيا، قاله الحسنُ.

[٥٨٦/أ] قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ أي: يكاد من صفائه يضيءُ قبل أن تصيبه النارُ، بأن يوقد به.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾:

قال مجاهدٌ: النار على الزيت[2].

وقال ابنُ السائب: المصباح نورٌ، الزُّجَاجة نورٌ[3].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٥).

(٢) رواه مجاهد في تفسيره (ص:٤٩٣)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٣١٤)، وابن أبي حاتم (١٤٦٢٢) في تفسيرهما عن ابن أبي نجيح، به.

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢١).

وقال أبو سليمانُ الدِّمشقيُّ: نورُ النار ونورُ الزيت ونورُ الزُّجَاجة.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: لنور القرآن.

والثاني: لنور الإيمان.

والثالث: لنور محمَّدٍ ﷺ.

والرابع: لدينه الإسلام.

فصل

فأمَّا وجه هذا المثل، ففيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه شبَّه نور محمَّدٍ ﷺ بالمصباح النير، فالمشكاة جوف رسول الله ﷺ، والمصباح النور الذي في قلبه، والزُّجَاجةُ قلبه فهو من شجرة مباركة، وهو إبراهيم عليه السلام، سمَّاه شجرة مباركة؛ لأنَّ أكثرَ الأنبياء من صلبه.

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهوديٌّ، ولا نصرانيٌّ، يكاد محمَّد ﷺ يتبيَّن للنَّاس أنَّه نبيٌّ ولو لم يتكلَّم.

وقال القرظيُّ: المشكاة: إبراهيمُ، والزُّجَاجة: إسماعيلُ، والمصباح: محمَّد ﷺ[1].

وقال الضَّحاكُ: شبَّه عبد المطلب بالمشكاة، وعبد الله بالزُّجاجة، ومحمَّدًا ﷺ بالمصباح[2].

---

(١) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٠٥).

(٢) المصدر السابق.



والثـاني: أنَّـه شـبَّه نـور الإيـمان في قلـب المؤمـن بالمصبـاح، فالمشـكاة: قلبـه، والمصبـاح: نـورُ الإيـمان فيـه.

وقيل: المشكاة: صدره، والمصباحُ: القرآن.

قولــه تعــالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[النـور: ٣٦-٣٨].

المعنـى: كمشـكاة ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾، ويجـوز أن تكـون متَّصلـةً بقولـه: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ ﴾ فتكـون فيهـا تكريـرًا عـلى التوكيـد، والمعنـى: يسبِّح لله رجـالٌ في بيـوتٍ.

فـإن قيـل: المشـكاةُ إنَّـما تكـون في بيـتٍ واحـدٍ فكيـف قـال: ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾؟ فعنـه جوابـان:

أحدهمـا: أنَّـه مـن الخطـاب المتلـون، الـذي يفتـح بالتوحيـد ويختـم بالجمـع، كقولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطـلاق:١].

والثـاني: أنَّـه راجـعٌ إلى كلِّ واحـدٍ مـن البيـوت، فالمعنـى: في كلِّ بيـتٍ مشـكاةٌ. [٥٨٦/ب]

وللمفسِّرين في المراد بالبيوت هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدهما: أنَّها المساجد، قاله ابن عبَّاسٍ، والجمهور.

والثاني: بيوت أزواجِ رسولِ الله ﷺ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: بيت المقدس، قاله الحسنُ.

فأمَّا ﴿أَذِنَ﴾ فمعناه أمر.

وفي معنى ﴿أَن تُرۡفَعَ﴾ **قولان**:

أحدها: أن تعظَّم، قاله الحسنُ، والضَّحاكُ.

والثاني: أن تبنى، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ.

وفي قوله: ﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ **قولان**:

أحدهما: توحيده، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: يتلى فيها كتابه، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ.

قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿يُسَبِّحُ﴾ بكسر الباء.

وقرأ ابنُ عامر، وأبو بكر عن عاصمٍ: بفتحها[١].

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو حيوة: «تُسَبِّحُ» بتاءٍ مرفوعةٍ وكسر الباء ورفع الحاء[٢].

---

(١) السبعة (ص:٤٥٦)، والحجة (٥/ ٣٢٦)، والتيسير (ص:١٥٢).

(٢) مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤) عن أبي حيوة.

وفي قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه الصلاةُ.

ثُمَّ في صلاة الغُدُوِّ قولان:

أحدهما: أنَّها صلاة الفجرِ، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: صلاةُ الضُّحى.

روى ابنُ أبي مُليكةَ، عن ابن عبَّاسٍ قال: إنَّ صلاةَ الضُّحى لفي كتاب الله، وما يغوص عليها إلَّا غواص، ثُمَّ قرأ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[1].

وفي صلاة الآصال قولان:

أحدهما: أنَّها صلاةُ الظُّهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، قاله ابنُ السائب.

والثاني: صلاةُ العصر، قاله أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

والقول الثاني: أنَّه التسبيح المعروف، ذكره بعضُ المفسِّرين.

قوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ أي: لا تشغلهم ﴿تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾.

قال ابنُ السائب: التُّجار: الجلَّابون، والباعة: المقيمون.

وقال الواقديُّ: التِّجارة هاهنا بمعنى الشراء.

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٤٨٧١) من طريق عطاء الخراساني، يَقُولُ لِطَاوُسٍ: إِنَّ ابنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «صَلَاةُ الضُّحَى فِي الْقُرْآنِ وَلَكِنْ لَا يَغُوصُ عَلَيْهَا إِلَّا غَائِصٌ».

وفي المراد بـ﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ ثلاثةُ أقوال:

أحدها: الصلاة المكتوبة، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وعطاءٌ.

وروى سالمٌ، عن ابنِ عمرَ أنَّه كان في السوق فأقيمت الصلاةُ، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال ابنُ عمرَ: فيهم نزلت: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[١].

والثاني: عن القيام بحقِّ الله، قاله قتادة.

والثالث: عن ذكر الله باللِّسان، ذكره أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: أداؤها لوقتها وإتمامها.

فإنْ قيل: إذا كان المرادُ بذكر الله الصلاةَ، فما معنى إعادتها؟

فالجواب: أنَّه بيَّن أنَّهم يقيمونها بأدائها في وقتها.

قوله: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ في معناه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ مَن كان قلبه مؤمنًا بالبعث والنشور، ازداد بصيرةً برؤية ما وعد به، ومَن كان قلبه على غير ذلك، رأى ما يوقن معه بأمر القيامة، قاله الزَّجَّاجُ[٢].

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٤٢)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٣٢١)، وابن أبي حاتم (١٤٦٤٧) في تفسيرهما.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٦).

والثاني: أنَّ القلوب تتقلَّب بين الطمع في النَّجاة والخوفِ من الهلاك، والأبصار تتقلَّبُ، تنظر من أين يؤتون كتبهم، أمن قبل اليمين، أم من قبل الشمال؟ وأي ناحية يؤخذ بهم، أذات اليمين، أم ذات الشمال؟ قاله ابنُ جريرٍ[١].

والثالث: تتقلَّبُ القلوب فتبلغ إلى الحناجر، وتتقلَّبُ الأبصار إلى الزرق بعد الكحل، والعمى بعد النظر.

قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ المعنى: يسبِّحون الله ليجزيهم ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: [٥٨٧/أ] ليجزيهم بحسناتهم، فأمَّا مساوئهم فلا يجزيهم بها ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ مالم يستحقُّوه بأعمالهم، ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قد شرحناه في آل عمران[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٣٩-٤٠].

ثُمَّ ضربَ الله مثلًا للكفَّار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ﴾.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٣٢٥).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٢٧).

قال ابنُ قتيبةَ: السرابُ: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النَّهار، والآل: ما رأيتُه في أوَّل النهار وآخره وهو يرفعُ كلَّ شيءٍ، والقيعة والقاع واحدٌ[١].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ السَّمَيْفَع: «بِقِيْعَاتٍ»[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: القِيْعَةُ: جمعُ قاعٍ، مثل جَارٍ وَجِيرَةٍ، و القِيْعَةُ والقَاعُ: ما انبسطَ من الأرض ولم يكن فيه نباتٌ، فالذي يسير فيه يَرَى كأنَّ فيه ماءً يَجْرِي، وذلك هو السَّرابُ، والآل مثلُ السرابِ، إلَّا أنَّه يرتفعُ وقت الضُّحى كالماءِ بين السَّماء والأرضِ، يحسبُه الظمآن ـ وهو الشديدُ العطش ـ ماء، حتى إذا جاء إلى موضع السراب، رأى أرضًا لا ماءَ فيها، فأعلم الله أنَّ الكافر الذي يظنُّ أنَّ عمله قد نفعه عند الله، كَظَنِّ الذي يظنُّ السرابَ ماء، وعمله قَدْ حَبِط[٣].

قوله: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: قدم على الله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي: جازاه بعملِهِ، وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن، والمرادُ به الخبرُ عن الكافرِ.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ مفسَّرٌ في البقرة[٤].

قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ في هذا المثل **قولان:**

أحدهما: أنَّه لعمل الكافر، قاله الجمهور واختاره الزَّجَّاجُ[٥].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٣٠٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤) عن مسلمة بن محارب، وفي التحصيل (٤/ ٥٥١)

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٧).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٠٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٨).

والثاني: أنَّه مثل لقلبِ الكافر في أنَّه لا يعقل ولا يبصر، قاله الفرَّاءُ[١].

فأمَّا اللُّجِّيُّ فهو العظيم اللجَّة، وهو العميقُ.

﴿يَغْشَىٰهُ﴾ أي: يعلو ذلك البحر ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: من فوق الموج موج، والمعنى: يتَّبع الموج موج، حتَّى كأن بعضه فوقَ بعضٍ، ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: من فوق ذلك الموج ﴿سَحَابٌ﴾.

ثُمَّ ابتدأ فقال: ﴿ظُلُمَٰتُۢ﴾ يعني: ظلمة البحرِ، وظلمةُ الموج الأوَّلِ، وظلمة الموج الذي فوق الموج، وظلمة السحاب.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ محيصن: «سَحَابُ ظُلُماتٍ» مضافًا[٢].

﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ يعني: إذا أخرجها مخرج، ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه لم يرها، قاله الحسنُ، واختاره الزَّجَّاج، قال: لأنَّ في دون هذه الظلمات لا يرى الكف[٣].

وكذلك قال ابنُ الأنباريِّ: معناه: لم يرها البتةَ، لأنَّه قد قام الدليل عند وصف تكاثف الظلمات على أنَّ الرؤيةَ معدومةٌ، فبان بهذا الكلام أنَّ ﴿يَكَدْ﴾ زائدة للتوكيد، بمنزلة «مَا» في قوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون:٤٠].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٥٥).

(٢) السبعة (ص: ٤٥٦)، والتيسير (ص:١٦٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٨).

والثاني: أنَّه لم يرها إلا بعد الجهد، قاله المبرِّد.

قال الفَرَّاءُ: وهذا كما تقول: ما كدت أبلغ إليك، وقد بلغت، قال الفَرَّاءُ: وهذا وجه العربيَّة(١).

فصل

فأمَّا وجه المثل، فقال المفسِّرون: لَمَّا ضرب الله للمؤمن مَثَلًا بالنور، ضرب للكافر هذا المثل بالظلمات، والمعنى: أنَّ الكافرَ في حيرةٍ لا يهتدي لرشد.

وقيل: الظلمات ظلمة الشرك، وظلمةُ المعاصي.

وقال بعضُهم: ضرب الظُّلمات مثلًا لعمله، والبحر اللُّجي لقلبه، والموج لما يغشى قلبه من الشرك والجهل والحيرة، والسحاب للرَّيْن، والختم على قلبه، فكلامُه ظلمةٌ، وعمله ظلمةٌ، ومدخله ظلمةٌ، ومخرجُه ظلمةٌ، ومصيره إلى الظُّلمات(٢) يوم القيامة. [٥٨٧/ ب]

قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: دينًا وإيمانًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: هداية، قاله الزَّجَّاجُ(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٥).

(٢) كلمة: (الظلمات) تكررت في الأصل.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٨).



قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾[النور: ٤١-٤٢].

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قد تقدَّم تفسيُره.

قوله: ﴿وَالطَّيْرُ﴾ أي: وتسبِّح له الطير ﴿صَافَّاتٍ﴾ أي: باسطاتٌ أجنحتها في الهواء: وإنَّما خصَّ الطير بالذِّكر، لأنَّها تكون بين السماءِ والأرضِ إذا طارت، فهي خارجةٌ عن جملةِ مَن في السماوات والأرض.

قوله: ﴿كُلٌّ﴾ أي: من الجملة التي ذكرها ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ قال المفسِّرون: الصلاةُ لبني آدم، والتسبيحُ لغيرهم من الخلق.

وفي المشار إليه بقوله ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه الله تعالى، والمعنى قد علمَ الله صلاةَ المصلي وتسبيحه، قاله الزَّجَّاجُ[1].

والثاني: أنَّه المصلِّي والمسبِّح.

ثُمَّ فيه قولان:

أحدهما: قد علم المصلِّي والمسبِّح صلاة نفسه وتسبيحه، أي: قد عرف ما كلف من ذلك.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٨).

والثاني: قد علِم المصلِّي صلاةَ الله وتسبيحه، أي: علم أنَّ ذلك لله تعالى وحده.

وقرأ قتادةُ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ يعمر: «كُلٌّ قَدْ عُلِّمَ» برفع العين وكسر اللام «صَلَاتُه»، «وتسبيحُه» بالرَّفع فيهما[١].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور: ٤٣].

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ أي: يسوقه، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي: يضمُّ بعضه إلى بعضٍ، فيجعل القطع المتفرِّقة قطعة واحدة.

والسحابُ لفظُه لفظ الواحد، ومعناه الجمع، فلهذا قال: ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ أي: يجعل بعض السَّحاب فوقَ بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ وهو المطرُ.

قال اللَّيثُ: الوَدْقُ المطر كلُّه شديده وهينه[٢].

قوله: ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾:

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو العالية، ومجاهدٌ، والضَّحاك: «مِنْ خَلَلِه»[٣].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٤) عن قتادة.

(٢) الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٤).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٤) عن ابن مسعود، وابن عباس، والضحاك.

والخلالُ: جمعُ خَلَلٍ، مثل: جِبَالٍ وَجَبَلٍ.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مفعولُ الإنزال محذوفٌ، تقديره: وينزِّل من السماء من جبال فيها من بَرَدٍ بَرَداً، فاستغنى عن ذكر المفعولِ للدلالة عليه «ومِنْ» الأولى لابتداءِ الغاية، لأنَّ ابتداء الإنزال من السماءِ، والثانية للتَّبعيض، لأنَّ الذي ينزِّلُه الله بعض تلك الجبالِ، والثالثة لتبيين الجنس، لأنَّ جنس تلك الجبال جنس البرد.

قال المفسِّرون: وهي جبالٌ في السماء مخلوقةٌ من برد.

وقال الزَّجَّاجُ: معنى الكلام: وينزل من السماء من جبال برد فيها، كما تقول: هذا خاتمٌ في يدي من حديدٍ، المعنى: هذا خاتمٌ حديد في يدي[1].

قوله: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: البردُ مَن يشاء فيضرُّه في زرعِه وثمرِه.

والسَّنا: الضوء، ﴿يَذْهَبُ﴾:

وقرأ مجاهدٌ، وأبو جعفرَ: «يُذْهِبُ» بضمِّ الياء وكسرِ الهاء[2].

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[النور: ٤٤] أي: يأتي بهذا، ويذهبُ بهذا، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التقلُّب ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أي: دلالة لأهلِ البصائرِ والعقول على وحدانيَّة الله وقدرته.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٩).

(٢) عن أبي جعفر المدني في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤)، وفي التحصيل (٤/ ٥٧٢) عن ابن القعقاع.

قولـه تعـالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النـور: ٤٥].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾:

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «واللهُ خَالِقُ كُلِّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ»[١].

وفي الماءِ قولان:

أحدهما: أَنَّ الماءَ أصلُ كلِّ دابَّةٍ.

والثاني: أنَّه النطفة، والمرادُ به جميع الحيوان المشاهد في الدُّنيا.

وإنَّما قال: ﴿فَمِنْهُم﴾ تغليبًا لما يعقل.

وإنَّـما لم يذكـر الـذي يمشي عـلى أكثر من أربـعٍ، لأنَّـه في رأي العـين كالذي يمـشي عـلى أربـعٍ، وقيل: لأنَّـه يعتمد في المـشي على أربعٍ، وإنَّما سـمِّي السـائر على [٥٨٨/أ] بطنهِ ماشـيًا، لأنَّ كلَّ سـائر ومسـتمرٍ يُقال له: مـاشٍ وإن لم يكن حيوانًـا، حتى إنَّه يقال: قد مشـى هـذا الأمر، هـذا قـولُ الزَّجَّاج[٢].

وقـال أبـو عبيـدةَ: إنَّما هذا على سـبيل التشـبيه بالمـاشي، لأنَّ المـشي لا يكون عـلى البطـن، إنَّـما يكـون لمن لـه قوائـم، فإذا خلطـوا ما لـه قوائم بـما لا قوائـم له، جـاز ذلـك، كـما يقولـون: أكلـتُ خبـزًا ولبنًا، ولا يقـال: أكلـتُ لبنًا[٣].

---

(١) «واللهُ خَالِقُ كُلِّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ» بألف على الإضافة. السبعة (ص:٤٥٧)، وإعراب القرآن (٣/ ٩٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٠).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٦٨).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[النور: ٤٦-٥٢].

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ قال المفسِّرون: نزلت في رجلٍ من المنافقين، يقال له: بشر، كان بينه وبين يهوديٍّ حكومة، فدعا اليهودي المنافق إلى رسولِ الله ﷺ ليحكم بينهما، فقال المنافقُ لليهوديِّ: إنَّ محمَّدًا يحيف علينا، ولكن بيني وبينك كعب بن الأشرفِ، فنزلت هذه الآيةُ[1].

قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ يعني: المنافقين ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد قولهم: آمنا ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يعني: المعرضين عن حكمِ الله ورسوله بالمؤمنين.

﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه، ﴿وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الرسولُ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ومعنى الكلام: أنَّهم كانوا يعرضون عن حكمِ الرَّسول عليهم، لعلمهم أنَّه يحكم بالحقِّ، وإن كان الحقُّ لهم على غيرهم، أسرعوا إلى حكمه مذعنين، لثقتهم أنَّه يحكم لهم بالحقِّ.

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٧).

قال الزَّجَّاج: والإذعان في اللُّغة: الإسراعُ مع الطاعة، تقول: قد أذعنَ لي، أي: قد طاوعني لِمَا كُنتُ ألتمِسُه منه[١].

قوله: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: كفر ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾ أي: شكوا في القرآن؟ وهذا استفهامُ ذمٍّ وتوبيخ، والمعنى: إنَّهم كذلك، وإنَّما ذكره بلفظِ الاستفهام ليكون أبلغ في ذمِّهم، كما قال جريرُ في المدح [من الوافر][٢]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

أي: أنتم كذلك.

فأمَّا الحيف، فهو: الميلُ في الحكم، يقالُ: حاف في قضيَّته، أي: جار، ﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا يظلمُ الله ورسوله أحدًا، بل هم الظَّالمون لأنفسهم بالكفرِ والإعراضِ عن حكمِ الرَّسول ﷺ.

ثُمَّ نعت المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال الفَرَّاءُ: ليس هذا بخبرٍ ماضٍ، وإنَّما المعنى: إنَّما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا أن يقولوا سمعنا[٣].

وقرأ الحسنُ، وأبو الجوزاء: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ» بضمِّ اللام[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٠).

(٢) في ديوانه (ص: ٨٥)، وشرح شواهد المغني (١/ ٤٢)، ولسان العرب (٧/ ١٠١)، ومغني اللبيب (١/ ١٧).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٥٨).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٤) عن الحسن.

وقرأ أبو جعفرَ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ أبي ليلى: «لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ» برفع الياءِ وفتح الكاف(١).

وقال المفسِّرون: والمعنى: سمعنا قولَ رسولِ الله ﷺ وأطعنا أمرَه، وإن كان ذلك فيما يكرهونه.

قوله: ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما مضى من ذنوبه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما بعد أن يعصيه.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وورش، عن نافعٍ: «ويَتَّقْهِي» موصولة بياء.

وروى قالونُ، عن نافعٍ: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بكسر الهاءِ لا يبلغ بها الياء.

وقرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامر، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «وَيَتَّقِهْ» جزمًا(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٣-٥٤].

قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ قال المفسِّرون: لَمَّا نزل في هؤلاء المنافقين ما نزل من بيان كراهتهم لحكمِ الله، قالوا للنَّبيِّ ﷺ: والله لو أمرتنا أن نخرج [٥٨٨/ب] من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا، فكيف لا نرضى حكمك؟ فنزلت

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤)، والتحصيل (٤/ ٥٧٢) عن يزيد بن القعقاع.

(٢) السبعة (ص:٤٥٧)، والتيسير (ص:١٦٢-١٦٣).

هـذه الآيـة، وقـد بيَّنـا معنـى ﴿ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾[1].

قولـه: ﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ مـن أموالهـم وديارهـم، وقيـل: ليخرجـنَّ إلى الجهـاد، ﴿ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ﴾ هـذا تمـامُ الـكلام، ثُـمَّ قـال: ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أمْثَلُ من قسمكم الذي لَا تَصْدُقُونَ فِيهِ طاعةٌ معروفةٌ[2].

قـال ابـنُ قتيبـةَ: وبعـضُ النحويـين يقـول: الضمـير فيهـا: لِيكـنْ منكـم طاعـةٌ معروفـةٌ، أي: صحيحـةٌ لا نفـاق فيهـا.

قولـه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ هـذا خطـابٌ لهـم، والمعنـى: فـإن تتولَّـوا فحـذف إحـدى التاءيـن، ومعنى التولِّي: الإعـراضُ عن طاعةِ الله ورسـولِه، ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ﴾ يعنـي: الرسـول، ﴿ مَا حُمِّلَ ﴾ مـن التبليـغ ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ مـن الطَّاعـة.

وذكر بعضُ المفسِّرين أنَّ هذا منسوخ بآية السيفِ، وليس بصحيحٍ.

قولـه: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ ﴾ يعنـي: رسـول الله ﷺ ﴿ تَهْتَدُوا۟ ﴾، وكان بعـضُ السـلفِ يقـول: مَـنْ أمَّـر السُّـنَّة عـلى نفسـه قـولًا وفعـلًا نطـق بالحكمـةِ، ومـن أمَّـر الهـوى عـلى نفسِـه قـولًا وفعـلًا، نطـق بالبدعـة لقولـه: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾.

---

(١) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٥٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥١).

قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) ﴾[النور: ٥٥-٥٦].

قوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾.

روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديثِ أُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه، قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْمَدِينَةَ، وَآوَتْهُمُ الْأَنْصَارُ، رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، كَانُوا لَا يَبِيتُونَ إِلَّا بِالسِّلَاحِ وَلَا يُصْبِحُونَ إِلَّا فِيهِ، فَقَالُوا: تَرَوْنَ أَنَّا نَعِيشُ حَتَّى نَبِيتَ آمِنِيْنِ مُطْمَئِنِّينَ لَا نَخَافُ إِلَّا الله؟ فنزلت هذه الآية[1].

قال أبو العالية: لمَّا أظهر الله عز وجل رسوله على جزيرة العرب، وضعوا السلاح وأمنوا، ثُمَّ قبض الله نبيه، فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، حتَّى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة، فأدخل الله عز وجل عليهم الخوف، فغيَّروا فغير الله تعالى ما بهم[2].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٠٢٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٤)، والبيهقي في الاعتقاد (ص:٢٦٥)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٨) من طريق أحمد بن سعيد الدارمي، عن علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، به، بنحوه. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٧).

وروى أبـو صالـحٍ، عـن ابـن عبَّـاسٍ: أنَّ هـذا الوعـد وعـده الله أمَّـة محمَّـدٍ في التـوراةِ والإنجيـلِ[١].

وزعـم مقاتـلٌ أنَّ كفَّـار مكَّـة لـما صـدُّوا رسـول الله ﷺ والمسـلمين عـن العمـرةِ عـام الحديبيـة، قـال المسـلمون: لـو أنَّ الله تعـالى فتـح علينـا مكَّـةَ، فنزلـت هـذه الآيـة[٢].

قولـه: ﴿لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾ أي: ليجعلنَّهـم يخلفـون مـن قبلهـم، والمعنـى: ليورثنَّهـم أرضَ الكفَّـار مـن العـرب والعجـمِ، فيجعلهـم ملوكهـا وساسـتها وسـكَّانها، وعـلى قـول مقاتـل المـرادُ بـالأرضِ مكَّـةَ.

قوله: ﴿كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾.

وقـرأ أبـو بكـرٍ، عـن عاصـمٍ: «كَـمَا اسْـتُخْلِفَ» بضـمِّ التـاءِ وكـسر الـلام[٣]، يعنـي: بنـي إسرائيـل، وذلـك أنَّـه لَّـما هلكـت الجبابـرةُ بمـصرَ، أورثهـم الله أرضهـم وديارهـم وأموالهـم.

قولـه: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ﴾ وهـو الإسـلام، وتمكينـه: إظهـارُه عـلى كلِّ ديـنٍ، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾.

وقـرأ ابـنُ كثـيرٍ، وأبـو بكـرٍ، وأبـانُ، ويعقـوبُ: «وَلَيُبْدِلَنَّهُـمْ» بسـكون البـاء وتخفيـف الـدَّال[٤].

---

(١) أورده في البحر المحيط (٨/ ٦٤).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٠٦).

(٣) السبعة (ص: ٤٥٨)، والتيسير (ص:١٦٣).

(٤) السبعة (ص:٤٥٨)، والمبسوط (ص: ٣٢٠).

﴿مِنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ لأنَّهم كانوا مظلومين مقهورين، ﴿يَعۡبُدُونَنِي﴾ هذا استئناف كلامٍ في الثناء عليهم، ﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ بهذه النِّعم، أي: جحد حقَّها.

قال المفسِّرون: وأوَّل مَن كفر بهذه النِّعم قتَلَةُ عثمان. [٥٨٩/أ]

قوله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[النور: ٥٧].

قوله: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

قرأ ابنُ عامر، وحمزةُ عن عاصمٍ: «لا يَحْسَبَنَّ» بالياء وفتح السين.

وقرأ الباقون: بالتاء وكسر السين[1].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾[النور: ٥٨-٦٠].

(١) السبعة (ص: ٢٢٠)، والمبسوط (ص: ٩٣).

قوله: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ وجَّه غلامًا من الأنصار يقال له: مدلج بنُ عمرٍو إلى عمرَ بنِ الخطَّاب وقت الظهيرةِ ليدعوه، فدخل فرأى عمرَ على حالةٍ كره عمرُ رؤيته عليها، فقال: يا رسولَ الله وددت لو أنَّ الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ[1].

والثاني: أنَّ أسماءَ بنتَ مَرثد كان لها غلامٌ، فدخل عليها في وقتٍ كرهته، فأتت رسولَ الله ﷺ فقالت: إنَّ خدمنا وغلماننا يدخلونَ علينا في حالة نكرهها، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مقاتلٌ[2].

ومعنى الآية: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم، وفيهم قولان:

أحدهما: أنَّه أراد الذكورَ دون الإناثِ، قاله ابنُ عمرَ.

والثاني: الذكورُ والإناثُ، رواه أبو حصين، عن أبي عبدِ الرحمن.

ومعنى الكلام: ليستأذنكم مماليككم في الدُّخول عليكم.

قال القاضي أبو يعلى: والأظهرُ أن يكون المراد العبيد الصغار والإماء الصغار، لأنَّ العبدَ البالغ بمنزلة الحرِّ البالغ في تحريم النظر إلى مولاته، فكيف يضاف إلى الصبيان الذين هم غير مكلَّفين.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ﴾.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٠٦).



وقرأ عبدُ الوارث: «الحُلْم» باسكان اللام(١)، ﴿مِنكُمْ﴾ أي: من أحراركم من الرجالِ والنساءِ، ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾ أي: ثلاثة أوقاتٍ، ثُمَّ بينها فقال:

﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ وذلك؛ لأنَّ الإنسانَ قد يبيتُ عُريانًا، أو على حالةٍ لا يحبُّ أن يُطَّلع عليه فيها ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي: القائلة ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ﴾ حين يأوي الرَّجل إلى زوجته.

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾ برفع الثاءِ من ثلاث، والمعنى هذه الأوقات هي ثلاثُ عورات، لأنَّ الإنسانَ يضعُ فيها ثيابه، فربَّما بدت عورتُه.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «ثَلاَثَ عَوْرَاتٍ» بنصبِ الثاءِ(٢).

قال أبو عليٍّ: وجعلوه بدلًا من قوله: «ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» والأوقاتُ ليست عورات، ولكن المعنى: أنَّها أوقات ثلاث عورات، فلمَّا حذف المضافَ أعرب بإعراب المحذوفِ(٣).

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٤) عن عبد الوارث، عن أبي عمرو، وابن مجاهد، عن أبي عمرو، وفي التحصيل (٤/ ٥٧٣) عن الحسن.

(٢) السبعة (ص: ٤٥٩)، والمبسوط (ص:٣٢١).

(٣) الحجة (٥/ ٣٣٣).

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلميُّ، وسعيدُ بنُ جبير، والأعمشُ: «عَوَرَاتٍ» بفتح الواو[1].

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: المؤمنين الأحرار ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: الخدم والغلمان ﴿جُنَاحٌ﴾ أي: حرج ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد مضي هذه الأوقاتِ في أن لا يستأذنوا، فرفعَ الحرجَ عن الفريقين، ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هم طوَّافون عليكم ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يطوفُ بعضُكم، وهم المماليك، على بعضٍ، وهم الأحرارُ.

فصل

وأكثرُ علماء المفسِّرين على أنَّ هذه الآية محكمةٌ، وممن روي عنه ذلك ابنُ عبَّاسٍ، والقاسمُ بنُ محمَّدٍ، وجابرُ بنُ زيدٍ، والشعبيُّ.

وحكي عن سعيدِ بنِ المسيبِ، أنَّها منسوخةٌ بقوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أي: من الأحرار ﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾، أي: في جميع الأوقات في الدُّخول عليكم ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كما استأذن [٥٨٩/ب] الأحرار الكبار، الذين هم قبلهم في الوجودِ، وهم الذين أمروا بالاستئذان على كلِّ حالٍ؛ فالبالغ يستأذنُ في كلِّ وقتٍ، والطفلُ والمملوك يستأذنان في العورات الثلاث.

(١) مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤) عن ابن أبي إسحاق.

قوله: ﴿ وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: يعني: العُجُزَ، واحدها: قاعدٌ. ويقال: إنَّما قيل لها: قاعدٌ لقعودها عن الحيضِ والولد، وقد تقعد عن الحيضِ والولد ومثلُها يرجو النِّكاح، ولا أراها سميتْ قاعدًا إلَّا بالقعود، لأنَّها إذا أسَنَّتْ عجزتْ عن التَّصرُّفِ وكثرة الحركة، وأطالت القعودَ فقيل لها قاعدٌ بلا هاءٍ، ليُدلَّ حذف الهاء على أنَّه قعودُ كِبَرٍ، كما قالوا: امرأةٌ حاملٌ، ليُدلَّ بحذفِ الهاءِ على أنَّه حمل حَبَلٍ، وقالوا في غير ذلك: قاعدةٌ في بيتها، وحاملةٌ على ظهرها[١].

قوله: ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ أي: عندَ الرِّجالِ، ويعني بالثياب: الجلباب والرِّداء والقناع الذي فوق الخمارِ، هذا المرادُ بالثياب، لا جميع الثياب، ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾ أي: من غيرِ أن يردن بوضعِ الجلبابِ أن ترى زينتهنَّ، والتبرُّج إظهار المرأة محاسنها، ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ ﴾ فلا يضعن تلكَ الثيابِ ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: والعربُ تقول: امرأةٌ واضعٌ: إذا كبِرتْ فوضعتْ الخِمارَ، ولا يكونُ هذا إلَّا في الهرِمة[٢].

قال القاضي أبو يعلى: وفي هذه الآية دلالةٌ على أنَّه يباحُ للعجوز كشف وجهها ويديها بين يدي الرِّجال، وأمَّا شعرُها فيحرمُ النظر إليه كشعر الشابَّة.

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٠٨).

(٢) المصدر السابق.

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[النور: ٦١].

قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾.

في سبب نزولها خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] تحرَّج المسلمونَ عن مُؤاكَلَةِ الْمَرضَى والزَّمْنَى والْعُمْيِ والْعُرْجِ، وقالوا: الطَّعامُ أفضَلُ الْأمْوَالِ، وقد نَهى الله تعالى عن أكلِ المالِ بالباطلِ، والْأعْمَى لَا يُبْصِرُ مَوْضِعَ الطَّعامِ الطَّيب، والمريضُ لَا يستوفي الطَّعام، فنزلت هذه الآية، قاله ابنُ عبَّاسٍ[1].

والثاني: أن ناسًا كانوا إذا خرجوا مع رسول الله ﷺ وَضعُوا مَفاتيحَ بُيُوتِهم عنْدَ الْأَعمَى والأعرجِ والمريضِ، وعند أقارِبِهم، وكانُوا يأمُرُونهُم أن يَأكُلُوا ممَّا في بُيُوتِهم، إذا احْتَاجُوا، فكَانُوا يتَّقُونَ أن يأكُلُوا منها، ويقولون: نَخْشَى أن لا تَكُونَ أَنْفُسُهُم بذلك طيبةً، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب[2].

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٣٠).

(٢) رواه أبو داود في المراسيل (ص:٣٢٣)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٣٠)



والثالث: أن العُرجانُ والعُميانُ كانُوا يمتنعون عن مُؤاكلةِ الأصحَّاءِ، لأَنَّ النَّاس يتقذَّرونهُم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ جبير، والضَّحاكُ(١).

والرابع: أنَّ قومًا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ كانُوا إذا لم يكن عندهم ما يُطعِمُون المريضَ والزَّمِن ذهبوا به إلى بيوتِ آبائهم وأمَّهاتهم، وبعض من سمَّى الله ﷻ في هذه الآية، فكان أهل الزَّمانةِ يتحرَّجون من أكلِ ذلك الطعام لأنَّه أطعمهم غير مالكه، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهدٌ(٢).

والخامس: أنَّها نزلت في إسقاطِ الجهادِ عن أهل الزَّمانة المذكورين في الآية، قاله الحسنُ وابن زيدٍ(٣).

فعلى القول الأوَّل يكون معنى الآية: ليس عليكم في الأعمى حرجٌ أن تأكلوا معه، ولا في الأعرج، وتكون «على» بمعنى «في»، ذكره ابنُ جرير(٤). [٥٩٠/أ]

وكذلك يُخَرَّج معنى الآية على كلِّ قولٍ بما يليق به.

وقد كان جماعةٌ من المفسِّرين يذهبون إلى أنَّ آخر الكلامِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ وأنَّ ما بعده مستأنفٌ لا تعلُّق له به، وهو يقوِّي قول الحسن، وابن زيد.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٣٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٦٧) من طريق ابن أبي نجيح به، وأورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٣٠).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٦٧).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٣٦٦).

قوله تعالى: ﴿أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها بيوت الأولاد.

والثاني: البيوت التي يسكنونها وهم فيها عيال غيرهم فيكون الخطابُ لأهل الرَّجلِ وولده وخادمه، ومن يشتمل عليه منزله، ونسبها إليهم؛ لأنَّهم سكَّانها.

والثالث: أنَّها بيوتهم، والمرادُ أكلهم من مال عيالهم وأزواجهم، لأنَّ بيت المرأة كبيت الرَّجل.

وإنَّما أباحَ الأكل من بيوت القرابات المذكورينَ، لجريان العادةِ ببذلِ طعامِهم لهم، فإن كان الطعامُ وراء حرزٍ لم يجز هتكُ الحرز.

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الوكيل، لا بأسَ أن يأكلَ اليسير، وهو معنى قول ابن عبَّاسٍ.

وقرأها سعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو العالية: «مُلِّكْتُم» بضمِّ الميم وتشديد اللام مع كسرها على ما لم يسمَّ فاعلُه[1]، وفسَّرها سعيدٌ فقال: يعني القهرمان الذي بيده المفاتيح.

وقرأ أنسُ بنُ مالكٍ، وقتادةُ، وابنُ يعمر: «مِفْتاحه» بكسرِ الميم على التوحيدِ[2].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٤ ـ ١٠٥) عن ابن جبير، وزاد في التحصيل (٤/ ٥٧٣) قتادة.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٥) عن قتادة.

والثاني: بيت الإنسان الذي يملكُه، وهو معنى قول قتادة.

والثالث: بيوت العبيد، قاله الضَّحاكُ.

قوله : ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: نزلت هذه في الحارثِ بنِ عمرٍو، خرج مع رسولِ الله ﷺ غازيًا وخلَّف مالك بن زيد على أهله، فلما رجعَ وجده مجهودًا فقال: تحرَّجت أن آكلَ من طعامكَ بغير إذنكَ، فنزلت هذه الآيةُ[1].

وكان الحسنُ وقتادةُ يريان الأكلَ من طعام الصديق بغير استئذانٍ جائزًا.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ في سبب نزول هذه الآية ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ حيًّا من بني كنانة يقال لهم: بنو ليثٍ كانوا يتحرَّجون أن يأكلَ الرجل الطعامَ وحده، فربَّما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرَّواح، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قتادةُ والضَّحاكُ[2].

والثاني: أنَّ قومًا من الأنصارِ، كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيفٌ إلَّا مع ضيفهم، فنزلت هذه الآية، ورخَّص لهم أن يأكلوا جميعاً أو أشتاتًا، قاله عكرمةُ[3].

---

(١) أورده البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٤٣١).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٣٠).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٧٧) من طريق أبي صالح، به.

والثالث: أنَّ المسلمينَ كانوا يتحرَّجون من مؤاكلة أهل الضُّرِّ خوفًا من أن يستأثروا عليهم، ومن الاجتماع على الطعام، لاختلافِ النَّاس في مآكلهم وزيادة بعضهم على بعضٍ، فوسَّع عليهم وقيل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ أي: متفرِّقين، قاله ابنُ قتيبةَ[1].

قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ **فيها ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: أنَّها بيوت أنفسكم، فسلِّموا على أهاليكم وعيالكم، قاله جابرُ بنُ عبد الله، وطاووسُ، وقتادةُ.

والثاني: أنَّها المساجدُ فسلِّموا على مَن فيها، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثالث: بيوتُ الغير، فالمعنى: إذا دخلتم بيوت غيركم فسلِّموا عليهم، قاله الحسنُ. [٥٩٠/ ب]

قوله: ﴿تَحِيَّةً﴾:

قال الزَّجَّاجُ: هي منصوبةٌ على المصدر، لأنَّ قولَه: ﴿فَسَلِّمُوا۟﴾ بمعنى: فحيُّوا وليحيِّ بعضُكم بعضًا تحيةً[2].

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾:

قال مقاتلٌ: مباركة بالأجر، ﴿طَيِّبَةً﴾ أي: حسنةٌ[3].

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٠٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٥).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢١٠).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾[النور: ٦٢].

قوله: ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ يعني مع رسول الله ﷺ ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أي: على أمر طاعةٍ يجتمعون عليها، نحو الجهاد والجمعة والعيد ونحو ذلك ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ قال المفسِّرون: كان رسولُ الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرجَ من المسجد لحاجةٍ أو عذرٍ، لم يخرج حتَّى يقوم بحيال رسولِ الله ﷺ حيث يراه، فيعرف أنَّه إنَّما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم، فالأمرُ إليه في ذلك.

قال مجاهدٌ: وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشيرَ بيدِه(١).

قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ أي: لخروجِهم عن الجماعة إن رأيت لهم عذرًا.

قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٣-٦٤].

قوله: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٩١٣) من طريق ابن أبي نجيح، به.

أحدها: أنَّه نهي عن التعرُّض لإسخاطِ رسولِ الله ﷺ، فإنَّه إذا دعا على شخصٍ فدعوته موجبة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهم أمروا أن يقولوا: يا رسول الله، ونهوا أن يقولوا: يا محمَّد، قاله سعيدُ بنُ جبير، وعلقمةُ، والأسودُ، وعكرمةُ، ومجاهدٌ.

والثالث: أنَّه نهي لهم عن الإبطاءِ إذا أمرهم والتأخرِ إذا دعاهم، حكاه الماورديُّ[1].

وقرأ الحسنُ، وأبو رجاء، وأبو المتوكِّل، ومعاذٌ القارئ: «دعاء الرسولِ نَبِيِّكم» بياءٍ مشدَّدةٍ ونونٍ قبل الباءِ[2].

قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ التَّسلل: الخروج في خفية، واللواذ: أن يستتر بشيءٍ مخافةَ مَن يراه، والمرادُ بقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ﴾ التهديد بالمجازاة.

قال الفَرَّاءُ: كان المنافقونَ يشهدونَ الجمعة، فيذكِّرهم رسولُ الله ﷺ ويعيبهم بالآيات التي أنزلت فيهم، فإن خفي لأحدهم القيامُ قام فذلك قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ أي: يلوذُ هذا بهذا أي: يستتر ذا بذا وإنَّما قال: ﴿لِوَاذًا﴾ لأنَّها مصدرُ «لاوَذْتُ» ولو كان مصدرًا لـ «لذت» لقلت: «لذتُ لِياذًا» كما تقول: قمت قيامًا.

وكذلك قال ثعلبُ: وقع البناءُ على لاوَذَ مُلاوَذةً، ولو بني على لاذ يَلُوذ، لقيل: لياذاً.

(١) انظر: النكت والعيون (٤/ ١٢٧).

(٢) عن الحسن، ويعقوب في البحر المحيط (٧/ ٤٧٦).

وقيل: هذا كان في حفرِ الخندقِ، كان المنافقون ينصرفونَ عن غير أمرِ رسولِ الله ﷺ مختفين.

قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان:

إحداهما: أنَّها ترجعُ إلى الله ﷻ، قاله مجاهدٌ.

والثاني: إلى رسولِ الله ﷺ، قاله قتادةُ.

وفي «عن» قولان:

أحدهما: أنَّها زائدةٌ، قاله الأخفشُ.

والثاني: أنَّ معنى ﴿يُخَالِفُونَ﴾ يعرضون عن أمره.

وفي الفتنة هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الضلالة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: بلاء في الدُّنيا، قاله مجاهدٌ.

والثالث: كفر، قاله السُّدِّيُّ، ومقاتلٌ(١).

قوله: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: القتلُ في الدنيا.

والثاني: عذابُ جهنَّم في الآخرةِ.

قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: ما في أنفسكم وما تنطوي عليه ضمائركم من الإيمانِ والنِّفاق، وهذا تنبيهٌ على الجزاءِ على ذلك.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢١١).

سورة الفرقان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ۝٣﴾ [الفرقان: ١-٣].

قال ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وقتادةُ في آخرين: هي [٥٩١/أ] مكِّيةٌ[١].

وحكي عن ابنِ عبَّاسٍ، وقتادةَ أنَّهما قالا: إلَّا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[الفرقان: ٦٨-٧٠].

قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ قد شرحناه في الأعراف[٢]، و﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾: القرآن، سمِّي فرقانًا؛ لأنَّه فُرِّقَ به بين الحقِّ والباطل، والمراد بعبده: محمَّد ﷺ.

﴿لِيَكُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه كنايةٌ عن عبدِه، قاله الجمهورُ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٢٣).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٥٤).

والثاني: عن القرآن، حكاه الماورديُّ(١).

قوله: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني: الجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ أي: مخوفًا من عذابِ الله.

قوله: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: سوَّاه وهيَّأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت.

والثاني: قدر له ما يصلحه ويقيمه.

والثالث: قدر له تقديرًا من الأجلِ والرزقِ.

ثُمَّ ذكر ما صنعه المشركون فقال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يعني: الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقةٌ ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دفع ضرٍّ، ولا جرّ نفعٍ؛ لأنَّها جمادٌ لا قدرة لها، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ أي: لا تملك أن تميت أحدًا، ولا أن تحيي أحدًا، ولا أن تبعث أحدًا من الأموات، والمعنى: كيف يعبدون ما هذه صفته، ويتركون عبادةَ مَن يقدر على ذلك كلِّه؟

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾[الفرقان: ٤-٦].

---

(١) النكت والعيون (٤/ ١٣٠).

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: مشركي قريش.

وقال مُقاتلٌ: هو قولُ النَّضر بن الحارث من بني عبدِ الدار[١].

﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا يعنون القرآنَ ﴿إِلَّآ إِفۡكٌ﴾ أي: كذبٌ ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ أي: اختلقه من تلقاءِ نفسِه ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾.

قال مجاهدٌ: يعنون اليهود[٢].

وقال مُقاتلٌ: أشاروا إلى عَدَّاس مولى حُويطب، ويسار غلام عامر بن الحضرمي، وجبر مولى لعامر أيضًا، وكان الثلاثةُ من أهل الكتابِ[٣].

قوله: ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾:

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فقد جاؤوا بظلمٍ وزور، فلمَّا سقطت الباءُ أفْضَى الفِعْلُ فَنَصَبَ[٤].

والزُّور: الكذب.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين، وقد بيَّنا ذلك في الأنعامِ[٥].

قال المفسِّرون: والذي قال هذا هو النَّضرُ بنُ الحارثِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٢٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٩٨) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٢٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٨).

(٥) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٢٤).

ومعنى ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ أمر أن تكتب له.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وإبراهيمُ النخعي، وطلحةُ بنُ مصرِّفٍ: «اكْتُتِبَهَا» برفعِ التَّاء الأولى وكسر الثانية[1]، والابتداءُ على قراءتهم برفعِ الهمزة ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ أي: تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، لأنَّه لم يكن كاتباً.

﴿بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: غدوة وعشيًّا ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿أَنزَلَهُ﴾ يعني: القرآن ﴿ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ أي: لا يخفى عليه شيءٌ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٩﴾[الفرقان: ٧-٩].

قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني: المشركين ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ أنكروا أن يكون الرسولُ بشرًا يأكلُ الطعام ويمشي في الطرق كما يمشي سائرُ النَّاس يطلب المعيشة، والمعنى: أنَّه ليس بملَك ولا ملِك؛ لأنَّ الملائكةَ لا تأكلُ، والملوكُ لا تتبذل في الأسواق، فعجبوا أن يكون مساويًا للبشرِ لا يتميَّز عليهم بشيءٍ، وإنَّما جعله الله بشرًا؛ ليكون مجانسًا للذين [٥٩١/ب] أرسل إليهم، ولم يجعله ملِكاً يمتنع من المشي في الأسواقِ، لأنَّ ذلك من فعل الجبابرة، ولأنَّه أمر بدعائهم فاحتاج أن يمشي بينهم.

---

(١) عن ابن مصرف في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٥)، والمحتسب (٢/ ١١٧)، والتحصيل (٥/ ١٧)، والمحرر (٤/ ٢٠٠)، والبحر المحيط (٨/ ٨٢).

قولـه: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وذلـك أنَّهـم قالـوا لـه: سـل ربَّـك أن يبعـث معـك مَلَـكًا يصدِّقـك، ويجعـل لـك جِنَانًـا وقصـورًا وكُنُـوزاً، فذلـك قولـه: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ أي: يَنْزِل إليـه مـن السماءِ ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: بسـتان يـأكل مـن ثـمارِه.

قـرأ ابـنُ كثيرٍ، ونافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وعاصـمٌ، وابـنُ عامـر: ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ باليـاء يعنـون النَّبـي ﷺ.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: «نَأْكُلُ» بالنون[1].

قـال أبـو عـليٍّ: المعنـى: يكـون لـه علينـا مزيَّـة في الفضـلِ بأكلنـا مـن جنَّتـه[2]، وباقـي الآيـة مفسَّر في بنـي إسرائيـل[3].

قولـه: ﴿ٱنظُرْ﴾ يـا محمَّـدُ ﴿كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ حـين مثلـوك بالمسـحور وبالكاهـن والمجنـون والشـاعر ﴿فَضَلُّواْ﴾ بهـذا عـن الهـدى.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يستطيعونَ مخرجًا من الأمثالِ التي ضربوها، قاله مجاهدٌ.

والمعنى: أنَّهم كذبوا ولم يجدوا على قولهم حجةً وبرهانًا.

وقال الفرَّاءُ: لَا يستطيعون في أمرك حيلةً[4].

---

(١) السبعة (ص:٤٦٢)، والحجة (٥/ ٣٣٥)، والمبسوط (ص:٣٢٢).

(٢) الحجة (٥/ ٣٣٦).

(٣) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٤٧).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٦٣).

والثاني: سبيلاً إلى الطاعة، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾[الفرقان: ١٠-١٤].

ثُمَّ أخبر أنَّه لو شاء لأعطاه خيرًا ممَّا قالوا في الدُّنيا، وهو قوله: ﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ يعني: لو شئت لأعطيتك في الدُّنيا خيرًا ممَّا قالوا، لأنَّه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة.

﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامر، وأبو بكرٍ، عن عاصمٍ: «وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُوراً» برفع اللام.

وقرأ أبو عمرو، ونافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَيَجْعَل﴾ بجزم اللام[1].

فمن قرأ بالجزم كان المعنى: إن يشأ يجعل لك جنَّات ويجعل لك قصورًا.

ومن رفع فعلى الاستئناف، المعنى: ويجعل لك قصورًا في الآخرة.

---

(١) السبعة (ص:٤٦٢)، والحجة (٥/ ٣٣٦)، والتيسير (ص:١٦٣).

وقد سبق معنى ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾[1]، ومعنى: ﴿سَعِيرًا﴾[2].

قوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

قال السُّدِّيُّ عن أشياخه: من مسيرةِ مائةِ عامٍ[3].

فإنْ قيل: السعير مذكَّرٌ فكيف قال: ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾.

فالجوابُ: أنَّه أرادَ بالسعير النار.

قوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: غليان تَغيُّظٍ، قاله الزَّجَّاجُ[4].

قال المفسِّرون: والمعنى: أنَّها تتغيَّظ عليهم، فيسمعون صوتَ تغيُّظها وزفيرها كالغضبان إذا غلَا صدره من الغيظِ.

والثاني: يسمعونَ فيها تغيُّظ المعذَّبين وزفيرهم، حكاه ابنُ قُتيبةَ[5].

قوله: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ قال المفسِّرون: تضيقُ عليهم كما يضيق الزُّجُّ على الرُّمح، وهم قد قرنوا مع الشياطين، والثبور: الهلكة.

---

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٣٧).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠٠٠) من طريق أسباط بن نصر، عن السدي، من قوله.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٩).

(٥) غريب القرآن (ص: ٣١٠).

وقرأ عاصمٌ الجحدري، وابن السَّمَيْفَع: «ثَبُورًا» بفتح الثاءِ[١].

قوله: ﴿وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾:

قال الزَّجَّاجُ: الثبور مصدرٌ فهو للقليلِ والكثير على لفظ الواحِدِ، كما تَقُولُ: ضربته ضَرْباً كثيرًا، والمعنى: هلاكهم أكثر من أن يدعوا مرة واحدة[٢].

وروى أنسُ بنُ مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْلِيسُ، يُكْسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ، فَيَضَعُهَا عَلَى حَاجِبَيْهِ، وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ، وَذُرِّيَّتُهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ وَهُمْ يُنَادُونَ: يَا ثُبُورَهُمْ حَتَّى يَقِفُوا عَلَى النَّارِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ [٥٩٢/أ] وَهُمْ يُنَادُونَ: يَا ثُبُورَهُمْ فَيَقُولُ الله ﷻ: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾»[٣].

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾﴾ [الفرقان: ١٥-١٦].

---

(١) عمرو بن محمد في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٥)، والبحر المحيط (٨/ ٨٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤١٦٨)، وأحمد في المسند (٢٠/ ١٥)، وعبد بن حميد في المنتخب (١٢٢٥)، والبزار في مسنده (٧٤١٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠١١)، والبيهقي في البعث والنشور (١١٧١) ومدار أسانيدهم على علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

قولـه: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ ﴾ يعنـي: السـعير ﴿ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ﴾ وهـذا تنبيـه عـلى تفـاوت مـا بـين المنزلتـين، لا عـلى أنَّ في السـعير خـيرٌ.

وقـال الزَّجَّـاجُ: قـد وقـع التسـاوي بـين الجنَّـة والنـار في أنَّهـما منـزلان، فلذلـك وقـع التفضيـل بينهـما[1].

قوله: ﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً ﴾ أي: ثوابًا ﴿ وَمَصِيرًا ﴾ أي: مرجعًا.

قولـه: ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ﴾ المشـار إليـه، إمَّـا الدخـولُ وإمَّـا الخلـودُ ﴿ وَعْدًا ﴾ وعدهـم الله إيَّـاه عـلى ألسـنةِ الرُّسـلِ.

وفي معنى: ﴿ مَسْـُٔولًا ﴾ قولان:

أحدهما: مطلُوبًا.

وفي الطالب له قولان:

أحدهما: أنَّهم المؤمنون، سألوا الله في الدُّنيا إنجاز ما وعدهم به.

والثـاني: أنَّ الملائكـة سـألته ذلـك لهـم، وهـو قولـه: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ [غافـر: ٨].

والثاني: أنَّ معنى المسؤول: الواجب.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٠).

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾[الفرقان: ١٧-٢٠].

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ ﴿فَيَقُولُ﴾ بالياء فيهما.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «نَحْشُرُهُمْ» بالنُّون «فيَقُولُ» بالياء.

وقرأ ابنُ عامر: «نَحْشُرُهُمْ» بالنون فيهما جميعًا[١]، يعني: المشركين، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾.

قال مجاهدٌ: يعني عيسى وعزيرًا والملائكة[٢].

وقال عكرمةُ، والضَّحاكُ: يعني: الأصنام، فيأذن الله للأصنام في

---

(١) السبعة (ص: ٤٦٢)، والحجة (٥/ ٣٣٧)، والتيسير (ص:١٦٣).

(٢) رواه مجاهد في تفسيره (ص:٤٩٦)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٤١٥)، وابن أبي حاتم (١٥٠٢٧) في تفسيرهما عن ابن أبي نجيح، به.

الكلام، ويخاطبها فيقول: ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى﴾ أي: أمرتموهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: أخطأوا الطريق[١].

﴿قَالُوا۟﴾ يعني: الأصنام ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ نزَّهوا الله تعالى أن يعبد غيره ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ نواليهم، والمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نعبدَ نحن غيرك، فكيف ندعو إلى عبادِتنا؟ فدلَّ هذا الجوابُ على أنَّهم لم يأمروا بعبادتهم.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلميُّ، وابنُ جبير، والحسنُ، وقتادةُ، وأبو جعفرَ، وابنُ يعمر، وعاصمٌ الجحدري: «أن نُتَّخَذَ» برفع النون وفتح الخاء[٢]، ثُمَّ ذكروا سبب تركهم الإيمان فقالوا: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ أي: أطلت لهم العمر وأوسعت لهم الرِّزق حتى نسوا الذِّكر، أي: تركوا الإيمان بالقرآن والاتِّعاظ به، ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: هلكى[٣].

وقال في روايةٍ أُخرى: البور في لغة أزد عمان: الفاسدُ[٤].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٦).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٥) عن أبو عبد الرحمن السلمي، وزيد بن علي، وأبي الدرداء، وأبي جعفر، وزاد في المحرر (٤/ ٢٠٤) الحسن، وزيد بن ثابت، وأبا رجاء، ونصر بن علقمة، ومكحول، وحفص بن حميد.

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٧/ ٤١٧)، وابن أبي حاتم (١٥٠٣٣) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٤) رواه الطستي عن ابن عباس كما في الدر المنثور (٦/ ٢٤٢) أنَّ نافع بن الأَزْرَق، قال له أَخبرِني عن قوله عزَّ وَجل ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾ قال: هلكى بلغة عمان، وهم من اليمن=

قال ابْنُ قُتَيْبَةَ: هو من بَارَ يَبُور: إذا هلَك وبطَل، يقال: بار الطعامُ: إذا كَسَد، وبارت الأَيِّمُ: إذا لم يُرغبْ فيها، وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من بَوَار الأَيِّم، قال: وقال أَبُو عُبَيْدَةَ: يقال: رجل بور وقوم بور لا يجمع ولا يثنى، واحتج بقول الشاعر: [من الخفيف] [(١)]

يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أنا بُورُ

وقد سمعنا برجل بائر، ورأيناهم ربما جمعوا فاعِلًا على فُعْلٍ، نحو عائذٍ وعُوذٍ، وشارفٍ وشُرْفٍ[(٢)].

قال المفسِّرون: فيقال للكفار حينئذ فقد كذبوكم، أي: فقد كذبكم المعبودون في قولكم: إنَّهم آلهة.

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، ومعاذٌ القارئ، وابنُ شَنْبُوذ عن قُنْبُلٍ: «بِمَا يَقُولُونَ» بالياء[(٣)]، والمعنى: كذبوكم بقولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ﴾ الآية، هذا قول الأكثرين.

=قال: وهل تعرف العربُ ذلك قال: نعم. أما سمعت قول الشَّاعِر وهو يقول:

فَلَا تكفرُوا مَا قد صنعنَا إِلَيْكُم .. وكافوا بِهِ فالكفر بور لصانعه

(١) البيت لعبد الله بن الزبعري السهمي في ديوانه (ص:٣٦)، ولسان العرب (٤/ ٨٦)، والمخصص (٣/ ٤٨)، ومقاييس اللغة (١/ ٣١٦)، ولعبد الله بن رواحة في ديوانه (ص: ٩٥).

(٢) غريب القرآن (ص:٣١١).

(٣) السبعة (ص:٤٦٣)، ورواية عن ابن كثير في المبسوط (ص:٣٢٣).

وقال ابنُ زيد: الخطاب للمؤمنين، فالمعنى: فقد كذَّبكم المشركون [٥٩٢/ب] بما تقولون: إنَّ محمَّدًا رسولُ الله ﷺ[١].

قوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ قرأ الأكثرون: بالياء[٢].

وفيه وجهان:

أحدهما: فما يستطيعُ المعبودون صرفًا للعذابِ عنكم ولا نصرًا لكم.

والثاني: فما يستطيعُ الكفَّارُ صرفًا لعذابِ الله عنهم، ولا نصرًا لأنفسِهم.

وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء[٣]، فالخطابُ للكفَّار.

وحكى ابن قُتيبةَ، عن يونسَ البصريِّ أنَّه قال: الصَّرفُ: الحيلةُ من قولهم: إنَّه لَيَتَصرَّف[٤].

قوله: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أي: بالشركِ ﴿نُذِقْهُ﴾ في الآخرةِ.

وقرأ عاصمٌ الجَحدري، والضَّحاكُ، وأبو الجوزاء، وقتادةُ: «يُذقه» بالياءِ[٥].

﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ أي: شديدًا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٢٠).

(٢) السبعة (ص:٤٦٣).

(٣) السبعة (ص: ٤٦٣).

(٤) غريب القرآن (ص:٣١١).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) عن أبي معاذ.



قال الزَّجَّاجُ: في الآيةِ محذوفٌ، تقديره: وما أرسلنا قبلك رسلًا من المرسلين، فحذفت رسلًا؛ لأنَّ قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يدلُّ عليها[1].

قوله: ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ أي: إنَّهم كانوا على مثلِ حالك، فكيف تكون بدعًا منهم.

فإنْ قيل: لِمَ كسرت ﴿إِنَّهُمْ﴾ هاهنا، وفتحت في براءة في قولِه: ﴿أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾[براءة: ٥٤] فقد بيَّنا هنالك علَّة فتح تلك، فأمَّا كسر هذه، فذكر ابنُ الأنباريِّ فيه وجهين:

أحدهما: أن تكونَ فيها «واو» حال مضمرة فكسرت بعدها «إن» للاستئنافِ، فيكون التقدير: إلا وإنَّهم ليأكلونَ الطَّعام، فأضمرتِ «الواو» هاهنا، كما أضمرت في قوله: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[الأعراف: ٤]، والتأويل: أو وهم قائلون.

والثاني: أن تكون كسرت لإضمار «مَنْ» قبلَها، فيكونُ التقديرُ: وما أرسلنا قبلكَ من المرسلين إلَّا مَنْ إنَّهم ليأكلون.

قال الشاعر[من الطويل][2]:

فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ ... وَآخَرُ يُذْرِي دَمْعَةَ الْعَيْنِ بِالْمَهْلِ

أراد: مَنْ دمعه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٢).

(٢) البيت لذي الرُّمَّة في ديوانه (ص:١٤١)، ومعاني القرآن (١/ ٣٨٤)، وبلا نسبة في الدرر (٢/ ٦٦)، وهمع الهوامع (١/ ١١٦).

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ الفتنةُ: الابتلاءُ والاختبارُ.

وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه افتتان الفقيرِ بالغني، يقول: لو شاء لجعلني غنيًّا، والأعمى بالبصير، والسقيمُ بالصَّحيحِ، قاله الحسنُ.

والثاني: ابتلاءُ الشَّريفِ بالوضيع، والعربي بالمولى، فإذا أرادَ الشريفُ أن يسلم فرأى الوضيع قد سبقه بالإسلام أَنِفَ، فأقام على كفرِه، قاله ابنُ السائبِ.

والثالث: أنَّ المستهزئين من قريش كانوا إذا رأوا فقراءَ المؤمنين، قالوا: انظروا إلى أتباعِ محمَّدٍ [من][1] موالينا ورذالتنا، قاله مُقاتلٌ[2].

فعلى الأوَّل: يكون الخطابُ بقوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ لأهلِ البلاءِ.

وعلى الثاني: للرؤساءِ، فيكون المعنى: أتصبرون على سبقِ الموالي والأتباع.

وعلى الثالث: للفقراء؛ فالمعنى: أتصبرونَ على أذى الكفَّار واستهزائهم، فالمعنى: قد علمتم ما وعد الصابرينَ[3]، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبرُ وبمن يجزعُ.

---

(١) زيادة من (س).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٣٠).

(٣) في (س): (الصابرون).

قولـه تعـالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾[الفرقـان: ٢١-٢٤].

قولـه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي: لا يخافـون البعـث ﴿لَوْلَآ﴾ أي: هـلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فكانُـوا رسـلًا إلينـا وأخبرونـا بصدقـكَ، ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ فيُخبِرنَـا أنَّـك رسـوله، ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تكـبَّروا حـين سـألوا هـذه الآيـات، ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾:

قال الزَّجَّاجُ: العُتُو في اللُّغة: مجاوزةُ القدرِ في الظُّلْمِ[1].

[٥٩٣/أ] قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: عند الموت.

والثاني: يوم القيامة.

قـال الزَّجَّـاجُ: وانتصـب اليـوم عـلى معنـى: لا بـشرى للمجرمـينَ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾[2]، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مؤكَّـد لــ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ والمعنـى: أنَّهم يمنعـونَ البـشرى في ذلـك اليـوم، ويجـوز أن يكـون ﴿يَوْمَ﴾ منصوبًـا عـلى معنـى: اذكـر يـوم يـرون الملائكـة، ثُـمَّ أخـبر فقـال: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ والمجرمـون هاهنـا الكفَّـارُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٣).

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾:

وقرأ قتادةُ، والضَّحاكُ، ومعاذٌ القارئ: «حُجْراً» بضمِّ الحاءِ[١].

قال الزَّجَّاجُ: وأصل الْحِجْر في اللُّغة: ما حَجَرْتَ عليه، أي: مَنَعت من أن يوصل إليه، ومنه حَجر القُضَاةِ على الأيْتَام[٢].

وفي القائلين لهذا قولان:

أحدهما: أنَّهم الملائكة، يقولون للكفَّار: حجرًا محجورًا، أي: حَرَامًا مُحَرَّمًا.

وفيما حرَّموه عليهم قولان:

أحدهما: البشرى، فالمعنى: حَرَامٌ مُحَرَّمٌ أنْ تكون لكم البشرى، قاله الضَّحاكُ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ[٣].

والثاني: أن تدخلوا الجنَّة، قاله مجاهدٌ.

والثاني: أنَّه قول المشركين إذا عاينوا العذابَ، ومعناه: الاستعاذةُ من الملائكة، روي عن مجاهدٍ أيضًا.

وقال ابنُ فارسٍ: كان الرَّجل إذا لقي مَن يخافُه في الشهر الحرام، قال: حجرًا أي: حرامٌ عليك أذاي، فإذا رأى المشركونَ الملائكةَ يوم القيامة،

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) عن الحسن، والضحاك، وزاد في التحصيل (٥/ ١٨) أبا رجاء، وقتادة، والأعمش.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٣).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٦٦)، وغريب القرآن (ص:٣١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٣).

قالوا: حجْرًا مَحْجورًا، يظنون أنَّه ينفعُهم كما كان ينفعهم في الدُّنيا(١).

قوله: ﴿ وَقَدِمْنَآ ﴾:

قال ابن قُتيبةَ: أي: قَصَدْنَا، وعَمَدْنَا، والأصل [أن](٢) مَن أراد القدومَ إلى موضع عمد له وقصده(٣).

قوله: ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: من أعمالِ الخيرِ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً﴾؛ لأنَّ العملَ لا يتقبل مع الشِّركِ.

وفي الهباءِ خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه ما رأيته يتطايرُ في الشَّمس التي تدخل من الكوَّةِ مثل الغبار، قاله عليٌّ عليه السلام، والحسنُ، ومجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعكرمةُ، واللُّغويون، والمعنى: أنَّ الله أحبطَ أعمالهم حتَّى صارت بمنزلةِ الهباءِ.

والثاني: أنَّه الماءُ المهراقُ، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّه ما تنسفُه الرِّياحُ وتذريه من التُّرابِ وحطامِ الشجرِ، رواه عطاءٌ الخراساني، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّه الشَّرر الذي يطير من النَّارِ، إذا أضرمت فإذا وقعَ لم يكن شيئًا، رواه عطيَّةُ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

---

(١) مجمل اللغة (١/ ٢٦٥).

(٢) زيادة من (س).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٩٠).

والخامس: أنَّه ما يسطع من حوافرِ الدَّوابِ، قاله مُقاتلٌ[١].

والمنثور: المتفرِّقُ.

قوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامةِ، ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ أفضلُ منزلًا من المشركين، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المَقِيلُ: المقامُ وقتَ القائلةِ، وهو النَّومُ نصف النَّهارِ[٢].

وقال الأزهريُّ: القيلولةُ عند العرب: الاستراحةُ نصف النَّهار إذا اشتدَّ الحرُّ، وإن لم يكن مع ذلك نومٌ[٣].

وقال ابنُ مسعودٍ[٤]، وابنُ عبَّاسٍ[٥]: لا ينتصفُ النَّهارُ من يومِ القيامةِ، حتَّى يقيل أهل الجنَّة في الجنَّة، وأهل النَّار في النَّارِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٤).

(٣) تهذيب اللغة (٩/ ٢٣٣).

(٤) رواه سفيان الثوري في تفسيره (ص:٢٢٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠٧٩).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠٨٠) من طريق نهشل، عن الضحاك، به، بلفظ: «إِنَّمَا هِيَ ضَحْوَةٌ فَيَقِيلُ أَوْلِيَاءُ اللهِ عَلَى الأَسِرَّةِ مَعَ الْحُورِ الْعَيْنِ وَيَقِيلُ أَعْدَاءُ اللهِ مَعَ الشياطين المقرنين».

ونهشل بن سعيد القرشي الورداني، متروك الحديث.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٩].

قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ هذا معطوفٌ على قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامر: «تَشَّقَّقُ» بالتشديدِ، فأدغموا التَّاء في الشِّينِ؛ لأنَّ الأصلَ تتشقَّق(١).

قال الفَرَّاءُ: المعنى: تتشقَّق السماء عن الغمام، وتنزل فيه الملائكة، [٥٩٣/ب] و«على»، و«عن» و«الباء» في هذا الموضع بمعنى واحدٍ، لأنَّ العربَ تقول: رميت عن القوس، وبالقوس، وعلى القوس، والمعنى واحدٌ(٢).

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: المعنى: تتشقَّق السماءُ وعليها غمام كما تقول: ركب الأميرُ بسلاحِهِ وخرج بثيابِهِ، وإنَّما تتشقَّق السماء لنزولِ الملائكةِ(٣).

قال ابنُ عبَّاسٍ: تتشقَّق السَّماءُ عن الغمامِ، وهو الغيمُ الأبيضُ، وتنزل الملائكةُ في الغمامِ(٤).

---

(١) السبعة (ص:٤٦٤)، والحجة (٥/ ٣٤٠)، والتيسير (ص:١٦٣-١٦٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٦٧).

(٣) الحجة (٥/ ٣٤١).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٣٩) من طريق العوفي، به، بنحوه.

وقال مُقاتلٌ: المرادُ بالسَّماء: السَّماوات تتشقَّق عن الغمام، وهو غمامٌ أبيض كهيئةِ الضَّبابِ، فتنزل الملائكةُ عند انشقاقها[١].

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «وَنُنْزِلُ» بنونين، الأولى مضمومةٌ، والثانية ساكنةٌ، واللام مضمومةٌ، و«الملائكةَ» نصبًا[٢].

وقرأ عاصمٌ الجحدري، وأبو عمرانَ الجونيُّ: «وَنَزَّلَ» بنون واحدةٍ مفتوحةٍ، ونصب الزَّاي وتشديدها وفتح اللام ونصب «الملائكةَ»[٣].

وقرأ ابنُ يعمرَ: «وَنَزَلَ» بفتح النُّونِ واللامِ والزَّاي والتَّخفيف «الملائكةُ» بالرَّفعِ[٤].

قوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: المُلْكُ الذي هو المُلْكُ حقًّا للرَّحمنِ، فأمَّا العسير، فهو الصعبُ الشديدُ يشتدَّ على الكفَّار، ويهونُ على المؤمنين فيكون كمقدار صلاةٍ مكتوبةٍ[٥].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٣١-٢٣٢).

(٢) السبعة (ص:٤٦٤)، والمبسوط (ص:٣٢٣).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) عن ابن مسعود، وفي التحصيل (٥/ ١٩) عن أبي رجاء.

(٤) في التحصيل (٥/ ١٩) عن عبد الوهاب، عن أبي عمرو.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٥).



قوله : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ في سببِ نزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أن أُبي بنَ خلفٍ، كان يحضرُ عند رسولِ الله ﷺ ويجالسهُ من غير أن يؤمن به، فزجرَهُ عقبةُ بنُ أبي مُعيطٍ عن ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عطاءٌ الخُراسانيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ(١).

والثاني: أنَّ عُقبةَ دعا قومًا فيهم رسولُ الله ﷺ لطعامٍ، فأكلُوا وأبى رسولُ الله ﷺ أن يأكلَ، وقال: لا آكُلُ حتَّى تشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنِّي رسول الله، فشهد بذلك عُقبةُ، فبلغ ذلك أُبي بن خلفٍ وكان خليلاً له، فقال: صَبَوْتَ يا عقبة، فقال: لا والله ولكنَّه أبى أن يأكُلَ حتَّى قلت ذلك، وليس من نفسي، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مجاهدٌ(٢).

والثالث: أنَّ عقبةَ كان خليلاً لأميَّةَ بنِ خلفٍ، فأسلمَ عقبةُ، فقال أميَّةُ: وجهي من وجهك حرامٌ إن تابعت محمَّدًا، فكفر وارتدَّ لرضى أميَّة، فنزلت هذه الآية، قاله الشَّعبيُّ(٣).

فأمَّا الظالمُ المذكورُ هاهنا فهو الكافرُ، وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه أُبي بن خلفٍ، رواه العوفيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: عقبة بن أبي مُعيطٍ، قاله مجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٤٠) من طريق حجاج، به.

(٢) رواه مجاهد في تفسيره (ص:٥٠٣)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٤٤١) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣)رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٤٠) من طريق جرير، به.

قال عطاءٌ: يأكل يديه حتَّى تذهبا إلى المرفقين، ثُمَّ تنبتان فلا يزالُ هكذا، كلَّما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل[١].

قوله: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي﴾ الأكثرون يسكنون ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ﴾ ﴿لَيۡتَنِي﴾، وأبو عمرٍو يحرِّكها.[٢]

قال أبو عليٍّ: والأصلُ التَّحريكُ: لأنَّها بإزاءِ الكافِ التي للخطابِ، إلَّا أنَّ حرفَ اللِّين تكره فيه الحركةُ، ولذلك أسكن من أسكن، والمعنى: ليتني اتَّبعته فاتَّخذتُ معه طريقًا إلى الهدى[٣].

قوله: ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا﴾ **في المشارِ إليه أربعةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه عنى أُبي بن خلفٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: عقبة بن أبي معيط، قاله أبو مالكٍ.

والثالث: الشيطان، قاله مجاهدٌ.

والرابع: أميَّة بن خلفٍ، قاله السُّدِّيُّ. [٥٩٤/أ]

فإن قيل: إنَّما يكنى من يخاف المبادأة أو يحتاجُ إلى المُداجاة، فما وجه الكناية؟

فالجواب: أنَّه أرادَ بالظَّالم كل ظالمٍ، وأرادَ بفلان: كل من أطيع في معصيةٍ، وأرضي بسخطِ الله، وإن كانت الآية نزلت في شخصٍ، قاله ابنُ قُتيبةَ[٤].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٩).

(٢) السبعة (ص:٤٦٤).

(٣) الحجة (٥/ ٣٤٢).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:١٦٢).

قولـه : ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ ﴾ أي: صرفنـي عـن القـرآنِ والإيـمانِ بـه ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ مـع الرَّسـول، وهاهنـا تـمَّ الـكلامُ، ثُـمَّ قـال الله تعـالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾ يعنـي: الكافر ﴿خَذُولًا﴾ يتـبرأ منه في الآخرةِ.

قولــه تعــالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقـان: ٣٠-٣١].

قولـه: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ ﴾ يعنـي محمَّـدًا ﷺ ، وهـذا عنـد كثـيرٍ مـن العلـماءِ أنَّـه يقولـه يـوم القيامـةِ، فالمعنـى: ويقـولُ الرَّسـولُ يومئـذٍ.

وذهـب آخـرون، منهـم مُقاتـلٌ، إلى أنَّ الرَّسـولَ قـال ذلـك شـاكيًا مـن قومِـه إلى الله تعـالى، حـين كذَّبـوه.

وقـرأ ابـنُ كثـيرٍ، ونافـعٌ، وأبـو عمـرٍو: «إِنَّ قَوْمِـيَ اتَّخَـذُوا» بتحريـكِ اليـاءِ، وأسـكنها عاصـمٌ، وابـنُ عامـر، وحمـزةُ، والكسـائيُّ[١].

وفي المرادِ بقولِه: ﴿مَهْجُورًا﴾ قولان:

أحدهمـا: مـتروكًا لا يلتفتـونَ إليـه ولا يؤمنـونَ بـه، وهـذا معنـى قـول ابـنِ عبَّـاسٍ ومُقاتـلٌ[٢].

(١) السبعة (ص:٤٦٤ ـ ٤٦٥)، والتيسير (ص:١٦٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٣٣).

والثاني: هجروا فيه، أي: جعلوه كالهذَيان، ومنه يقال: فلانٌ هَجُر في منامه، أي: يَهْذِي، قاله ابنُ قُتيبةَ[1].

وقال الزَّجَّاجُ: الهُجْرُ ما لا ينتفعُ به من القولِ[2].

قال المفسِّرون: فعزَّاه الله ﷻ، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومِك، جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّا من كفَّارِ قومه، والمعنى: لا يَكْبُرن هذا عليك، فلك بالأنبياء أُسوةٌ، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ يمنعك من عدوِّكِ.

قال الزَّجَّاجُ: والباءُ في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ زائدةٌ، فالمعنى: كفى ربك هاديًا ونصيرًا[3].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾[الفرقان: ٣٢-٣٤].

قوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ﴾ أي: كما أنزلت التوراةُ، والإنجيلُ، والزَّبورُ، فقال الله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أنزلناه كذلك متفرِّقًا، لأنَّ معنى ما قالوا: لِمَ نزل عليه متفرِّقًا؟ فقيل: إنَّما أنزلناه كذلك

(١) غريب القرآن (ص:٣١٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٦).

﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: لنقوِّي به قلبك فتزداد بصيرة، وذلك أنَّه كان يأتيه الوحيُ في كلِّ أمرٍ وحادثةٍ، فكان أقوى لقلبه، وأنور لبصيرته، وأبعد لاستيحاشِهِ ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أنزلناهُ على التَّرتيل، وهو التمكُّث الذي يضاد العجلة.

قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ يعني: المشركين ﴿بِمَثَلٍ﴾ يضربونه لك في مخاصمتك وإبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالذي هو الحقُّ، لترد به كيدهم ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ من مثلهم، والتفسيرُ: البيانُ والكشفُ.

قال مُقاتلٌ: ثُمَّ أخبر بمستقرِّهم في الآخرةِ، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ وذلك أنَّ كفَّارَ مكَّةَ قالوا: إنَّ محمَّدًا وأصحابه شرُّ خلقِ الله، فنزلت هذه الآيةُ[1].

قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: منزلًا ومصيرًا ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ دينًا وطريقًا من المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾[الفرقان: ٣٥-٣٩].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٣٤).

قوله: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ إن قيل: إنَّما عاينوا الآيات بعد وجودِ الرِّسالة، فكيف يقعُ التَّكذيبُ منهم قبل وجودِ الآياتِ؟

فالجواب: أنَّهم كانوا مكذِّبين أنبياء الله وكتبه المتقدِّمة، ومن كذَّب نبيًّا فقد كذَّب سائر الأنبياءِ، ولهذا قال: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾. [٥٩٤/ب]

قال الزَّجَّاجُ: يجوزُ أن يكون المراد به نوح وحده، وقد ذكر بلفظ الجنسِ، كما يقال فلانٌ يركب الدواب، وإن لم يركب إلَّا دابةً واحدةً[1]، وقد شرحنا هذا في هودَ عند قوله: ﴿وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ﴾[هود:٥٩] وقد سبق معنى التَّدمير.

قوله: ﴿وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ **في الرَّسِ ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: أنَّها بئرٌ كانت تسمَّى الرَّس، قاله ابنُ عبَّاسٍ في رواية العوفي[2].

وقال في رواية عكرمة: هي بئرٌ بأذربيجانَ[3].

وزعم ابنُ السائبِ أنَّها بئرٌ دون اليمامةِ.

وقال السُّدِّيُّ: بئرٌ بأنطاكيةَ[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٧ ـ ٦٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٥٣).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥١٧٣) من طريق شبيب بن بشير، عن عكرمة، عن ابن عباس، بنحوه.

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٠).

والثاني: أنَّ الرَّس قريةٌ من قرى اليمامة، قاله قتادةُ.

والثالث: أنَّها المَعْدِن ، قاله أبو عُبيدةَ، وابنُ قُتيبةَ[١].

وفي تسميتها بالرَّس قولان:

أحدهما: أنَّهم رسوا نبيهم في البئرِ، قاله عكرمةُ.

قال الزَّجَّاجُ: رسوه أي دسُّوه فيها[٢].

والثاني: أنَّ كلَّ رَكيَّة لم تطو فهي رسٌّ، قاله ابن قُتيبةَ[٣].

واختلفوا في أصحاب الرَّسِ على خمسةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم قومٌ كانوا يعبدون شجرة، فبعث الله تعالى إليهم نبيًّا من ولد يهوذا بن يعقوب، فحفروا له بئرًا وألقوه فيها، فهلكوا قاله عليٌّ عليه السلام.

والثاني: أنَّهم قومٌ كان لهم نبيٌّ يقال له: حنظلةُ بنُ صفوانَ، فقتلوا نبيَّهم فأهلكهم الله، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثالث: أنَّهم كانوا أهل بئرٍ، ينزلون عليها وكانت لهم مواشٍ، وكانوا يعبدونَ الأصنامَ، فبعث الله إليهم شعيبًا، فتمادوا في طغيانهم، فانهارت البئرُ فخسف بهم وبمنازلهم، قاله وهبُ بنُ منبِّه.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٧٥)، وغريب القرآن (ص:٣١٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٨).

(٣) في غريب القرآن (ص:٣١٣) وكلُّ رَكِيَّة تُطْوَى فهي: رسٌّ.

والرابع: أنَّهم الذين قتلوا حبيبًا النَّجار، قتلوه في بئرٍ لهم وهو الذي قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠] قاله السُّدِّيُّ.

والخامس: أنَّهم قومٌ قتلوا نبيَّهم وأكلوه، وأوَّل من عمل السِّحرِ نساؤهم، قاله ابنُ السائبُ.

قوله: ﴿وَقُرُونَۢا﴾ المعنى: وأهلكنا قرونًا ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا﴾ أي: بين عادَ وأصحاب الرَّس، وقد سبق بيان القرن[1]، وفي هذه القصص تهديدٌ لقريش.

قوله: ﴿وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ﴾ أي: أعذرنا إليه بالموعظةِ وإقامة الحجَّة ﴿وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: التتبير: التدميرُ، وكل شيءٍ كسَّرْتَهُ وَفَتَّتَّهُ فقد تَبَّرْتَهُ، وكسارته التِّبر، ومن هذا قيل لمكسور الزَّجَّاجِ التِّبْرُ وكذلك تبر الذَّهب[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ۝٤٠ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٢﴾ [الفرقان: ٤٠-٤٢].

قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ﴾ يعني: كفَّار مكَّة ﴿عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ يعني: قرية قوم لوط التي رميت بالحجارةِ، ﴿أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ﴾ في أسفارِهم فيعتبروا؟ ثُمَّ أُخبر بالذي جرأهم على التَّكذيب

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٨).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٦).



فقال: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ أي: لا يخافون بعثًا، هذا قولُ المفسِّرين.

وقال الزَّجَّاجُ: الذي عليه أهلُ اللُّغةِ أنَّ الرجاء ليس بمعنى الخوفِ، وإنَّما المعنى: بل كانوا لا يرجون ثوابَ عملِ الخيرِ، فركبوا المعاصي(١).

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ أي: ما يتَّخذونكَ ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: مهزوءًا به.

ثُمَّ ذكر ما يقولون من الاستهزاءِ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ أي: ليصرفنا عن عبادةِ آلهتنا ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: على عبادتها، قال الله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ أي: من أخطأ طريقًا عن الهدى، أهم، أم المؤمنون. [٥٩٥/أ]

ثُمَّ عجب نبيه من جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كان أحدهم يعبدُ الحجرَ، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبدَ الآخرَ(٢).

وقال قتادةُ: هو الكافرُ لا يهوى شيئًا إلَّا ركبهُ(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٩).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (١١٤٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٥١٩٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩١) من طريق سعيد بن جبير، به.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره(١٥٢٠٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

وقال ابن قُتيبةَ: المعنى: يتَّبع هواه ويَدَعُ الحقَّ فهو له كالإله[1].

قوله: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي: حفيظًا يحفظُه من اتِّباع هواه.

وزعم الكلبيُّ أنَّ هذه الآية منسوخةٌ بآية القتالِ.

قوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ يعني: أهل مكَّةَ، والمراد: يسمعون سماع طالبِ الإفهام ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما يعاينون من الحججِ والأعلامِ.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ **وفي وجه تشبيههم بالأنعام قولان:**

أحدهما: أنَّ الأنعام تسمع الصوتَ ولا تفقه القولَ.

والثاني: أنَّه ليس لها هم إلَّا المأكلُ والمشربُ.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ لأنَّ البهائم تهتدي لمراعيها، وتنقاد لأربابها، وتقبلُ على المحسن إليها، وهم على خلاف ذلك.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[الفرقان: ٤٥-٥٢].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٣١٣).

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى فعلِ ربِّكَ.

وقال الزَّجَّاجُ: معناه ألم تعلم فهو من رؤية القلبِ، ويجوز أن يكون من رؤية العين[1].

فالمعنى: ألم تر إلى الظلِّ كيف مدَّه ربُّك، والظِّلُّ من وقت طلوعِ الفجر إلى وقت طلوع الشَّمس ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ أي: ثابتًا دائمًا لا يزول ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ فالشَّمس دليلٌ على الظِّلِّ، فلولا الشَّمس ما عرف أنَّه شيءٌ، كما أنَّه لولا النَّورُ ما عرفت الظُّلْمةُ، فكلُّ الأشياء تعرف بأضدادها.

قوله: ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا ﴾ يعني: الظِّل ﴿ قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: سريعًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: خفيًّا، قاله مجاهدٌ.

وفي وقت قبض الظِّلِّ قولان:

أحدهما: عند طلوعِ الشَّمس، يقبض الظِّل وتجمع أجزاؤه المنبسطةُ بتسليط الشَّمسِ عليه حتَّى تنسخه شيئًا فشيئًا.

والثاني: عند غروبِ الشَّمسِ، تُقبض أجزاء الظِّلِّ بعد غروبِها، ويخلِّف كلُّ جزءٍ منه جزءًا من الظَّلامِ.

قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ أي: ساتراً بظلمتِهِ، لأنَّ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٠).

ظلمتــه تغشــى الأشــخاص وتشــتمل عليهــا اشــتمال اللِّبــاسِ عــلى لابسِــهِ.

﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا﴾:

قــال ابــنُ قُتيبــةَ: أي: راحــة ومنــه يــوم السـبت، لأنَّ الخلــقَ اجتمــع يــوم الجمعــةِ، وكان الفـراغ منـه في يـومِ السـبت، فقيـل لبنـي إسرائيـل: اسـتريحوا في هــذا اليــومِ، ولا تعملــوا فيــه شــيئًا، فســمِّي يــوم الســبت، أي: يــوم الرَّاحــةِ، وأصــلُ الســبتِ: التَّمــدُّدُ، ومــن تمــدَّد اســتراحَ[1].

وقــال ابــنُ الأنبــاريِّ: أصــلُ الســبتِ القطــع، فالمعنــى: وجعلنــا النَّــومَ قطعًــا لأعمالكــم.

قوله : ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ فيه قولان:

أحدُهما: تنتشرون فيه، لابتغاءِ الرِّزقِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: تنتشر الرُّوحَ باليقظةِ كما تنتشر بالبعثِ، حكاه الماورديُّ[2].

قولــه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قــد شرحنــاه في الأعــرافِ[3] إلى قولــه: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ يعنــي: المطــر.

قــال الأزهــريُّ: الطَّهُــورُ في اللُّغــةِ الطَّاهــر المطهِّــر، والطُّهُــور مــا يُتطهَّــرُ بــه، كالوضــوءِ الــذي يتوضَّــأ بــه، و الفَطُــورِ الــذي يُفطَــرُ عليــهِ[4]. [٥٩٥/ ب]

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٤).

(٢) النكت والعيون (٤/ ١٤٧).

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٥٧).

(٤) تهذيب اللغة (٦/ ١٠٠).

قوله: ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾.

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ، وأبو جعفرَ: «ميِّتًا» بالتَّشديدِ[١].

قال الزَّجَّاجُ: لفظُ البلدةِ مؤنَّثٌ، وإنَّما قيل: ﴿ مَّيْتًا ﴾؛ لأنَّ معنى: البلدةِ والبلد سواءٌ[٢].

وقال غيرُه: إنَّما قال: ﴿ مَّيْتًا ﴾؛ لأنَّه أرادَ بالبلدةِ المكان، وقد سبق معنى صفة البلدة بالموتِ، ومعنى ﴿ وَنُسْقِيَهُۥ ﴾[٣].

وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، والضَّحاكُ، والأعمشُ، وابنُ أبي عبلةَ: «وَنَسْقِيَهُ» بفتح النُّونِ[٤].

فأمَّا الأنَاسِيُّ، فقال الزَّجَّاجُ: هو جمعُ إنسيٍّ، مثل كُرْسِي وكَرَاسِي، ويجوز أن يكون جمع إنسانٍ، وتكون الباء بدلًا من النُّونِ، الأصل: أَنَاسِين مثل سَرَاحِين[٥].

وقرأ أبو مجلَزٍ، والضَّحاكُ، وأبو العاليةِ، وعاصمٌ الجحدري: «وَأَنَاسِيَ» بتخفيفِ الياءِ[٦].

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٥٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧١).

(٣) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٢٤).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) الأعمش، والمفضل عن عاصم، وفي التحصيل (٥/ ٣٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧١).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) عن يحيى بن الحارث الذماري، وروي عن الكسائي أيضًا.

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ يعني: المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ مرَّة لهذه البلدةِ ومرَّة لهذه ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ أي: ليتفكَّروا في نعمِ الله عليهم فيحمدُوه.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «لِيَذْكُرُوا۟» خفيفة الذالِ(١).

قال أبو عليٍّ: يذكر في معنى: يتذكَّر(٢).

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ وهم الذين يقولون: مُطرنا بنوءِ كذا وكذا، كفروا بنعمةِ الله، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ المعنى: إنَّا بعثناك إلى جميعِ القُرى لعظمِ كرامتكَ، ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وذلك أنَّ كفَّارَ مكَّةَ دعوه إلى دين آبائهم ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي: بالقرآنِ ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: تامًّا شديدًا.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الفرقان: ٥٣-٥٥].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾.

---

(١) السبعة (ص:٢٧٢)، والتيسير (ص:١٤٠).

(٢) الحجة (٥/ ٣٤٥).



قال الزَّجَّاجُ: أي: خَلَّى بينهما، تقول: مَرَجْتُ الدَّابةَ وأمرَجْتُها إذا خلَيَّتها تَرْعَى، ومنه الحديث «مَرِجَتْ عُهُودُهُم وَأَمَانَاتُهُم»[1] أي: اخْتَلَطَتْ[2].

قال المفسِّرون: والمعنى: أنَّه أرسلهما في مجاريهما، فما يلتقيان، ولا يختلط الملحُ بالعذبِ، ولا العذب بالملحِ، وهو قوله: ﴿هَٰذَا﴾ يعني: أحد البحرين عذبٌ أي طيِّبٌ، يقال: عَذُبَ الماءُ يعذُب عُذُوبة، فهو عَذْبٌ.

قال الزَّجَّاجُ: والفراتُ صفةٌ لِعَذْبٍ، وهو أَشَدُّ الماءِ عُذْوبةً، والأُجَاجُ صفةٌ لِلْمِلْحِ، وهو المُرُّ الشَّدِيدُ المَرَارَةِ[3].

وقال ابنُ قُتيبةَ: هو أشدُّ الماءِ ملوحة، وقيل: هو الذي يخالطه مرارة، ويقال: ماءٌ مِلحٌ، ولا يقال: مالحٌ، والبرزخُ: الحاجزُ[4].

وفي هذا الحاجز قولان:

أحدهما: أنَّه مانعٌ من قدرة الله تعالى، قاله الأكثرون.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٢١)، وأبو داود (٤٣٤٢)، وابن ماجه (٣٩٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ، أَوْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ، يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُم، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقَالُوا: وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ».

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٢).

(٤) غريب القرآن (ص:٣١٤).

قـال الزَّجَّـاجُ: فهـما في مـرأى العـين مُخْتلِطَـان، وفي قـدرةِ الله مُنْفَصِـلَانِ، لا يختلـطُ أحدُهمـا بالآخَـرِ(١).

قـال أبـو سـليمان الدِّمشـقيُّ: ورأيـت عنـد عبـادان مـن سـواد البـصرة المـاء العـذب ينحـدرُ في دجلـةَ نحـو البحـر، ويـأتي المـد مـن البحـر فيلتقيـان، فـلا يختلـط أحـدُ الماءيـن بالآخـر، يُـرى مـاء البحـرِ إلى الخـضرةِ الشـديدةِ، ومـاء دجلـة إلى الحمـرةِ الخفيفـةِ، فيـأتي المستقي فيغـرفُ مـن مـاءِ دجلـةَ عذبًـا لا يخالطُـه شيءٌ، وإلى جانبِـهِ مـاءُ البحـرِ في مـكانٍ واحـدٍ.

والثاني: أنَّ الحاجزَ الأرض واليبس، وهو قولُ الحسن، والأوَّل أصحُّ.

قوله: ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾:

قال الفَرَّاءُ: أي: حَرَامًا مُحرَّمًا أن يغلب أحدهما صاحبه(٢).

قولـه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ أي: مـن النطفـةِ بـشرًا أي: إنسـانًا، ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي ذا نسـبٍ وصهـرٍ.

قال عليٌّ ﷺ: النسبُ ما لا يحل نكاحه، والصهر ما يحلُّ نكاحه(٣). [٥٩٦/أ]

وقـال الضَّحـاكُ: النَّسـبُ سـبع وهـو قولـه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ إلى قولـه: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾، والصهـر خمـسٌ وهـو قولـه:

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٢).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٧٠).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٤٢).

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾[1].

وقال طاووسُ: الرضاعةُ من الصهرِ[2].

وقال ابنُ قُتيبةَ: ﴿نَسَبٗا﴾ أي: قرابة النَّسبِ، ﴿وَصِهۡرٗا﴾ أي: قرابة النِّكاحِ وكل شيءٍ من قبل الزَّوجِ، مثل الأب والأخ فهم الأحْمَاءُ، واحدهم حَمًا، مثل قَفًا، وحَمُو، مثل أبو، وحَمْءٌ مهموزٌ ساكن الميم، وحمٌ، مثل أبٍ، وحَمَاة المرأة أمُّ زوجها، لا لغة فيها غير هذِهِ، وكلُّ شيءٍ من قبلِ المرأةِ، فهم الأَختانُ[3].

والصهرُ يَجمع ذلك كلَّه، وحكى ابنُ فارسٍ عن الخليلِ: أنَّه قال: لا يقال لأهلِ بيت الرَّجل إلَّا أَخْتَانٌ، ولأهلِ بيت المرأة إلَّا أَصْهَارٌ، ومن العرب من يجعلُهم أَصْهَارًا كُلَّهم، والصَّهر: إِذَابَةُ الشَّيْءِ[4].

وذكر الماورديُّ أنَّ المناكحَ سمِّيت صهرًا، لاختلاطِ النَّاسِ بها، كما يختلط الشَّيء إذا صهر[5].

قوله: ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: معينًا للشيطان على ربِّه، لأنَّ عبادته للأصنام معاونة للشيطانِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٧٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٢٧٦) عن طاوس، عن أبيه.

(٣) أدب الكاتب (ص:٢٠٣).

(٤) مقاييس اللغة (٣/ ٣١٥).

(٥) النكت والعيون (٤/ ١٥١).

والثاني: معينًا للمشركين على أن لا يوحِّدوا الله تعالى.

والثالث: معينًا على أولياءِ ربِّه.

والرابع: وكان الكافرُ على ربِّه هيِّنًا ذليلًا، من قولك: ظهرتُ بفلانٍ: إذا جعلته وراءَ ظهرك ولم تلتفت إليه. قالوا: والمرادُ بالكافرِ هاهنا أبو جهلٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[الفرقان: ٥٦-٦٠].

قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآنِ وتبليغ الوحي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وهذا توكيدٌ لصدقِهِ، لأنَّه لو سألهم شيئًا من أموالهم لاتَّهموه، ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ معناه: لكن مَن شاء ﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ بإنفاقِ مالِهِ في مرضاتِهِ، فعل ذلك، فكأنَّه قال: لا أسألُكم لنفسي.

وقد سبق تفسير الكلماتِ التي تلي هذه[1] إلى قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾.

و﴿بِهِۦ﴾ بمعنى: «عنه»، قال علقمةُ بنُ عبدةَ [من الطويل][2]:

---

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٥٩)، وسورة البقرة الآية رقم (٣٠)، وسورة الأعراف الآية رقم (٥٤).

(٢) البيت لعلقمة الفحل في ديوانه (ص:٣٥)، وأدب الكاتب (ص:٥٠٨)، وحماسة البحتري (ص:١٨١)، والمقاصد النحوية (٣/ ١٦)، وهمع الهوامع (٢/ ٢٢).

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

وفي هاءِ ﴿ بِهِۦ ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ترجعُ إلى الله ﷻ.

والثاني: إلى اسمِهِ الرَّحمن، لأنَّهم قالوا: لا نعرفُ الرَّحمن.

والثالث: إلى ما ذكر من خلقِ السَّماواتِ والأرضِ وغير ذلك.

وفي الخبير أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه جبريلُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه الله ﷻ، والمعنى: سلني فأنا الخبيرُ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّه القرآن، قاله شمر.

والرابع: مُسْلِمة أهلِ الكتابِ، قاله أبو سليمان.

وهذا يُخرَّج على قولهم: لا نعرفُ الرَّحمن، فقيل: سلوا مُسَلِمة أهل الكتابِ، فإنَّ الله تعالى خاطب موسى في التوراة باسمِه الرحمن، فعلى هذا: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمرادُ سواه.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ قال المفسِّرون: إنَّهم قالوا: لا نعرف الرَّحمن إلَّا رحمانَ اليمامة، فأنكروا أن يكونَ من أسماءِ الله تعالى.

﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «يَأْمُرُنَا» بالياءِ[1]، أي: لما يأمرنا به محمَّد، وهذا استفهام إنكارٍ، ومعناه: لا نسجدُ للرَّحمن الذي تأمرنا بالسجودِ له، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ذكر الرَّحمنِ ﴿نُفُورًا﴾ أي: تباعدًا من الإيمانِ. [٥٩٦/ ب]

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦١-٦٢].

قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ وقد شرحناه في الحجر[2]، والمراد بالسراج: الشَّمسُ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «سُرُجًا» بضمِّ السين والرَّاءِ وإسقاطِ الألفِ[3].

قال الزَّجَّاجُ: أراد الشَّمسَ والكواكبَ العظام، ويجوز «سُرْجًا» بتسكين الرَّاءِ مثل: رُسُل ورُسْل[4].

قال الماورديُّ: لما اقترن بضوءِ الشَّمسِ وهْجُ حَرِّهَا جعلها لأجلِ الحرارةِ سراجًا، ولمَّا عدم ذلك في القمرِ جعلَهُ نورًا[5].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ فيه قولان:

---

(١) السبعة (ص:٤٦٦)، والتيسير (ص:١٦٤).

(٢) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (١٦).

(٣) السبعة (ص:٤٦٦)، والتيسير (ص:١٦٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٤).

(٥) النكت والعيون (٤/ ١٥٣).



أحدهما: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يخالف الآخر في اللَّون، فهذا أبيضُ وهذا أسودُ، روى هذا المعنى الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ، وابن أبي نجيح عن مجاهدٍ، وبه قال قتادةُ.

والثاني: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يخلف صاحبه، رواه عمرو بنُ قيسٍ المُلَائي، عن مجاهدٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ وأهل اللُّغة، وأنشدوا قول زهير [من الطويل][1]:

بِهَا الْعِينُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثِمِ

أي: إذا ذهبت طائفةٌ جاءت طائفةٌ.

قوله: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي: يتَّعظ ويعتبر باختلافهما.

وقرأ حمزةُ: «يَذْكُرَ» خفيفة الذال مضمومةَ الكافِ[2].

وهي في معنى: يتذكَّر، ﴿أَوْ أَرَادَ﴾ شكر الله تعالى فيهما.

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٧].

قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾.

وقرأ عليٌّ، وأبو عبد الرحمن السلميُّ، وابنُ السَّمَيْفَع: «يُمَشَّوْنَ»

---

(١) في ديوانه (ص: ٥)، وجمهرة اللغة (ص:٤١٥-٤١٦)، ولسان العرب (٩/ ٨٦-٩٦).

(٢) السبعة (ص:٤٦٦).

برفـعِ اليـاءِ وفتـحِ الميـمِ والشـينِ وبالتَّشـديدِ[1].

وقـال ابـنُ قُتيبـةَ: إنَّـما نسـبهم إليـه، لاصطفائـه إيَّاهـم، كقولِـه: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعـراف:٧٣]، ومعنـى ﴿هَوْنًا﴾: مشـيًا رُوَيـدًا[2]، ومنـه يقـال: «أحبب حبيبـك هونًـا مـا»[3].

وقال مجاهدٌ: يمشون بالوقارِ والسكينةِ[4].

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: سَدادًا.

وقال الحسنُ: لا يجهلون على أحدٍ، وإن جهل عليهم حلموا[5].

وقال مُقاتلُ بنُ حيَّانَ: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: قولًا يسلمون فيه من الإثمِ[6].

وهـذه الآيـةُ محكمـةٌ عنـد الأكثريـن، وزعـم قـومٌ: أنَّ المـرادَ بهـا أنَّهـم يقولـون للكفَّـار: ليـس بيننـا وبينكـم غـير السَّـلام، ثُـمَّ نسـخت بآيـة السـيفِ.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) عن اليماني.

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٥).

(٣) أخرجـه الترمـذي (١٩٩٧)، وقال: غريب، والطبراني في المعجم الأوسـط (٣٣٩٥) من حديث أبي هريـرة مرفوعـاً، والبخـاري في الأدب المفـرد (١٣٢١)، والبيهقي في الشـعب (٦١٦٨) عن علـيٍّ موقوفـاً، قـال ابـن حبـان: وليـس هـذا مـن حديـث أبي هريـرة ... وإنـما هو من قـول علي رضي الله عنـه، وقـد رفعـه الحسـن بـن أبي جعفر عن أيـوب عن حميد بـن عبد الرحمن عن علي، وهـو خطـأ فاحـش. وقـال الدارقطنـي: الصحيـح على علـي موقوفـاً. ينظـر: المجروحـين لابن حبـان (١/ ٣٥١)، والعلـل للدارقطني (٨/ ١١٠).

(٤) رواه الثـوري (ص:٢٢٧)، وعبـد الـرزاق (٢/ ٤٥٨) في تفسـيرهما، وابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٤٩٠) مـن طريـق ابـن أبي نجيـح، بـه.

(٥) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٧/ ٤٩٢)، وابـن أبي حاتـم (١٥٣٣٨) في تفسـيرهما، والبيهقـي في شـعب الإيـمان (٨٠٩٤).

(٦) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٤٥).

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: كل من أدْركه اللَّيل فقد باتَ، نَامَ أو لم يَنَمْ، يقال: باتَ فلانٌ قَلِقًا، إنَّما المبيتُ إدْراكُ اللَّيْل[١].

قوله: ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ تتقاربُ معانيها.

أحدها: دائمًا، رواه أبو سعيدٍ الخدريِّ، عن رسولِ الله ﷺ[٢].

والثاني: موجعًا، رواه الضَّحاكُ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: مُلِحًّا، قاله ابنُ السائبِ.

وقال ابنُ جريجٍ: لا يفارق.

والرابع: هلاكًا، قاله أبو عُبيدةَ[٣].

والخامس: أنَّ الغرامَ في اللُّغة أَشَدُّ العَذَابِ، قال الشاعر [من المتقارب][٤]:

وَيَوْمُ النِّسارِ وَيَوْمُ الجِفارِ كَانَا عَذاباً، وَكَانَا غَرَامَا

قاله الزَّجَّاجُ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٥).

(٢) رواه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ٢٧٤) بلفظ: «ملازمًا شَدِيدًا كلزوم الْغَرِيم الْغَرِيم».

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٨٠).

(٤) البيت لبشير بن أبي خازم في مجاز القرآن (٢/ ٨٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٣٩)، وشرح الكتاب (١/ ١٨٦)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٥)، وللطرماح في لسان العرب (١٢/ ٤٣٧).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٥).

قوله: ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا ﴾ أي: بئس موضع الاستقرارِ وموضع الإقامة هي.

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾:

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يَقتِرُوا» مفتوحة الياءِ مكسورة التاءِ.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿يَقْتُرُوا۟ ﴾ بفتح الياءِ وضمِّ التاءِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامر: «يُقْتِرُوا» بضمِّ الياء وكسر التاءِ[1]. [٥٩٧/أ]

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنَّ الإسرافَ: مجاوزةُ الحدِّ في النفقةِ، والإقتارُ: التقصيرُ عمَّا لا بدَّ منه، ويدلُّ على هذا قول عمر بن الخطَّاب: كفى بالمرء سَرَفًا أن يأكل كلَّ ما اشتهى[2].

والثاني: أنَّ الإسرافَ: الإنفاقُ في معصيةِ الله وإنْ قلَّ، والإقتار: منع حق الله تعالى، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، وابنُ جريجٍ في آخرين.

قوله: ﴿وَكَانَ ﴾ يعني: الإنفاقُ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: بين الإسرافِ والإقتارِ ﴿قَوَامًا ﴾ أي: عدلًا.

---

(١) السبعة (ص:٤٦٦)، والتيسير (ص:١٦٤).

(٢) رواه الحسين المروزي كما في زوائده على زهد ابن المبارك (٧٦٩) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: دَخَلَ عُمَرُ عَلَى عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ يَأْكُلُ لَحْمًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا»؟ قَالَ: قَرِمْنَا إِلَيْهِ، قَالَ: «وَكُلَّمَا قَرِمْتَ إِلَى شَيْءٍ أَكَلْتَهُ، كَفَى بِالْمَرْءِ سَرَفًا أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَى».



قال ثعلب: القَوامُ بفتحِ القافِ الاستقامة والعدل، وبكسرها ما يدومُ عليه الأمرُ ويستقرُّ(١).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[الفرقان: ٦٨-٧٠].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا﴾ في سببِ نزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ من حديث ابنِ مسعودٍ، قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**» فأنزلَ الله تعالى تصديقها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا﴾ الآيةَ(٢).

والثاني: أنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ، وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، أخرجه مسلمٌ من حديثِ سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ(٣).

---

(١) انظر: المحتسب (٢/ ١٢٥).

(٢) البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٣) رواه مسلم (١٢٢)

والثالث: أن وحشيًّا أتى النبي ﷺ فقال: يَا مُحَمَّدُ أَتَيْتُكَ مُسْتَجِيرًا فَأَجِرْنِي حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قَدْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَاكَ عَلَى غَيْرِ جِوَارٍ، فَأَمَّا إِذْ أَتَيْتَنِي مُسْتَجِيرًا فَأَنْتَ فِي جِوَارِي حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ»** قَالَ: فَإِنِّي أَشْرَكْتُ بِاللهِ، وَقَتَلْتُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى، وَزَنَيْتُ، هَلْ يَقْبَلُ اللهُ مِنِّي تَوْبَةً؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَت هذه الآية، فَتَلَاهَا عَلَيْهِ، فقال: أَرَى شَرْطًا فَلَعَلِّي لَا أَعْمَلُ صَالِحًا، أَنَا فِي جِوَارِكَ حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فَدَعَا بِهِ فَتَلَاهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: وَلَعَلِّي مِمَّنْ لَا يَشَاءُ، أَنَا فِي جِوَارِكَ حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ. فنزلت: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ [الزمر:٥٣] فَقَالَ: نَعَمْ الْآنَ لَا أَرَى شَرْطًا فَأَسْلَمَ، رواه عطاء، عن ابنِ عبَّاسٍ[1]، وهذا وحشي هو قاتلُ حمزةَ.

وفي هذا الحديثِ المذكورِ عنه نظرٌ، وهو بعيدُ الصحَّةِ، والمحفوظُ في إسلامِه غير هذا، وأنَّه قدم مع رسل الطائفِ فأسلم من غير اشتراطٍ.

وقوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ معناه: يعبدون، وقد سبق بيان قتل النَّفسِ بالحقِّ في الأنعامِ[2].

قوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾.

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦) من طريق سعيد بن سالم القداح، عن ابن جريج، عن عطاء، به، بنحوه، وهو ضعيف؛ لعنعنة ابن جريج، والانقطاع بين عطاء وابن عباس.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥١).

وقـرأ سـعيدُ بـنُ جبـيرٍ، وأبـو المتـوكِّل: «يُلَـقَّ» برفـع اليـاء وفتـح الـلامِ وتشـديدِ القـافِ مفتوحـة[١].

قال ابنُ عبَّاسٍ: يلق جزاء.

وقال مجاهدٌ[٢]، وعكرمة: وهو وادٍ في جهنَّم[٣].

وقال ابنُ قُتيبةَ: يلقَ عقوبة، وأنشد [من الوافر][٤]:

جَزَى اللهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى عُقُوقًا وَالْعُقُوقُ لَهُ أَثَامُ

قال الزَّجَّاجُ: وقوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ جزمًا على الجزاءِ[٥].

[٥٩٧/ب] قال أبو عمرٍو الشيباني يقال: قد لقي أثام ذلك، أي: جزاءَ ذلك، وسيبويه والخليل يذهبان إلى أنَّ معناه: يلقى جزاءَ الأثامِ، قال سيبويه: وإنَّما جزم ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ﴾؛ لأنَّ مضاعفةَ العذابِ لقي الآثام، فلذلك جزمت، كما قال الشاعر [من الطويل][٦]:

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦ - ١٠٧) عن ابن مسعود، وأبي رجاء.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥١٣) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥١٣).

(٤) البيت لشافع الليثي في لسان العرب (٦/ ١٢)، وبلا نسبة في غريب القرآن (ص:٣١٥)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٦١)، وفي مجاز القرآن (٢/ ٨١) عن بلعاء بن قيس الكناني.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٦).

(٦) البيت لعبد الله بن الحر في شرح أبيات سيبويه (٢/ ٦٦)، وشرح المفصل (٧/ ٥٣)، وخزانة الأدب (٩/ ٩٠ - ٩٩)، وبلا نسبة في لسان العرب (٥/ ٢٤٢)، والمقتضب (٢/ ٦٣).

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدْ حَطَبًا جَزْلًا وَنَارًا تَأَجَّجَا

لأنَّ الإتيان هو الإلمامُ، فجزم «تلمم» لأنَّه بمعنى تأتي.

وقرأ الحسنُ: «يُضَعَّفْ» وهو جيدٌ بالغ[١]، تقول: ضاعفتُ الشيءَ وضعَّفتُه.

وقرأ عاصمٌ: «يُضَاعَفُ» بالرفعِ على تفسير ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ كأن قائلاً قال: ما لُقيُّ الأثامِ؟ فقيل: يضاعف للآثم العذابُ.

وقرأ أبو المتوكِّلِ، وقتادةُ، وأبو حيوةَ: «يُضْعَفُ» برفعِ الياءِ، وسكونِ الضادِ، وفتح العين خفيفة من غير ألفٍ.

وقرأ أبو حصين الأسدي، والعمري عن أبي جعفرَ مثله، إلَّا أنَّ العينَ مكسورة، «وَالْعَذَابَ» بالنَّصب[٢].

قوله: ﴿وَيَخْلُدْ﴾:

وقرأ أبو حيوةَ، وقتادةُ، والأعمشُ: «وَيُخْلَدْ» برفعِ الياءِ وسكونِ الخاءِ وفتح اللام مخفَّفة.

وقرأ عاصمٌ الجحدري، وابنُ يعمرَ، وأبو المتوكِّل مثله، إلَّا أنَّهم شدَّدوا اللَّام[٣].

---

(١) المحرر (٤/ ٢٢٠).

(٢) المحرر (٤/ ٢٢٠)، والبحر المحيط (٨/ ١٣٠).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٧) عن أبي حيوة.

فصل

ولعلماءِ الناسخ والمنسوخِ في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنَّها منسوخة، وفي ناسخها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣] قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وكان يقول: هذه مكّيَّةٌ، والتي في النِّساءِ مدنيَّةٌ.

والثاني: أنَّها نسخت بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ الآية [النساء: ٤٨].

والثالث: أنَّ الأولى نسخت بالثانيةِ، وهي قوله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾.

والقول الثاني: أنَّها محكمةٌ، والخلودُ إنَّما كان لانضمام الشركِ إلى القتلِ والزِّنا، وفساد القول الأوَّل ظاهرٌ؛ لأنَّ القتلَ لا يوجب تخليدًا عند الأكثرين، وقد بيَّناه في سورةِ النِّساءِ[1].

والشِّرك لا يُغفرُ إذا مات المشرك عليه، والاستثناء ليس بنسخٍ.

قوله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: قرأنا على عهدِ رسولِ الله سنتين: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ ثُمَّ نزلت ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ فرح

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٩٣).

بشيءٍ فرحه بها، وبـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١][1].

قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ اختلفوا في كيفيةِ هذا التبديلِ وفي زمان كونه، فقال ابنُ عبَّاسٍ: يبدِّلُ الله شركهم إيمانًا، وقتلهم إمساكًا، وزناهم إحصانًا[2].

وهذا يدلُّ أوَّلًا: على أنَّه يكون في الدُّنيا، وممَّن ذهب إلى هذا المعنى سعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والضَّحاكُ، وابنُ زيدٍ.

والثاني: أنَّ هذا يكون في الآخرةِ، قاله سلمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسعيدُ بنُ المسيّب، وعليُّ بنُ الحسينِ.

وقال عمرو بنُ ميمون: يبدِّلُ الله سيئات المؤمن إذا غفرها له حسنات، حتَّى إنَّ العبدَ يتمنَّى أن تكونَ سيئاتُه أكثر ممَّا هي، وعن الحسنِ كالقولين.

وروي عن الحسنِ أنَّه قال: ودَّ قومٌ يوم القيامة أنَّهم كانوا في الدُّنيا استكثروا من الذنوبِ، فقيل: مَن هم؟ قال: هم الذين قالَ الله تعالى فيهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾.

ويؤكِّد هذا القول حديثُ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ** [٥٩٨/أ] **يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ**

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٩٧٢)، والطبراني في الكبير (١٢٩٣٥)، وفي الأوسط (٥٥٧٩) وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥١٧) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، وهو منقطع.



ذُنُوبِهِ، وَتُنَحَّى عَنْهُ كِبَارُهَا، فَيُقَالُ لَهُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ مُقِرٌّ لَا يُنْكِرُ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنَ الْكَبَائِرِ فَيُقَالُ: أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلَهَا حَسَنَةً» أخرجه مسلمٌ في صحيحه[١].

قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان: ٧١-٧٤].

قوله: ﴿ وَمَن تَابَ ﴾ ظاهرُ هذه التوبة أنَّها عن الذنوبِ المذكورةِ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: يعني: ممن لم يقتل ولم يزنِ، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ فإنِّي قد قدَّمتهم وفضَّلتهم على مَن قاتل نبيي واستحلَّ محارمي[٢].

قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾:

قال ابنُ الأنباريِّ: معناه: مَن أرادَ التوبةَ وقصدَ حقيقتها، فينبغي له أن يريد اللهَ بها، ولا يخلط بها ما يفسدها، وهذا كما يقول الرجل: من تجر فإنَّه يتَّجر في البزِّ، ومن ناظرَ فإنَّه يناظرُ في النحو، أي: من أراد ذلك فينبغي أن يقصد هذا الفنَّ. قال: ويجوز أن يكون معنى هذه الآية: ومن تاب وعمل صالحًا؛ فإنَّ ثوابه وجزاءَه يعظمان له عند ربِّه، الذي أراد بتوبته، فلمَّا كان قولُه: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ يؤدِّي عن هذا المعنى،

(١) رواه أحمد (٣٥/ ٣١٣)، و مسلم (١٩٠)، والترمذي (٢٥٩٦).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٨).

كفى منه، وهذا كما يقول الرجل للرَّجل: إذا تكلَّمت فاعلم أنَّك تكلِّم الوزير، أي: تكلِّم من يعرف كلامك ويجازيك، ومثله قولُه تعالى: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس ٧١] أي: فإنِّي أتوكَّل على مَن ينصرني، ولا يسلِّمني.

وقال قومٌ معنى الآية: فإنَّه يرجع إلى الله مرجعًا يقبله منه.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الصنمُ، روى الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ الزورَ صنمٌ كان للمشركين.

والثاني: أنَّه الغناءُ، قاله محمَّدُ بنُ الحنفيَّة، ومكحول.

وروى ليثُ عن مجاهدٍ قال: لا يسمعون الغناء[1].

والثالث: الشرك، قاله الضَّحاكُ، وأبو مالكٍ.

والرابع: لعب كان لهم في الجاهليَّةِ، قاله عكرمةُ.

والخامس: الكذبُ، قاله قتادةُ، وابنُ جريجٍ.

والسادس: شهادةُ الزُّورِ، قاله عليُّ بنُ أبي طلحةَ.

والسابع: أعياد المشركين، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ.

والثامن: مجالسُ الخنا، قاله عمرو بنُ قيسٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٢٢) من طريق ليث بن أبي سليم به.

وفي المراد ﴿بِاللَّغْوِ﴾ هاهنا خمسةُ **أقوالٍ**:

أحدها: المعاصي، قاله الحسنُ.

والثاني: أذى المشركين إيَّاهم، قاله مجاهدٌ.

والثالث: الباطلُ، قاله قتادةُ.

والرابع: الشركُ، قاله الضَّحاكُ.

والخامس: إذا ذكروا النِّكاح كنُّوا عنه، قاله مجاهدٌ.

وقال محمَّدُ بنُ عليٍّ: إذا ذكروا الفروج كنُّوا عنها[1].

قوله: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ فيه **ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: مرُّوا حلماءَ، قاله ابنُ السائب.

والثاني: مرُّوا معرضين عنه، قاله مُقاتلٌ[2].

والثالث: أنَّ المعنى: إذا مرُّوا باللَّغو جاوزوه، قاله الفرَّاءُ[3].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ أي: وعظوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وهي القرآن، ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: لم يتغافلوا عنها، كأنَّهم صمٌّ لم يسمعوها، عمي لم يروها[4].

---

(١) النكت والعيون (٤/ ١٦٠).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٤٢).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٧٤).

(٤) غريب القرآن (ص:٣١٥).

وقال غيرُه من أهل اللُّغة: لم يثبتوا على حالتهم الأولى، كأنَّهم لم يسمعوا ولم يروا، وإن لم يكونوا خرُّوا حقيقة، تقول العرب: شتمت فلانًا، فقام يبكي، وقعد يندب، وأقبل يعتذر، وظلَّ يتحيَّر، وإن لم يكن قام ولا [٥٩٨/ ب] قعد.

قوله: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامر، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ على الجمعِ.

وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «وَذُرِّيَّتِنَا» على التوحيدِ[١].

﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾:

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو حيوةَ: «قُرَّاتَ أَعْيُنٍ»[٢] يعنون: مَن يعمل بطاعتك فتقرُّ به أعيننا في الدُّنيا والآخرة.

وسئل الحسنُ عن قوله: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ في الدُّنيا أم في الآخرةِ؟ قال: لا بل في الدُّنيا، وأي شيءٍ أقرُّ لعينِ المؤمن من أن يرى زوجتَه وولده يطيعون الله، والله ما طلب القومُ إلَّا أن يطاع الله فتقر أعينهم[٣].

---

(١) السبعة (ص:٤٦٧).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٧) عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وأبي هريرة.

(٣) رواه ابن المبارك في البر والصلة، وسعيد بن منصور في تفسيره كما في فتح الباري (٨/ ٤٩١).

قال الفرَّاءُ: إنَّما قال: ﴿ قُرَّةَ ﴾ لأنَّها فعلٌ، والفعل لا يكاد يجمعُ، ألا ترى إلى قولِه: ﴿ وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٤] فلم يجمعه، والقُرَّة مصدرٌ تقول: قرَّت عينُه قرَّة، ولو قيل: قرَّة عين أو قرات أعين كان صوابًا[١].

وقال غيرُه: أصلُ القرَّة من البردِ، لأنَّ العربَ تتأذَّى بالحرِّ، وتستروح إلى البردِ.

قوله: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ فيه قولان:

أحدهما: اجعلنا أئمَّة يقتدى بنا، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقال غيرُه: هذا من الواحدِ الذي يرادُ به الجمع، كقوله: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦] وقوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ ﴾ [الشعراء: ٧٧].

والثاني: اجعلنا مؤتمين بالمتقين مقتدين بهم، قاله مجاهدٌ.

فعلى هذا يكون الكلامُ من المقلوبِ، فيكون المعنى: واجعلِ المتَّقين لنا إمامًا.

قولُه تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾[الفرقان: ٧٥-٧٧].

قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني الجنَّة.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٧٤).

وقال غيرُه: الغرفةُ كلُّ بناءٍ عالٍ مرتفع، والمراد غرف الجنَّة، وهي من الزبرجد والدُّرِّ والياقوت، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على دينهم وعلى أذى المشركين.

قوله: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بفتح الياءِ وسكون اللام وتخفيفِ القافِ[1].

﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: يحيي بعْضُهُم بعْضًا بالسَّلامِ، ويرسل إليهم الربُّ ﷻ بالسلام[2].

وقال مُقاتلٌ: ﴿تَحِيَّةً﴾ يعني: السَّلام ﴿وَسَلَامًا﴾: أي: سلَّم الله لهم أمرهم وتجاوز عنهم[3].

قوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾

فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ما يصنع بكم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) السبعة (ص:٤٦٨)، والتيسير (ص:١٦٥) واختلف على عاصم، فروى حفص عنه ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾، وروى أبو بكر عنه «وَيَلْقَوْن».

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٩) بلا نسبة.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٤٢).

والثـاني: أيُّ وزنٍ يكـون لكـم عنـده؛ تقـول: مـا عبـأت بفـلانٍ أي: مـا كان لـه عنـدي وزنٌ ولا قـدرٌ، قالـه الزَّجَّـاجُ[١].

والثالث: ما يعبأ بعذابكم، قاله ابنُ قُتيبةَ[٢].

وفي قوله: ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: لو لا إيمانكم، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: لو لا عبادتكم، رواه الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: لو لا دعاؤه إيَّاكم لتعبدوه، قاله مجاهدٌ.

والمراد نفعُ الخلق، لأنَّ الله تعالى غيرُ محتاجٍ.

والرابع: لو لا توحيدُكم، حكاه الزَّجَّاجُ[٣].

وعلى قولِ الأكثرين ليس في الآية إضمارٌ.

وقـال ابـنُ قُتيبـةَ: فيهـا إضـمارٌ تقديـرُه: مـا يعبـأ بعذابِكـم لـولا مـا تدعونـه مـن الشريـكِ والولـدِ، ويوضِّـحُ ذلـك قولـه: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ يعنـي العـذاب، ومثلـه قـول الشـاعر[من السريـع][٤]:

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٨).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٣٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٨).

(٤) البيت للمهلهل بن ربيعة في الشعر والشعراء (١/ ٢٨٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص:٤٥٩)، وبلا نسبة في تأويل مشكل القرآن (ص:٢٤٦)، والمحكم والمحيط (٦/ ٤٨٥)، ولسان العرب (١٠/ ٢٠٩)، وتاج العروس (٢٦/ ٤٦).

مَـــنْ شَـــاءَ دَلَّى النَّفْــسَ فِي هُــوَّةٍ ضَنْــكٍ، ولَكِــنْ مَــنْ لَــهُ بِالمَضِيــقْ

أي: بالخـروج مـن المضيـق، وهـل هـذا خطـابٌ للمؤمنـين أو للكفَّـار؟ [٥٩٩/أ] فيـه قـولان.

فأمَّـا قولـه تعـالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ فهـو خطـابٌ لأهـلِ مكَّـةَ حـين كذَّبـوا رسـولَ الله ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ يعنـي: تكذيبكـم ﴿لِزَامًا﴾ أي: عذابًـا لازمًـا لكـم، وفيـه ثلاثـةُ أقـوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه قتلهـم يـومَ بـدرٍ، فقتلـوا يومئـذٍ واتَّصل بهـم عـذابُ الآخرةِ لازمًـا لهـم، وهـذا مذهـبُ ابـنُ مسـعودٍ، وأُبيُّ بـنُ كعـبٍ، ومجاهـدٌ في آخرين.

والثاني: أنَّه الموتُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ اللزام القتال، قاله ابنُ زيدٍ.

سورة الشعراء

وهي مكيَّةٌ كلُّها، إلَّا أربعَ آياتٍ منها نزلت بالمدينة من قوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرِها، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ[١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩﴾ [الشعراء: ١-٩].

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «طَسم» بفتح الطَّاءِ وإدغامِ النُّونِ من هجاء سين عند الميمِ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلف، وأبانُ، والمفضلُ: «طسم»، و«طس» النمل بإمالة الطَّاء فيهما، وأظهر النون من هجاءِ سين عند الميمِ حمزةُ هاهنا وفي القصص[٢].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٥٧).

(٢) السبعة (ص: ٤٧٠)، والتيسير (ص: ١٦٥).

وفي معنى ﴿طسٓمٓ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنَّها حروفٌ من كلماتٍ.

ثُمَّ فيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ما رواه عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام قال: لَّما نزلت ﴿طسٓمٓ﴾ قَال رسولُ الله ﷺ: «الطَّاءُ طُورِ سَيْنَاءَ، والسِّينُ الاسْكَنْدَرِيَّةِ، وَالْمِيمُ مَكَّةَ»[1].

والثاني: أنَّ الطاءَ طيبة، وسين بيت المقدس، وميم مكَّة، رواه الضَّحاكُ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: الطَّاء شجرةُ طوبى، والسينُ سدرةُ المنتهى، والميم محمَّد ﷺ، قاله جعفرُ الصَّادق.

والثاني: أنَّه قسمٌ، أقسم الله به، وهو من أسماءِ الله تعالى، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

وقد بيَّنا كيف يكون مثل هذا من أسماءِ الله تعالى في فاتحةِ مريمَ.

وقال القرظيُّ: أقسم الله بطوله وسنائه وملكِهِ[2].

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٥٦) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن الحنفية، عن علي بن أبي طالب، به، بنحوه.

وعبدالله بن محمد بن عقيل الهاشمي، قد اختلف فيه الأئمة ما بين محتج به، وغير محتج به، وحاله لا يحتمل هذا التفرد، فحديثه منكر. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٤٨٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٥١٨) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمَّدِ بنِ كعبٍ ﴿طسٓمٓ﴾ قَالَ: «الطَّاءُ مِنَ الطَّوْلِ، وَالسِّينُ مِنَ الْقُدُّوسِ، وَالْمِيمُ مِنَ الرَّحْمَنِ».

والثالث: أنَّه اسمٌ للسورةِ، قاله مجاهدٌ.

والرابع: أنَّه اسمٌ من أسماءِ القرآنِ، قاله قتادةُ وأبو رَوقٍ.

وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه[1] إلى قوله: ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾، والمعنى: لعلَّك قاتل نفسكَ لتركهم الإيمان.

ثُمَّ أخبر أنَّه لو أرادَ أن ينزل عليهم ما يضطَّرهم إلى الإيمانِ، لفعل فقال: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ﴾.

وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكِّل: «إِن يَشَأْ يُنَزِّلْ» بالياءِ فيهما[2].

﴿عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ جعل الفعلَ أوَّلًا للأعناقِ، ثُمَّ جعلَ خاضعين للرِّجال، لأنَّ الأعناقَ إذا خضعت فأربابُها خاضعونَ.

وقيل: لمَّا وصف الأعناقَ بالخضوع وهو من صفاتِ بني آدمَ، أخرجَ الفعلَ مخرج الآدميين، كما بيَّنا في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وهذا اختيارُ أبي عُبيدةَ[3].

وقال الزَّجَّاجُ: قوله: ﴿فَظَلَّتْ﴾ معناه: فتظلُّ، لأنَّ الجزاءَ يقعُ فيه لفظ الماضي في معنى المستقبلِ، كقولك: إن تأتني أكرمتك، معناه: أكرمْك، وإنَّما قال: ﴿خَٰضِعِينَ﴾؛ لأنَّ خضوعَ الأعناقِ هو خضوع أصحابِها، وذلك أنَّ الخضوعَ لمَّا لم يكن إلَّا بخضوعِ الأعناقِ، جاز أن يخبر عن المضافِ إليه، [٥٩٩/ ب]

(١) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (١٥)، وتفسير سورة الكهف الآية رقم (٦).

(٢) قراءة أبي عمرو في رواية هارون عنه كما في الكامل (ص:٦١١)، والبحر المحيط (٨/ ١٤٠).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٨٣).



كما قال الشاعر [من الوافر][(١)]:

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الْهِلَالِ

فلمَّا كانت السُّنون لا تكون إلا بِمَرٍّ، أخبر عن السنينَ، وإن كان أضاف إليها المُرُور قال: وجاء في التفسير أنَّه يعني بالأعناق كبراءهم ورؤساءهم[(٢)].

وجاء في اللُّغة: أنَّ أعناقهم جماعاتهم، يقال: جاءني عنق من النَّاسِ أي جماعة.

وما بعد هذا قد سبق تفسيرُه[(٣)] إلى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: المكذِّبين بالبعث ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ بعد أن لم يكن فيها نباتٌ ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: من كلِّ جنسٍ حَسَنٍ[(٤)].

وقال الزَّجَّاجُ: الزَّوجُ النوع، والكريمُ المحمودُ[(٥)].

---

(١) البيت لجرير في ديوانه (٢/ ٥٤٦)، ومجاز القرآن (١/ ٩٨)، وتفسير الطبري (٥/ ٦٥٨)، والدرر (١/ ١٣٥)، والكامل (٢/ ١٠٥)، وبلا نسبة في لسان العرب (٨/ ٧٣)، وتهذيب اللغة (١/ ١٠٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٨٤).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٢).

(٤) غريب القرآن (ص:٣١٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٨٣).

قولـه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإنبـات ﴿لَآيَةً﴾ تـدلُّ عـلى وحدانيـةِ الله وقدرتـه، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مـا كان أكثرُهـم يؤمـنُ في علـمِ الله، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المنتقـمُ مـن أعدائـه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائـه.

قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾[الشـعراء: ١٠-٢٢].

قوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ﴾ المعنى: واتلُ هذه القصَّة على قومك.

قولـه: ﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾ يـاء ﴿يُكَذِّبُونِ﴾ محذوفـةٌ، ومثلهـا ﴿أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الشـعراء: ١٤] ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الشـعراء: ٦٢] ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] ﴿يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشـعراء: ٧٩] ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشـعراء: ٨٠] ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشـعراء: ٨١] ﴿كَذَّبُونِ﴾ [الشـعراء: ١١٧] ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الشـعراء: ١٠٨] فهـذه ثـمانُ آيـاتٍ أثبتهـنَّ في الحالـين يعقـوبُ[١].

---

(١) الكامل (ص:٦١١)، والمبسوط (١/ ١٢٧).

قولـه: ﴿ وَيَضِيقُ صَدۡرِي ﴾ أي: بتكذيبهم إيَّاي ﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ للعقدة التي كانت بلسانه.

وقرأ يعقوبُ: «وَيَضِيقَ»، «وَلاَ يَنطَلِقَ» بنصبِ القافِ فيهما[١].

﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ وهو القتيلُ الذي وكزَهُ فقضى عليه، والمعنى: ولهم عليَّ دعوى ذنب ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ به ﴿ قَالَ كَلَّاۖ ﴾ وهو ردعٌ وزجرٌ عن الإقامةِ على هذا الظنِّ، والمعنى: لن يقتلوك لأنِّي لا أسلِّطهم عليك، ﴿فَٱذۡهَبَا﴾ يعني: أنت وأخوك ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وهي ما أعطاهما من المعجزة، ﴿إِنَّا﴾ يعني: نفسه ﷻ ﴿مَعَكُم﴾ فأجراهما مجرى الجماعةِ ﴿مُّسۡتَمِعُونَ﴾ نسمع ما تقولان وما يجيبونكما به.

قوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: الرَّسولُ يكون بمعنى الجميعِ، كقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾ [الحجر: ٦٨] وقوله: ﴿ ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ [الحج: ٥][٢].

وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنَّا رِسالةُ ربِّ العالمين، أي: ذوو رسالة ربِّ العالمين.

قال الشاعر [من الطويل][٣]:

---

(١) الكامل (ص:٦١١)، والمبسوط (١/ ٣٢٦).

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٦).

(٣) البيت لكُثَيِّر عزَّة في ديوانه (ص:١١٠)، ومجاز القرآن (٢/ ٨٤)، والمذكر والمؤنث (ص:٢٩١)، ولسان العرب (١١/ ٢٨٣)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٨٥)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٩١)، وديوان الأدب (١/ ٣٩٥)، ولسان العرب (١١/ ٢٨٤).

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِسُوءٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

أي: برسالةٍ.

قوله: ﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ المعنى: بأَنْ ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أطلقهم من الاستعباد، فأتياه فبلغاه الرسالة فـ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ أي: صَبيًّا صغيرًا ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، **وفيها ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: ثماني عشرة سنة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أربعون سنة، قاله ابنُ السائبِ.

والثالث: ثلاثون سنة، قاله مُقاتلٌ[١].

والمعنى: فجازيتنا على أن ربَّيناك أن كفرت نعمتنا وقتلت منَّا نفسًا، [٦٠٠/أ] وهو قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ وهي قتلُ النَّفسِ.

قال الفرَّاءُ: وإنَّما نصبت الفاء، لأنَّها مرَّة واحدة، ولو أُريد بها مثل الجلسة والمشية جاز كسرها[٢].

وفي قوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ **قولان:**

أحدهما: من الكافرين لنعمتي، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعطاء، والضَّحاكُ، وابنُ زيدٍ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٦٠).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٧٨).

والثاني: من الكافرين بإلهك، كنت معنا على ديننا الذي تعيب، قاله الحسنُ، والسُّدِّيُّ، فعلى الأوَّل وأنت من الكافرين الآن، وعلى الثاني وكنت.

وفي قوله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: من الجاهلين، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ.

وقال بعضُ المفسِّرين: المعنى: إنِّي كنت جاهلًا لم يأتني من الله شيءٌ.

والثاني: من الخاطئين، والمعنى: إنِّي قتلتُ النَّفسَ خطأً، قاله ابنُ زيدٍ.

والثالث: من الناسين، ومثله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، قاله أبو عُبيدةَ[١].

قوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ أي: ذهبتُ من بينكم ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ على نفسي إلى مدينَ.

وقرأ عاصمٌ الجحدري، والضَّحاكُ، وابنُ يعمرَ: «لِمَا» بكسرِ اللام وتخفيفِ الميمِ[٢].

﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ وفيه قولان:

أحدهما: النبوَّة، قاله ابنُ السائبُ.

والثاني: العلمُ والفهمُ، قاله مُقاتلٌ[٣].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٨٣).

(٢) رواية عن حمزة في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٧)

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٦٠).

قولـه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ يعنـي: التربيـة ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: اتَّخذتهـم عبيـدًا، يقـال عبَّـدت فلانًـا وأعبدتُـه واسـتعبدته إذا اتَّخذتـه عبـدًا.

وفي ﴿أَنْ﴾ وجهان:

أحدهما: أن تكون في موضعِ رفع على البدلِ من نعمة.

والثـاني: أن تكـون في موضـع نصـبٍ بنـزع الخافـضِ تقديـره: لأن عبـدت أو لتعبيـدك.

واختلـف العلـماءُ في تفسـير الآيـة، ففسَّرهـا قـومٌ عـلى الإنـكارِ وقـومٌ عـلى الإقـرارِ، فمـن فسَّرهـا عـلى الإنـكارِ، قـال: معنـى الـكلام أو تلـك نعمـة؟ عـلى طريـقِ الاسـتفهام، ومثلـه ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعـام: ٧٦] وقولـه: ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبيـاء: ٣٤]، وأنشـدوا(١):

لَمْ أَنْـسَ يَـوْمَ الرَّحِيـلِ وِقْفَتَهَـا وَطَرْفُهَـا فِي دُمُوعِهَـا غَـرِقُ

وَقَوْلهَـا وَالـرِّكَابُ وَاقِفَـةٌ تَتْرُكُنِـي هَكَـذَا وَتَنْطَلِـقُ

وهذا قولُ جماعةٍ منهم، ثُمَّ لهم في معنى الكلامِ ووجهه **أربعةُ أقوال**:

أحدهـا: أنَّ فرعـون أخـذ أمـوالَ بنـي إسرائيـل، واسـتعبدهم وأنفـق عـلى موسـى منهـا، فأبطـل موسـى النِّعمـةَ، لأنَّهـا أموالُ بنـي إسرائيـل، قاله الحسـنُ.

والثـاني: أنَّ المعنـى: إنَّـك لـو كنـت لا تقتـل أبنـاء بنـي إسرائيـل، لكفلنـي أهـلي، وكانـت أمِّـي تسـتغني عـن قـذفي في اليـمِّ، فكأنَّـك تمـنُّ عـليَّ بـما كان

(١) البت لعمرو بن أبي ربيعة في تفسير الثعلبي (٢٠/ ٣٩)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٩٦).



بـلاؤك سـببًا لـه، وهـذا قـول المـبرِّدِ، والزَّجَّـاجِ، والأزهـري[١].

والثالـث: أنَّ المعنـى تمـنُّ عـليَّ بإحسـانك إليَّ خاصَّـة، وتنسـى إسـاءتك بتعبيـدك بنـي إسرائيـل، قالـه مُقاتـلٌ[٢].

والرابـع: أنَّ المعنـى كيـف تمـن عـليَّ بالتربيـةِ، وقد اسـتعبدت قومـي، ومن أهـين قومـه، فقـد ذلَّ، فقد حبط إحسـانك إليَّ بتعبيـدك قومي، حـكاه الثعلبيُّ[٣].

فأمَّـا مـن فسَّرهـا عـلى الإقـرارِ، فإنَّـه قـال: عدَّهـا موسـى نعمـة، حيـث ربَّـاه ولم يقتلـه، ولا اسـتعبده. فالمعنـى: هـي لعمـري نعمـة إذ ربيتنـي، ولم تسـتعبدني كاسـتعبادك بنـي إسرائيـل، فــ «أَنْ» تـدلُّ عـلى المحـذوفِ، ومثلـه في الـكلامِ أن تـضرب بعـض عبيـدك وتـترك الآخـر، فيقـول المـتروكُ: هـذه نعمـةٌ عـليَّ أن ضربـت فلانًـا، وتركتنـي، ثُـمَّ تحـذف وتركتنـي، لأنَّ المعنـى معـروفٌ، هـذا قـول الفَـرَّاءُ. [٦٠٠/ب]

قولــه تعــالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الشـعراء: ٢٣-٢٨].

قولـه: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سـأله عـن ماهيَّـة مـن لا ماهيَّـة لـه، فأجابـه بـما يـدلُّ عليـه مـن مصنوعاتـه.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٨٧)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٣٨).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٦٠).

(٣) الكشف والبيان (٧/ ١٦٢).

وفي قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه خلقَ السماواتِ والأرضَ.

والثاني: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أنَّ ما تعاينوه كما تعاينونه فكذلك، فأيقنوا أنَّه ربُّ السماواتِ والأرضِ.

﴿قَالَ﴾ يعني: فرعون لمن حوله من أشرافِ قومِهِ ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ معجبًا لهم.

فإنْ قيل: فأين جوابُهم؟

فالجواب: أنَّه أراد ألا تستمعون قولَ موسى؟ فردَّ موسى، لأنَّه المرادُ بالجواب، ثُمَّ زاد في البيانِ بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فأعرضَ فرعون عن جوابِهِ ونسبه إلى الجنونِ، فلم يحفل موسى بقولِ فرعون، واشتغل بتأكيد الحجَّة فـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: إن كنتم ذوي عقولٍ، لم يخفَ عليكم ما أقولُ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (٤٨)﴾[الشعراء: ٢٩-٤٨].

قوله: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بأمرٍ ظاهرٍ تعرف به صدقي أتسجنني؟ وما بعد هذا مفسَّرٌ في الأعراف[1] إلى قوله: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يومُ الزينة، وكان عيدًا لهم، وقيل للنَّاس يعني: أهل مصر، وذهبُ ابنُ زيدٍ إلى أنَّ اجتماعهم كان بالاسكندريةِ.

قوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾ قال الأكثرون: أرادوا سحرة فرعون، فالمعنى: لعلَّنا نتبعهم على أمرِهم، وقال بعضُهم: أرادوا موسى وهارون، وإنَّما قالوا ذلك استهزاء.

وقال ابنُ جريرٍ: و«لَعَلَّ» هاهنا بمعنى «كَيْ»[2].

وقوله: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: بعظمَتِه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ٤٩-٥١].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٠٧).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٥٦٧).

قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: اللَّام دخلت للتَّوكيد[١].

قوله: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا ضرر.

قال ابنُ قُتيبةَ: هو من ضَارَه يَضُوره ويَضِيره، بمعنى: ضَرَّه[٢].

والمعنى: لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدُّنيا، لأنَّا ننقلبُ إلى ربنَّا في الآخرة مؤملين غفرانه.

قوله: ﴿أَن كُنَّآ﴾ أي: لأن كنَّا أوَّل المؤمنين بآيات موسى في هذه الحال.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٢-٥٩].

قوله: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي: يتَّبعكم فرعونُ وقومه.

قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المعنى: وقال فرعونُ: إنَّ هؤلاءِ، يعني بني إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: طائفة[٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٠).

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٧).

(٣) غريب القرآن (ص:٣١٧).



قال الزَّجَّاجُ: والشِّرذمةُ في كلامِ العربِ القليل[(١)].

قال المفسِّرون: وكانوا ستمائة ألفٍ، وإنَّما استقلَّهم بالإضافة إلى جندِه، وكان جنده لا يُحصى.

قوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ تقول: غاظني الشيءُ إذا أغضبك.

قال ابنُ جريرٍ: وذكر أنَّ غيظهم كان لقتلِ الملائكةِ من قتلت من أبكارهم، قال: ويحتملُ أنَّ غيظهم لذهابِهم بالعَوَارِي التي اسْتَعَارُوهَا من حليهم، ويحتمل أن يكون لفراقِهم إيَّاهم وخروجِهم من أرضِهم على كرهٍ منهم[(٢)].

قوله: ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «حذرون» بغيرِ ألفٍ.

وقرأ الباقون: ﴿ حَٰذِرُونَ ﴾ بألفٍ[(٣)].

وهل بينهما فرق؟ فيه **قولان:**

أحدهما: أنَّ الحاذر المستعد، والحذر: المتيقِّظ، وجاء في التَّفسير: أنَّ معنى حاذرين مؤدون، أي: ذوو أداةٍ، وهي السلاحُ، لأنَّها أداةُ الحرب. [٦٠١/أ]

والثاني: أنَّهما لغتان معناهما واحدٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩١).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٧٦).

(٣) السبعة (ص:٤٧١)، والتيسير (ص: ١٦٥).

قال أبو عُبيدةَ: يقال: رجُلٌ حَذِرٌ وَحَذُرٌ وَحَاذِرٌ[١].

والمقام الكريم: المنزلُ الحسنُ.

وفي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ **قولان:**

أحدهما: كذلك أفعل بمن عصاني، قاله ابنُ السائبِ.

والثاني: الأمر كذلك، أي: كما وصفنا، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وذلك أنَّ الله تعالى ردَّهم إلى مصرَ بعد غرقِ فرعون، وأعطاهم ما كان لفرعون وقومِهِ من المساكنِ والأموالِ.

وقال ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ: إنَّما جعل ديار آلِ فرعون مِلكًا لبني إسرائيلَ، ولم يرددهم إليها، لكنَّه جعل مساكنهم الشام[٢].

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: ٦٠-٦٨].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٥٧٨).

قوله: ﴿ فَأَتۡبَعُوهُم ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ[١]: لَحِقُوهم، ﴿مُّشۡرِقِينَ ﴾ أي: حين شرقت الشمس، أي: طلعت، يقال: أشرقنا: دخلنا في الشروق، كما يقال: أمسينا وأصبحنا.

وقرأ الحسنُ، وأيوبُ السَّختياني: «فَاتَّبَعُوهُم» بالتَّشديد[٢].

قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾:

وقرأ أبو رجاء، والنَّخعيُّ، والأعمشُ: «تَرِاأَى» بكسرِ الرَّاءِ وفتح الهمزةِ[٣]، أي: تقابلا بحيث يرى كلُّ فريقٍ صاحبه.

قوله: ﴿ قَالَ كَلَّآ ﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ أي: سيدلُّني على طريقِ النَّجاةِ.

قوله: ﴿فَٱنفَلَقَ ﴾ فيه إضمارٌ «فضرب فانفلق»، أي: انشقَّ الماءُ اثني عشر طريقًا، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٍ ﴾ أي: كلّ جزءٍ انفرقَ منه.

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ، وعاصمٌ الجحدري: «كُلُّ فِلْقٍ» باللَّام[٤].

﴿كَٱلطَّوۡدِ ﴾ وهو الجبلُ.

---

(١) غريب القرآن (ص:٣١٧).

(٢) «فَاتَّبَعُوهُم» بالتشديد، وألف الوصل، عن الحسن، والذماري في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٨)، وفي التحصيل (٥/ ٥٧)، عن الحسن، وعمرو بن ميمون.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٨) خلاد عن الكسائي، وانظر: البحر المحيط (٨/ ١٥٩).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٨) حكاه يعقوب، عن بعضهم.

قولـه: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ أي: قرَّبنا الآخرين من الغرقِ، وهم أصحابُ فرعون.

وقال أبو عُبيدةَ: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ أي: جمعنا(١).

قال الزَّجَّاجُ: وكِلَا القولينِ حسنٌ، لأنَّ جمعهم تقريبُ بَعْضِهم من بَعْضٍ، وأصلُ الزُّلْفَى في كلامِ العربِ القُرْبَى(٢).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو رجاء، والضَّحاكُ، وابنُ يعمرَ: «وأَزْلَقْنَا» بقافٍ، وكذلك قرأوا: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ [الشعراء ٩٠] بقافٍ أيضًا(٣).

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يعني: في إهلاكِ فرعون وقومِه عبرةٌ لمن بعدهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: لم يكن أكثر أهل مصرَ مؤمنينَ، إنَّما آمنت آسيةُ، وخربيلُ مؤمن آل فرعون، وفَنَّةُ الماشطة، ومريمُ امرأةٌ دلَّت موسى على عظامِ يوسفَ، هذا قولُ مُقاتلٌ(٤).

وما أخللنا به من تفسير كلماتٍ في قصَّةِ موسى، فقد سبق بيانُها، وكذلك ما يفقد ذكرُه في مكانٍ، فهو إمَّا أن يكون قد سبقَ، وإمَّا أن يكون ظاهرًا، فتنبَّه لهذا.

(١) مجاز القرآن (٢/ ٨٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٣).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٨) عن أبي بن كعب، وابن عباس، وفي التحصيل (٥/ ٥٧) عن عبد الله بن الحارث.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٦٣).

قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٩-٨٢].

قوله: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾ والمعنى: هل يسمعونَ دعاءكم.

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وابنُ يعمر، وعاصمٌ الجحدري: «هَلْ يُسْمِعُونَكُمْ» بضمِّ الياءِ وكسرِ الميم[1].

﴿ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إن شئت بيَّنْتَ الذَّال، وإن شئت أدغمتَها في التَّاء، وهو أجود في العربيَّة لقربِ الذَّال من التاءِ[2].

قوله: ﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ ﴾ أي: إن عبدتموهم ﴿ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ إن لم تعبدوهم؟ فأخبروا عن تقليد آبائهم.

قوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنَّ لفظه لفظ الواحدِ والمراد به الجميعُ، فالمعنى: فإنَّهم أعداءٌ لي.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٨) عن قتادة، ويحيى بن يعمر، وفي التحصيل (٥/ ٥٧) عن قتادة وحده.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٣).

والثاني: أنَّ كلَّ معبودٍ لكم عدوٌّ لي. [٦٠١/ب]

فإن قيل: ما وجه وصف الجمادِ بالعدواةِ؟

فالجوابُ من وجهين:

أحدهما: أنَّ معناه: فإنَّهم عدوٌّ لي يوم القيامةِ إن عبدتهم.

والثاني: أنَّه من المقلوبِ؛ والمعنى: فإنِّي عدوٌّ لهم، لأنَّ مَن عاديته عاداك، قاله ابنُ قُتيبةَ[1].

وفي قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه استثناءٌ من الجنسِ، لأنَّه علِم أنَّهم كانوا يعبدونَ الله مع آلهتهم، قاله ابنُ زيدٍ.

والثاني: أنَّه من غير الجنسِ، والمعنى: لكن رب العالمين ليس كذلك، قاله أكثرُ النحويين.

قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي: إلى الرُّشد، لا ما تعبدون، ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ أي: هو رازقي الطَّعامِ والشراب.

فإن قيل: لِمَ قال: مرضت، ولم يقل: أمرضني؟

فالجواب: أنَّه أراد الثَّناء على ربِّه، فأضاف إليه الخيرَ المحضَ، لأنَّه لو قال: أمرضني لعد قومَه ذلك عيبًا، فاستعمل حسنَ الأدبِ، ونظيره قصَّة الخضرِ حين قال في العيب: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ [الكهف ٧٩]، وفي الخيرِ المحضِ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف ٨٢].

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:١٢٢).

فإن قيل: فهذا يردُّه قوله: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ﴾.

فالجواب: أنَّ القومَ كانوا لا ينكرون الموتَ، وإنَّما يجعلون له سببًا سوى تقدير الله ﷻ، فأضافه إبراهيمُ إلى الله ﷻ، وقوله: ﴿ ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ يعني للبعث: وهو أمرٌ لا يقرُّون به، وإنَّما قاله استدلالًا عليهم، والمعنى: أنَّ ما وافقتموني عليه موجبٌ لصحَّة قولي فيما خالفتموني فيه.

قوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى ﴾ يعني: ما يجري على مثلي من الزَّلل، والمفسِّرون يقولون: إنَّما عنى الكلمات الثَّلاث التي ذكرناها في الأنبياء[1].

﴿ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ يعني: يومَ الحشرِ والحسابِ، وهذا احتجاجٌ على قومِه أنَّه لا تصلحُ الإلهيَّة إلَّا لمن فعل هذه الأفعال.

قوله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشعراء: ٨٣-٨٩].

قوله: ﴿ هَبْ لِى حُكْمًا ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: النبوَّةُ، قاله أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: اللُّبُّ، قاله عكرمةُ.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٦٣).

والثالث: الفهمُ والعلمُ، قاله مُقاتلٌ[١].

وقد بيَّنا قوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ في سورة يوسفَ[٢]، وبيَّنا معنى ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ في مريمَ[٣]، والمرادُ بالآخرين: الذين يأتونَ بعدَه إلى يوم القيامةِ.

قوله: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾ قال الحسنُ: بلغني أنَّ أمَّهُ كانت مسلمة على دينه، فلذلك لم يذكرها.

فإن قيل: فقد قال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [إبراهيم ٤١].

قيل: أكثر الذِّكر إنَّما جرى لأبيه، فيجوز أن يسألَ الغفرانَ لأمِّه، وهي مؤمنةٌ، فأمَّا أبوه فلا شكَّ في كفرِهِ، وقد بيَّنا سبب استغفارِهِ لأبيه في براءة[٤]،وذكرنا معنى الخزي في آل عمرانَ[٥].

قوله : ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ يعني: الخلائق.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ **فيه ستَّةُ أقوالٍ**:

أحدها: سليمٌ من الشِّركِ، قاله الحسنُ، وابنُ زيدٍ.

والثاني: سليمٌ من الشكِّ، قاله مجاهدٌ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٦٩).

(٢) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (١٠١).

(٣) انظر: تفسير سورة مريم الآية رقم (٥٠).

(٤) انظر: تفسير سورة براءة الآية رقم (١١٣).

(٥) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٩٢).

والثالث: سليمٌ، أي: صحيحٌ، وهو قلبُ المؤمن، لأنَّ قلبَ الكافر والمنافق مريضٌ، قاله سعيدُ بنُ المسيب.

والرابع: أنَّ السليمَ في اللُّغة: اللَّديغُ، فالمعنى: كاللَّديغِ من خوفِ الله تعالى، قاله الجنيدُ.

والخامس: سليمٌ من آفاتِ المالِ والبنين، قاله الحسينُ بنُ الفضلِ.

والسادس: سليمٌ من البدعةِ، مطمئنٌ على السنة، حكاه الثعلبيُّ[1].

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الشعراء: ٩٠-١٠٤].

قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قربت إليهم حتَّى نظروا إليها، ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ أي: أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ وهم الضالُّون، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ على وجه التَّوبيخ ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ أي: يمنعونكم من العذابِ، أو يمتنعون منه. [٦٠٢/أ]

قوله: ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾:

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ١٧١).

قال السُّدِّيُّ: هم المشركون[١].

قال ابنُ قُتيبةَ: ألقوا على رؤوسِهم، وأصلُ الحرف «كُبِّبُوا» من قولك: كَبَبتُ الإِنَاء، فأبدل من الباءِ الوسطى كافًا، استثقالًا لاجتماعِ ثلاثِ باءاتٍ، كما قالوا: «كُمْكِمُوا» من «الكُمَّةِ» والأصلُ: «كُمِّمُوا»[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: معناه: طُرِحَ بعضُهم على بعضٍ، وحقيقةُ ذلك في اللُّغة تكرير الانكباب، كأنَّه أُلقِيَ يَنْكَبُّ مرَّةً بعد مرَّةٍ حتَّى يسْتَقِرَّ فيها[٣].

وفي الغاوين ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: المشركون، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: الشياطينُ، قاله قتادةُ، ومُقاتلٌ[٤].

والثالث: الآلهةُ، قاله السُّدِّيُّ.

﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ ﴾ أتباعه من الجنِّ والإنس، ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ يعني: هم وآلهتهم، ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا ﴾:

قال الفَرَّاءُ: لقد كُنَّا.

وقال الزَّجَّاجُ: ما كُنَّا إلَّا في ضلالٍ[٥].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٧٤٩) من طريق سفيان، به، بلفظ: «مُشْرِكُوا الْعَرَبِ».

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٤).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٤).

قوله: ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم ﴾ أي: نعدلكم بالله في العبادةِ.

﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: الشياطينُ.

والثاني: أولوهم الذين اقتدوا بهم.

قال عكرمةُ: إبليسُ، وابن آدم القاتل[1].

قوله: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾ هذا قولهم إذا شفع الأنبياء، والملائكة، والمؤمنون.

وروى جابرُ بنُ عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ فِي الْجَنَّةِ: مَا فَعَلَ صَدِيقِي فُلانٌ؟وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: فَمَا لَنا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»[2].

والحميم: القريب الذي توده ويودُّك، والمعنى: ما لنا من ذي قرابةٍ يهمُّه أمرنا، ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ أي: رجعة إلى الدُّنيا ﴿ فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾؛ لتحلَّ لنا الشفاعةُ كما حلَّت للموحِّدين.

قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾[الشعراء: ١٠٥-١١٠].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٩٩) من طريق ابن جريج، به.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٧٢)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٧) من طريق الوليد بن مسلم، عن من سمع أبا الزبير، عن جابر، به، بنحوه. وهو منقطع لجهالة شيخ الوليد بن مسلم.

قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: القوم مذكرون؛ والمعنى: كذبت جماعة قوم نوح[1].

قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ كانت الأخوَّة من جهة النَّسب بينهم لا من جهةِ الدِّين، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذابَ الله بتوحيدِه وطاعتِه، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على الرسالة فيما بيني وبين ربِّكم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: على الدُّعاء إلى التوحيدِ.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)﴾ [الشعراء: ١١١- ١١٦].

قوله: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾:

وقرأ يعقوبُ: «وأَتْبَاعُكَ الأرذلون»[2].

وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الحاكة، رواه الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: الحاكة والأساكفة، قاله عكرمةُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٥).

(٢) في التحصيل (٥/ ٧٣) عن ابن مسعود، والضحاك، ويعقوب الحضرمي، وزاد في المحرر (٤/ ٢٣٧) ابن السَّمَيْفَع، واليماني، وسعيد بن أسعد الأنصاري، وزاد في البحر المحيط (٨/ ١٧٦) الأعمش، وأبا حيوة، وطلحة.

والثالث: المساكينُ الذين ليس لهم مالٌ ولا عزٌّ، قاله عطاءُ.

وهذا جهلٌ منهم؛ لأنَّ الصناعات لا تضرُّ في باب الديانات.

قوله: ﴿وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: لم أعلم أعمالهم وصنائعهم، ولم أكلف ذلك، إنَّما كلِّفت أن أدعوهم، ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ﴾ فيما يعملون ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾ بذلك ما عبتموهم في صنائعهم، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: ما أنَا بالذي لا أقبل إيمانهم لزعمكم أنَّهم الأرذلون.

وفي قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: من المشتومين، قاله الضَّحاكُ.

والثاني: من المضروبين بالحجارةِ، قاله قتادةُ.

[٦٠٢/ب] **والثالث**: من المقتولين بالرَّجم، قاله مُقَاتِلٌ(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢﴾ [الشعراء: ١١٧-١٢٢].

قوله: ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ﴾ أي: اقضِ بيني وبينهم قضاء، يعني: بالعذاب ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ﴾ من ذلك العذابِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧٢).

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾ قد تقدَّم بيانُه، و﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوءُ، يقال: شحنت الإناءَ، إذا ملأته، وكانت سفينةُ نوح قد ملئت من الناسِ، والطير، والحيوان كله، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد نجاةِ نوح ومن معه ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾[الشعراء: ١٢٣-١٣٥].

قوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾.

وقرأ عاصمٌ الجحدري، وأبو حيوةَ، وابنُ أبي عبلة: «بِكُلِّ رَيعٍ» بفتح الرَّاء[1].

قال الفرَّاءُ: هما لغتان[2].

ثُمَّ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه المكانُ المرتفعُ، روى ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ قال: بكلِّ شَرَفٍ[3].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٨) عن الكسائي.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٨١).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٧/ ٦٠٧)، وابن أبي حاتم (١٥٧٩٨) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به.

قال الزَّجَّاجُ: هو في اللُّغة: الموضعُ المرتفعُ من الأرضِ[١].

والثاني: أنَّه الطَّريقُ، رواه الضَّحاك، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ.

والثالث: الفجُّ بين الجبلين، قاله مجاهدٌ.

والآية: العلامةُ.

وفيما أراد بهذا البناء ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه أراد: تبنون ما لا تسكنون، رواه عطاءٌ، عن ابن عبَّاسٍ، والمعنى: أنَّه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثًا.

والثاني: بروج الحمام، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ.

والثالث: أنَّهم كانوا يبنون في المواضع المرتفعة، ليشرفوا على المارَّة، فيسخروا منهم، ويعبثوا بهم، وهو معنى قول الضَّحاك.

قوله: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: قصورٌ مشيدةٌ، قاله مجاهدٌ.

والثاني: مصانع الماء تحت الأرضِ، قاله قتادةُ.

والثالث: بروج الحمام، قاله السُّدِّيُّ.

وفي قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ **قولان:**

أحدهما: كأنَّكم تخلدون، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وأبو مالكٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٦).

والثاني: كيما تخلدوا، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ[1].

وقرأ عكرمةُ، والنَّخعيُّ، وقتادةُ، وابنُ يعمر: «تُخْلَدُونَ» برفعِ التَّاء وتسكين الخاءِ وفتح اللام مخفَّفة[2].

وقرأ عاصمٌ الجحدري، وأبو حصين: «تُخَلَّدُونَ» بفتح الخاءِ وتشديد اللامِ[3].

قوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ المعنى: إذا ضربتم ضربتم بالسياطِ ضرب الجبَّارين، وإذا عاقبتم قتلتم، وإنَّما أنكر عليهم ذلك، لأنَّه صدر عن ظلمٍ، إذ لو ضربوا بالسيف أو بالسوط في حقٍّ ما لِيموا.

وفي قوله: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قولان:

أحدهما: ما عذِّبوا به في الدُّنيا.

والثاني: عذابُ جهنَّم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[الشعراء: ١٣٦-١٤٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٨١)، وغريب القرآن (ص:٣١٩).

(٢) مبنيًّا للمفعول عن قتادة في التحصيل (٥/ ٧٣)، والمحرر (٤/ ٢٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٩).

(٣) مبنيًّا للمفعول في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٨) عن أبي العالية، وفي المحرر (٤/ ٢٣٨) أُبَيٍّ، وعلقمة.

قولـه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، وأبـو عمـرٍو، والكسـائيُّ: «خَلْـقُ» بفتـح الخـاءِ وتسـكين الـلامِ[١].

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: أرادوا اختلافهـم وكذبهـم، يقـال: خَلَقْـتُ الحديـثَ واخْتَلَقْتُـهُ؛ أي: افْتَعَلْتُـهُ[٢].

قال الفَرَّاءُ: والعربُ تقول للخرافات: أحاديث الْخَلْق[٣].

وقـرأ عاصـمٌ، وأبـو عمـرٍو، وحمـزةُ، وخلـفٌ، ونافـعٌ، وابـنُ عامـر: ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بضـمِّ الخـاءِ والـلامِ.

وقـرأ ابـنُ عبَّـاسٍ، وعكرمـةُ، وعاصـمٌ الجحـدري: «خُلْـقُ» برفـع الخـاء وتسـكين الـلام[٤]؛ والمعنـى: عادتهـم وشـأنهم.

قـال قتـادةُ: قالـوا لـه: هكـذا كان النـاسُ يعيشـون مـا عاشـوا ثُـمَّ يموتـون، ولا بعـثَ لهـم ولا حسـاب[٥].

قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أي: على ما نفعله في الدُّنيا.

---

(١) السبعة (ص:٤٧٢)، والتيسير (ص:١٦٦).

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٩).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٨١).

(٤) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٠٩)، والتحصيـل (٥/ ٧٣) عـن أبي قلابـة، ورواهـا ابـن جبـير عـن أصحـاب نافـع، عـن نافـع.

(٥) رواه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٢/ ٤٦٢)، ومـن طريقـه ابـن جريـر الطـبري (١٧/ ٦١٥) مـن طريـق معمـر، بـه، ورواه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (١٥٨٣٥) مـن طريـق سـعيد بـن أبي عروبـة، بـه.

قولـه تعـالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ (١٤٩) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ (١٥١) ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)﴾ [الشـعراء: ١٤٦-١٥٢].

قولـه: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ أي: فيـما أعطاكـم الله في الدُّنيـا ﴿ءَامِنِينَ﴾ من المـوتِ والعـذابِ.

قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطلع: الثمرُ.

وفي الهضيم سبعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الذي قد أينع وبلغ، رواه العوفيُّ، عن ابن عبَّاسٍ. [٦٠٣/أ]

والثاني: أنَّه الذي يتهشَّم تهشُّمًا، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّه الذي ليس [له][1] نوى، قاله الحسنُ.

والرابع: أنَّه المذنَّب من الرُّطَبِ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والخامس: اللِّين، قاله قتادةُ، والْفَرَّاءُ[2].

والسادس: أنَّه الحملُ الكثيرُ، الذي يركب بعضه بعضًا، قاله الضَّحاكُ.

والسـابع: أنَّـه الطلـعُ قبـل أَنْ ينشـقَّ عنـه القـشرُ وينفتـح، يريد أنَّـه منضمٌ مكتنزٌ، ومنـه قيل: رجل أهضـم الكشـحين، إذا كان منضمهما، قاله ابـنُ قُتيبةَ[3].

---

(١) زيادة من (س).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٨٢).

(٣) غريب القرآن (ص:٣١٩).

قوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «فَرِهِينَ».

وقرأ الباقون: ﴿فَٰرِهِينَ﴾ بألفٍ[1].

قال ابنُ قُتيبةَ: فرهين أَشِرين بَطِرين، ويقال: الهاء فيه مبدلة من حاء أي: فرحين، والفرح قد يكون السرور، وقد يكون الأشر، ومنه قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] أي: الأشرين، ومن قرأ: «فَارِهِينَ» فهي لغةٌ أخرى، يقال: فرِه وفارِه كما يقال: فرِح وفارِح، ويقال: «فَارِهِينَ» أي حاذقين[2].

قال عكرمةُ: حاذقين بنحتها.

قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني المشركين.

وقال مُقاتلٌ: هم التسعة الذين عقروا الناقة[3].

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

(١) السبعة (ص:٤٧٢)، والحجة (٥/ ٣٦٦).

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧٥).

﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الشعراء: ١٥٣-١٦٤].

قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي ممن له سَحْر، والسحْرُ الرِّئةُ، والمعنى: أنت بشرٌ مِثْلُنا، وجائز أن يكون من المفَعَّلينَ من السِّحر، والمعنى: ممن قد سُحِرَ مَرَّة بعد مَرَّة[1].

قوله: ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ أي: حظ من الماء.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لها شربٌ معروفٌ، لا تحضروه معها، ولكم شربٌ، لا تحضر معكم، فكانت إذا كان يومهم حضروا الماء فاقتسموه، وإذا كان يومها شربت الماء كله.

وقال قتادةُ: كانت إذا كان يوم شربها شربت ماءهم أوَّل النهارِ وسقتهم اللَّبن آخر النَّهار[2].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ، وابن أبي عبلةَ: «لَهَا شُرْبٌ» بضمِّ الشينِ[3].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٠).

(٣) في المحرر (٤/ ٢٤٠) عن ابن أبي عبلة.

قوله: ﴿فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: ندموا حين رأوا العذابَ على عقرها، وعذابُهم كان بالصَّيحة.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٧٥].

قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾، وهو جمعُ ذكرٍ ﴿مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: من بني آدم ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: وقرأ ابنُ مسعودٍ: «مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم» يعني به الفُرُوج[1].

وقال مجاهدٌ: تَرَكْتُمْ أَقْبَالَ النِّسَاءِ إلى أدْبَارِ الرِّجالِ[2].

قوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: ظالمون معتدون ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ أي: لئن لم تسكت عن نهينا، لتكونَنَّ من المخرجين من بلدنا، ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم﴾ يعني: إتيانَ الرِّجال من القالين.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٩).

(٢) عن مجاهد في تفسيره (ص:٥١٣)، ورواه ابن جرير الطبري (١٧/ ٦٣٠)، وابن أبي حاتم (١٥٨٨٦) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيح، به.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي من المُبْغِضين. يقال: قَلَيْتُ الرجلَ: إذا أبغضته[١].

قوله: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من عقوبةِ عملهم.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ وقد ذكرناهم في هود[٢] ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني: امرأته ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي الباقين في العذابِ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ أهلكناهم بالخسفِ والحصبِ، وهو قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ يعني: الحجارة.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾[الشعراء: ١٧٦-١٨٠].

قوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «أَصْحَابُ لَيْكَةَ» هاهنا، وفي «ص»[٣] بغيرِ همزٍ والتاءُ مفتوحةٌ.

وقرأ الباقون: ﴿أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ بالهمزِ فيهما والألف[٤].

وقد سبق هذا الحرفُ[٥]. [٦٠٣/ب]

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ إنْ قيل: لِمَ لم يقل: «أخوهم» كما قال في الأعراف؟

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٢٠).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٨٠).

(٣) انظر: تفسير سورة ص الآية رقم (١٣).

(٤) السبعة (ص:٤٧٣)، والمبسوط (ص:٢٦١).

(٥) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٧٨).



فالجوابُ: أَنَّ شعيبًا لم يكن من نسلِ أصحابِ الأيكةِ، فلذلك لم يقل: «أخوهم»، وإنَّما أرسل إليهم بعد أَنْ أرسلَ إلى مدين، وهو من نسلِ مدين، فلذلك قال هناك: «أخوهم»، هذا قول مُقَاتِل بنُ سليمانَ[١].

وقد ذكرنا في سورة هود[٢] عن محمَّدِ بنِ كعبِ القرظي، أنَّ أهلَ مدين عذبوا بعذاب الظُّلَّة، فإن كانوا غير أصحاب الأيكةِ كما زعم مُقاتلٌ، فقد تساووا في العذاب، وإن كان أصحاب مدين هم أصحابُ الأيكة، وهو مذهب ابن جريرِ الطَّبري، كان حذف ذكر الأخ تخفيفًا، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾[الشعراء: ١٨١-١٨٤].

قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴾ أي: من الناقصين للكيلِ، يقال: أخسرت الكيلَ والوزنَ: إذا نقصته، وقد ذكرنا القسطاس في بني إسرائيل[٣].

قوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ﴾ أي: وخلق الجبلة.

وقيل: المعنى: واذكروا ما نزل بالجبلَّة ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

وقرأ الحسنُ، وأبو مجلزٍ، وأبو رجاء، وابنُ يعمرَ، وابنُ أبي عبلةَ: «وَٱلْجُبُلَّةَ» برفع الجيمِ والباء جميعًا مشدَّدة اللام[٤].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧٨).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٩٤).

(٣) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٣٥).

(٤) في المحتسب (٢/ ١٣٢)، ومختصر ابن خالويه (ص:١٠٩)، والمحرر (٤/ ٢٤٢) عن=

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ، والضَّحاكُ، وعاصمٌ الجحدري: بكسرِ الجيم وتسكين الباءِ وتخفيف اللامِ[1].

قال ابنُ قُتيبةَ: الجبلة: الخَلْق يقال: جُبِلَ فلان على كذا، أي خلق.

قال الشاعر [من الكامل][2]:

وَالْمَوْتُ أَعْظَمُ حَادِثٍ مِمَّا يَمُرُّ عَلَى الجِبِلَّةِ

قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾[الشعراء: ١٨٥-١٩١].

قوله: ﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: قطعةً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وكِسَفٌ جمع كِسْفَة كما يقال: قِطَعٌ وقِطْعَةٌ[3].

=الحسن، وأبي حصين، وفي التحصيل (٥/ ٧٣) عن الحسن باختلاف عنه، وزاد في البحر المحيط (٨/ ١٨٧) الأعمش.

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٩)، والبحر المحيط (٨/ ١٨٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي.

(٢) بلا نسبة في غريب القرآن (ص:٣٢٠)، والمحرر (٤/ ٢٤٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٢٠).



قولـه : ﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ أي: مـن نقصـان الكيـلِ والميـزانِ، والمعنـى: إنَّـه يجازيكـم إن شـاءَ، وليـس عذابكـم بيـدي.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ ﴾ قـال المفسِّرون: بعـثَ الله عليهـم حـرًّا شـديدًا فأخـذ بأنفاسـهم، فخرجـوا مـن البيـوت هربًـا إلى البريـةِ، فبعـث الله عليهـم سـحابةً أظلَّتهـم مـن الشـمسِ، فوجـدوا لهـا بـردًا ونـادى بعضُهـم بعضًـا، حتَّـى إذا اجتمعـوا تحتهـا، أرسـلَ الله عليهـم نـارًا، فـكان ذلـك مـن أعظـمِ العـذابِ. والظلَّـة: السـحابةُ التـي أظلَّتهـم.

قولـه تعـالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الشـعراء: ١٩٢-١٩٩].

قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ يعني: القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾.

قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، ونافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وحفـصٌ عـن عاصـمٍ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ﴾ خفيفًـا ﴿ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ بالرفـعِ.

وقـرأ أبـنُ عامـرٍ، وحمـزةُ، والكسـائيُّ، وأبـو بكـرٍ، عـن عاصـمٍ: «نَـزَّلَ» مشـدَّدة الـزاي، «ٱلـرُّوحَ ٱلأَمِـينَ» بالنصـب، والمـراد بالـرُّوح الأمـين جبريل[1]، وهـو أمـينٌ عـلى وحـي الله تعـالى إلى أنبيائـه.

﴿ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾.

(١) السبعة (ص:٤٧٣)، والحجة (٥/ ٣٦٨).

قال الزَّجَّاجُ: معناه: نزَّل عليك فوعاه قلبك، فثبَّت فَلَا تنساه أبدًا[١].

قولـه: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: ممـن أنـذر بآيـاتِ الله المكذبـين، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: بلسان قريش ليفهموا ما فيه[٢].

قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

وقرأ الأعمشُ: «زُبْرِ» بتسكين الباءِ[٣]، وفي هاء الكنايةِ قولان:

أحدهما: أنَّهـا ترجـعُ إلى القـرآنِ، والمعنـى: وإنَّ ذكـرَ القـرآنِ وخـبره، هـذا قـولُ الأكثريـن.

والثاني: أنَّها تعودُ إلى رسولِ الله ﷺ، قاله مُقاتلٌ[٤].

والزُّبُر: الكتب.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾:

قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، ونافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وعاصـمٌ، وحمـزةُ، والكسـائيُّ: [٦٠٤/أ] ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾ باليـاء ﴿ءَايَةً﴾ بالنصـبِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، به، بلفظ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ وَلِسَانِ خُزَاعَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ الدَّارَ وَاحِدَةٌ».

(٣) في إعراب القرآن (٣/ ١٣١)، والمحرر (٤/ ٢٤٣)، والبحر المحيط (٨/ ١٨٩) عن الأعمش.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨٠).

وقرأ ابنُ عامر، وابنُ أبي عبلةَ: «تَكُنْ» بالتاء «آيَةٌ» بالرَّفعِ[١].

وقرأ أبو عمران الجوني، وقتادةُ: «تَكُنْ» بالتاء «آيَةً» بالنصب[٢].

قال الزَّجَّاجُ: إذا قلت: «يَكُن» بالياء، فالاختيار نصب «آيَةً»، ويكون «أَنْ» اسم كان ويكون «آيةً» خبرُ كان، المعنى: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أنَّ النَّبيَّ ﷺ حقٌّ، وأنَّ نبوَّته حقٌّ، ﴿ءَايَةً﴾ أي: علامة موضِّحةً؛ لأنَّ العلماءَ الذين آمنوا من بني إسرائيل وجدوا ذكرَ النَّبيِّ ﷺ مكتوبًا عندهم في التوراةِ والإنجيلِ.

ومن قرأ: «أَوَ لَمْ تَكُنْ» بالتاء «آيَةٌ» جعل «آيةٌ» هي الاسمُ، وأَنْ يعلمه خبر تكن، ويجوز أيضًا «أَوَ لَمْ تَكُنْ» بالتَّاء «آيَةً» بالنصب كقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾[٣] [الأنعام: ٢٣].

وقرأ الشَّعبيُّ، والضَّحاكُ، وعاصمٌ الجحدري: «أن تعلمه» بالتاءِ[٤].

قال ابنُ عبَّاسٍ: بعث أهل مكَّةَ إلى اليهودِ وهم بالمدينةِ، يسألونهم عن محمَّدٍ ﷺ، فقالوا: إنَّ هذا لزمانه، وإنَّا لنجدُ في التوراةِ صفته، فكان ذلك آية لهم على صدقِهِ[٥].

---

(١) السبعة (ص:٤٧٣)، والمبسوط (ص:٣٢٨).

(٢) الحجة في القراءات السبع (١/ ٢٦٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠١).

(٤) في التحصيل (٥/ ٧٤) عن عاصم الجحدري.

(٥) رواه ابن جرير الطبري (١٤/ ٦٤٤)، وابن أبي حاتم (١٥٩٥٩) في تفسيرهما من طريق عطية العوفي، به.

قوله: ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: هو جمعُ أعجم، والأنثى عجماء، والأعجم الذي لا يفصح، وكذلك الأعجميُّ، فأمَّا العَجَميُّ فالذي من جنس العَجَم، أفْصَحَ أو لم يُفْصِحْ[1].

قوله: ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لو قرأهُ عليهم أعجميٌّ، لقالوا: لا نفقه هذا، فلم يؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾[الشعراء: ٢٠٠-٢٠٩].

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ قد شرحناه في الحجر[2]، والمجرمون هاهنا المشركون.

قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾:

قال الفَرَّاءُ: المعنى: كي لا يؤمنوا[3].

فأمَّا العذابُ الأليمُ فهو عند الموتِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (١٢).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٨٣).

﴿ فَيَقُولُواْ ﴾ عند نزول العذابِ: ﴿هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ﴾ أي: مؤخَّرون لنؤمن ونصدق.

قال مُقاتلٌ: فلمَّا أوعدهم رسول الله ﷺ بالعذابِ. قالوا: فمتى هو؟ تكذيبًا به، فقال الله تعالى: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾[1].

قوله: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ﴾:

قال عكرمةُ: عمر الدُّنيا[2].

قوله: ﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ أي: من العذابِ ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ ﴾ بالعذابِ في الدُّنيا ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ يعني: رسلًا تنذرهم العذاب ﴿ ذِكۡرَىٰ ﴾ أي: موعظةً وتذكيرًا.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴾[الشعراء: ٢١٠-٢١١].

قوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ سببُ نزولها: أَنَّ قريشًا قالت: إنَّما تجيء بالقرآنِ الشياطينُ، فتلقيه على لسانِ محمَّدٍ، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلٌ[3].

قوله: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ ﴾ أي: أَنْ ينزلوا بالقرآن، ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ أَنْ يأتوا به من السَّماء، لأنَّهم قد حيل بينهم وبين السَّمعِ بالملائكةِ والشهبِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨٠).

(٢) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٠/ ٦٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨١).

﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾ أي: عن الاستماعِ للوحي من السَّماءِ ﴿ لَمَعْزُولُونَ ﴾ فكيف ينزلون بِه؟

وقال عطاءٌ: عن سماعِ القرآنِ لمحجوبون، لأنَّهم يرجمون بالنُّجومِ(١).

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٣-٢٢٠].

قوله: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: يحذِّر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلقِ عليَّ ولو اتَّخذتَ من دوني إلهًا لعذَّبتك(٢).

قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

روى البخاريُّ، ومسلمٌ من حديث أبي هريرةَ قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزل الله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ فقال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ** [٦٠٤/ب] **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، وفي بعض

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٤).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٤).

الألفاظ: «سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»، وفي لفظ: «غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا»[١].

ومعنى قوله: ﴿عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ رهطك الأدنين ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ يعني: العشيرة ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفرِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: ثق به وفوِّض أمركَ إليه، فهو عزيزٌ في نقمته، رحيمٌ لم يعجِّل بالعقوبةِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامر: «فَتَوَكَّلْ» بالفاءِ[٢].

وكذلك هو في مصاحفِ أهلِ المدينةِ والشَّامِ.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: حين تقوم إلى الصَّلاةِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومُقاتلٌ[٣].

والثاني: حين تقوم من مقامك، قاله أبو الجوزاءِ.

والثالث: حين تخلو، قاله الحسنُ.

قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ أي: ونرى تقلبك ﴿فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ **وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: وتقلُّبك في أصلابِ الأنبياءِ حتى أخرجك، رواه عكرمةُ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

---

(١) البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٥).

(٢) السبعة (ص:٤٧٣)، والمبسوط (ص:٣٢٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨٢).

والثـــاني: وتقلُّبــك في الرُّكــوعِ، والسُّــجودِ، والقيــامِ مــع المصلِّــين في الجماعــةِ، والمعنــى: يــراك وحــدك ويــراكَ في الجماعــةِ، وهــذا قــولُ الأكثريــن منهــم قتــادةُ.

والثالث: وتصرُّفك في ذهابك ومجيئك في أصحابكَ المؤمنين، قاله الحسنُ.

قولــه تعــالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[الشــعراء: ٢٢١-٢٢٣].

قولــه: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ هــذا ردٌّ عليهــم حــين قالــوا: إنَّــما يأتيــه بالقــرآنِ الشــياطين، فأمَّــا الأفَّــاكُ فهــو الكــذَّاب، والأثيــمُ: الفاجــرُ.

قال قتادةُ: وهم الكهنةُ.

قوله: ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ أي: يلقون ما سمعوه من السَّماءِ إلى الكهنةِ.

وفي قوله: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ **قولان**:

أحدهما: أنَّهم الشياطينُ.

والثاني: الكهنةُ.

قولــه تعــالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[الشــعراء: ٢٢٤-٢٢٧].

قوله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾.

وقـرأ نافعٌ: «يَتْبَعُهُـمُ» بسـكونِ التَّـاءِ[١]، والوجهـان حسـنانِ، يقـال: تَبِعْـت واتَّبَعْـت مثـل حَقَـرْت واحْتَقَـرْتُ.

وروى العـوفيُّ، عـن ابـنِ عبَّـاسٍ قـال: كان رجـلان عـلى عهـدِ رسـولِ الله ﷺ قـد تَهاجَيَـا، فـكان مـع كلِّ واحـدٍ منهـما غُـوَاةٌ مـن قومِـهِ، فقـال الله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[٢].

وفي روايةٍ أُخرى عن ابنِ عبَّاسٍ قال: هم شعراءُ المشركين[٣].

قـال مُقاتـلٌ: منهـم عبـدُ الله بـن الزبعـرى، وأبـو سـفيان بـن حـربٍ، وهبـيرةُ بـن أبي وهـبٍ المخزومـي في آخريـن، قالـوا: نحـن نقـول مثـل قـولِ محمَّـدٍ، وقالـوا الشِّـعر، فاجتمـع إليهـم غـواة مـن قومهم، يسـتمعون أشـعارَهم ويـروون عنهـم[٤].

وفي الغاوين ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الشياطينُ، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ.

والثاني: السُّفهاءُ، قاله الضَّحاكُ.

---

(١) السبعة (ص:٤٧٤)، والتيسير (ص:١١٥).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٦٧٤).

(٣) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٧/ ٦٧٥)، وابـن أبي حاتـم (١٦٠٤٩) في تفسـيرهما، مـن طريـق علي بـن أبي طلحـة، بـه، بنحـوه.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨٢).

والثالث: المشركون، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ هذا مثل بمن يهيم في الأوديةِ، والمعنى: أنَّهم يأخذون في كلِّ فنٍ من لغوٍ وكذبٍ وغير ذلك، فيمدحون بباطلٍ، ويذمون بباطلٍ، ويقولون فعلنا ولم يفعلوا.

قوله: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: لَمَّا نزل ذم الشُّعراء، جاء كعبُ بنُ مالكٍ، وعبدُ الله بنُ رواحةَ، وحسانُ بنُ ثابتٍ، فقالوا: يا رسولَ الله أنزلَ الله [٦٠٥/ أ] هذا، وهو يعلمُ أنَّا شعراء؟ فنزلت هذه الآيةُ[1].

قال المفسِّرون: وهذا الاستثناءُ لشعراءِ المسلمين الذين مدحوا رسولَ الله ﷺ، وذمُّوا من هجاه.

﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي: لم يشغلْهم الشِّعرُ عن ذكرِ الله، ولم يجعلوا الشعرَ همَّهم.

وقال ابنُ زيدٍ: وذكروا الله في شعرهم، وقيل: المرادُ بالذِّكرِ الشِّعر في طاعةِ الله ﷻ[2].

قوله: ﴿ وَانْتَصَرُوا ﴾ أي: من المشركين ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ لأَنَّ المشركين بدؤوا بالهجاء، ثُمَّ أوعد شعراءَ المشركينَ فقال: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي:

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٧/ ٦٧٨)، وابن أبي حاتم (١٦٠٦٨) في تفسيرهما عن أبي الحسن سالم البرَّاد مولى تميم الداري من قوله.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٦٨٠).



أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ، والمؤمنين ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿أَيَّ﴾ منصوبةٌ بقولِهِ: ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ لا بقوله: «سيعلم»، لأَنَّ أيًّا وسائر أسماءِ الاستفهامِ لا يعمل فيها ما قبلها، ومعنى الكلام إِنَّهم ينقلبون إلى نارٍ يخلدون فيها[١].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، ومجاهدٌ عن ابن عبَّاسٍ، وأبو المتوكِّل، وأبو رجاء: «أيَّ مُتَقَلَّبٍ يَتَقَلَّبُون» بتاءين مفتوحتين وبقافين على كلِّ واحدةٍ منهما نقطتان وتشديد اللَّام فيهما[٢].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو العالية، وأبو مجلَزٍ، وأبو عمرانَ الجوني، وعاصمٌ الجحدري: «أيَّ مُنْفَلَتٍ يَنْفَلِتُون» بالفاءِ فيهما وبنونين ساكنين وبتاءين[٣].

وكان شريح يقول: سيعلم الظالمونُ حظَّ من نقصوا، إنَّ الظالمَ ينتظرُ العقابَ، وإنَّ المظلومَ ينتظرُ النَّصر[٤].

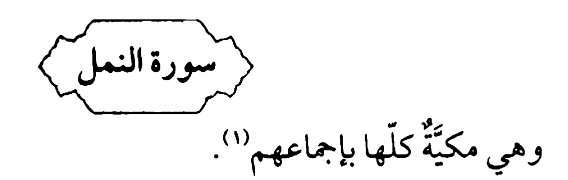
---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠٥).

(٢) بلا نسبة في إعراب شواذ القرآن (٢/ ٢٢٨).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٩) عن ابن عباس، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٢٠٢) ابن أرقم، عن الحسن.

(٤) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٨٧).



سورة النمل

وهي مكيَّةٌ كلّها بإجماعهم[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨﴾ [النمل: ١-٨].

قوله: ﴿طسٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه قسمٌ أقسم الله به، وهو من أسمائِه، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وفي روايةٍ أُخرى عنه قال: هو اسمُ الله الأعظم[٢].

والثاني: اسمٌ من أسماءِ القرآنِ، قاله قتادةُ.

والثالث: الطاءُ من اللَّطيف، والسينُ من السميعِ، حكاه الثعلبيُّ[٣].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٥)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٥)، والوسيط للواحدي (٣/ ٣٦٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٥)، وابن أبي حاتم (١٦٠٨٦) في تفسيرهما.

(٣) انظر: الكشف والبيان (٧/ ١٨٨).



قوله: ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾:

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو عمرانَ، وابنُ أبي عبلةَ: «وَكِتَابٌ مُّبِينٌ» بالرَّفعِ فيهما[١].

قوله: ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ أي: بشرى بما فيه من الثوابِ للمصدقين.

قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: حبَّبنا إليهم قبيح فعلهم، وقد بيَّنا حقيقة التزيين والعمه في سورة البقرةِ[٢]، وسوء العذابِ: شديدُهُ.

قوله: ﴿هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ لأنَّهم خسروا أنفسَهم وأهليهم وصاروا إلى النَّارِ.

قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: يُلْقَى عليك فتَلَقَّاه أنت، أي: تأخذُه[٣].

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ المعنى: اذكر إذ قال موسى.

قوله: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾:

قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ إلَّا زيدًا: ﴿بِشِهَابٍ﴾ بالتنوين.

وقرأ الباقونَ على الإضافةِ غير منوَّن[٤].

---

(١) يقرآن بالرفع، عطفًا على «آيات»، ويجوز أن يكون التقدير: وهذا كتاب، فيكون خبرَ مبتدأ محذوفٍ، في الكامل في القراءات (ص: ٦١٢)، والمحرر (٤/ ٢٤٨)، والبحر المحيط (٨/ ٨٠٧) عن ابن أبي عبلة.

(٢) انظر: سورة البقرة الآية رقم (١٥، ٢١٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٢٢).

(٤) انظر: السبعة (ص:٤٧٨)، والمبسوط (ص:٣٣١).

قال الزَّجَّاجُ: من نَوَّنَ الشَّهاب، وجعل القَبَس من صِفَةِ الشِهَاب، وكل أبْيضَ ذي نورٍ فَهُو شِهَاب[١].

فأمَّا من أضاف، فقال الفَرَّاءُ: هذا مِمَّا يُضافُ إلى نفسِهِ، إذا اختلفتِ الأسماءُ كقولِه: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩][٢].

قال ابنُ قُتيبةَ: الشِّهَابُ النَّارُ، والقَبَسُ النَّارُ تُقْبَسُ، يقال: قَبَستُ النار قبْسًا، واسم ما قَبَسْتَ: قَبَسٌ[٣]. [٦٠٥/ب]

قوله: ﴿تَصْطَلُونَ﴾ أي: تستدفئون وكان الزمان شتاء.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ أي: جاء موسى النَّار، وإنَّما كان نورًا، فاعتقده نارًا.

﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّ المعنى قدس من في النَّارِ، وهو الله ﷻ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ.

والمعنى: قدس مَن ناداه من النَّارِ، لا أَنَّ الله ﷻ يحل في شيءٍ.

والثاني: أنَّ «من» زائدةٌ، والمعنى: بوركت النَّار، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أَنَّ المعنى بورِكَ على مَن في النَّارِ، أو فيمن في النَّارِ.

قال الفَرَّاءُ: والعربُ تقول: باركه الله، وبارك عليه، وبارك فيه بمعنى واحدٍ[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٨٦).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٢٢).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٨٦).



والتقدير: بورك من في طلبِ النَّارِ، وهو موسى فحذف المضاف، وهذه تحيَّةٌ من الله تعالى لموسى بالبركةِ، كما حيَّا إبراهيم بالبركةِ على ألسنةِ الملائكةِ، حين دخلوا عليه فقالوا: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ ﴾[هود: ٧٣] فخرج في قوله: ﴿ بُورِكَ ﴾ قولان:

أحدهما: قدس.

والثاني: من البركةِ.

وفي قوله ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ **ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: الملائكةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ والحسنُ.

والثاني: موسى والملائكة، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ.

والثالث: موسى، فالمعنى: بوركَ فيمن يطلبها وهو قريبٌ منها.

قوله تعالى: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۝١٢ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤ ﴾[النمل: ٩-١٤].

قوله: ﴿ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ الهاءُ عمادٌ في قولِ أهل اللُّغة، وعلى قول السُّدِّيِّ هي كناية عن المنادي، لأنَّ موسى قال: من هذا الذي يناديني فقيل: ﴿ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾.

قولـه: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ في الآيـةِ محـذوفٌ تقديـره: فألقاهـا فصـارت حيَّـة، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾.

قال الفَرَّاءُ: الجانُّ الحيَّةُ التي ليست بالعظيمةِ ولا بالصغيرةِ[١].

قوله: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: لم يلتفت، قاله قتادةُ.

والثاني: لم يرجع، قاله ابنُ قُتيبةَ، [والزَّجَّاجُ[٢].

قال ابنُ قُتيبةَ][٣]: وأهلُ النَّظر يرون أنَّه مأخوذٌ من العَقِبْ[٤].

قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: لا يخافونَ عندي.

وقيـل: المـرادُ في الموضـع الـذي يوحـى إليهـم فيـه، فكأنَّـه نبَّهـه عـلى أنَّ مَـن آمنـه الله بالنبـوَّة مـن عذابِـه، لا ينبغـي أن يخـاف مـن حيَّـةٍ.

وفي قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ **ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدُهـا: أنَّـه اسـتثناءٌ صحيـحٌ، قالُـه الحسـنُ، وقتـادةُ، ومُقاتـلٌ[٥]، والمعنـى: إلَّا مـن ظلـم منهـم فإنَّـه يخـاف.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٨٧).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٢٢)، معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠٩).

(٣) ما بين المعكوفين سقط من الأصل، وهو مثبت من (س).

(٤) غريب القرآن (ص:٣٢٢).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٧).



قال ابنُ قُتيبةَ: علم الله تعالى أنَّ موسى مستشعرٌ خيفة من ذنبه في الرجلِ الذي وَكزَهُ، فقال: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أي: توبةً وندمًا، فإنَّه يخاف وإنِّي غفورٌ رحيمٌ[١].

والثاني: أنَّه استثناءٌ منقطعٌ، والمعنى: لكن من ظلم فإنَّه يخاف، قاله ابنُ السائبِ، والزَّجَّاجُ[٢].

وقال الفَرَّاءُ: «من» مستثناةٌ من الذين تركوا في الكلامِ، كأنَّه قال: لا يخاف لديَّ المرسلون، إنَّما الخوفُ على غيرهم، إلَّا من ظلم فتكونُ «من» مستثناةً[٣].

وقال ابنُ جريرٍ: في الآيةِ محذوفٌ تقديره: إلَّا من ظلم، فمن ظلم ثُمَّ بدَّل حسنًا[٤].

والثالث: أن «إلَّا» بمعنى الواو فهو كقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] حكاه الفَرَّاءُ عن بعضِ النَّحويين، ولم يرضه[٥].

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:١٦٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٠).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٨٧).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ١٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٢٨٧).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، والضَّحاكُ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ يعمر: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ» بفتحِ الهمزةِ وتخفيفِ اللامِ[1].

وللمفسِّرين في المراد بالظُّلم هاهنا قولان:

أحدهما: المعاصي.

والثاني: الشِّرك.

ومعنى ﴿حُسْنًا﴾: توبةً وندمًا. [٦٠٦/أ]

وقرأ ابنُ مسعودٍ، والضَّحاكُ، وأبو رجاء، والأعمشُ، وابنُ السَّمَيْفَع، وعبدُ الوارثِ عن أبي عمرٍو: «حَسَنًا» بفتحِ الحاءِ والسينِ[2].

﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي: بعد إساءةٍ، وقيل: الإشارةُ بهذا إلى أنَّ موسى، وإنْ كان قد ظلم نفسَه بقتلِ القبطي، فإنَّ الله يغفر له؛ لأنَّه ندمَ على ذلك وتاب.

قوله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ الجَيْب حيث جِيبَ من القميص، أي: قُطِع.

قال ابنُ جريرٍ: إنَّما أمر بإدخاله يده في جيبه، لأنَّه كان عليه حينئذٍ مِدْرعة من صوفٍ ليس لها كُمٌّ[3].

والسوء: البرص.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١١٠) عن زيد بن أسلم، وأبي جعفر، وفي التحصيل (٥/ ٩٥) عن زيد، وابن القعقاع.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٠) عن ابن أبي ليلى، والأعمش، وأبي عمرو في رواية عصمة، وفي التحصيل (٥/ ٩٥) الجُعفي، عن أبي عمرٍو، وغيره.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٢٠).

قوله: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: «في» من صلة قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾، ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾، فالتأويلُ: أظهر هاتين الآيتين في تِسْع آياتٍ «وفي» بمعنى «من» فتأويله من تِسع آياتٍ، تقول خذ لي عَشْرًا منَ الإِبل فيها فَحْلانِ، أي منها فَحْلانِ[1]، وقد شرحنا الآياتِ في بني إسرائيل.

قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: مرسلًا إلى فرعون ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾، فحذف ذلك لأنَّه معروفٌ، ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: بيِّنة واضحة، وهو كقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[الإسراء: ٥٩]، وقد شرحناه.

قوله: ﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ أي: هذا الذي نراه عيانًا ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ أي: أنكرها ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾، أنَّها من عند الله ﴿ظُلْمًا﴾ أي: شركاً ﴿وَعُلُوًّا﴾ أي: وتكبُّرًا.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وجحدوا بها ظُلْماً وعُلُوًّا، أي: تَرفعًا عن أنْ يؤمِنُوا بما جاءَ به مُوسَى، وهم يَعلَمُونَ أنَّها مِن عند الله[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١١).

ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[النمل: ١٥-١٩].

قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ﴾ قال المفسِّرون: علمًا بالقضاءِ وبكلام الطير والدوابِّ وتسبيح الجبالِ.

﴿وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا﴾ بالنبوَّة والكتابِ وإلانةِ الحديدِ وتسخير الشياطينِ والجنِّ والإنس ﴿عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

قال مُقاتلٌ: كان داودُ أشدَّ تعبُّدًا من سليمانَ، وكان سليمان أعظم ملكًا منه وأفطن[١].

قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ أي: ورث نبوَّته وعلمه وملكه، وكان لداودَ تسعة عشر ذكرًا، فخصَّ سليمان عليه السلام بذلك، ولو كانت وراثة مالٍ لكان جميع أولادِهِ فيها سواءٌ.

قوله: ﴿وَقَالَ﴾ يعني: سليمان لبني إسرائيل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾.

قرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ: «عَلَّمَنَا» بفتح العين واللَّام[٢].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٩).

(٢) بلا نسبة في شواذ القرآن (٢/ ٢٣١).



قال الفَرَّاءُ: منطقُ الطيرِ كلام الطير، كالمنطق إذا فهم قال الشَّاعر [من الطويل](١):

عَجِبْتُ لَهَا أَنَّى يَكُونُ غِنَاؤُهَا ... فَصِيْحاً وَلَمْ تَفْغَرْ لِمَنْطِقِهَا فَماً

معنى الآية: فهمنا ما تقولُ الطير.

قال قتادةُ: والنَّملُ من الطيرِ(٢).

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾

قال الزَّجَّاجُ: أي: من كلِّ شيءٍ يجوز أَنْ يُؤتَاه الأنبياءُ والناسُ(٣).

وقال مُقاتلٌ: أعطينا الملك، والنبوَّة، والكتاب، والرِّياح، ومنطق الطيرِ، وسخِّرت لنا الجنُّ والشَّياطين(٤).

وروى جعفرُ بنُ محمَّدٍ، عن أبيه، قال: أعطي سليمانُ مُلْك مشارق الأرضِ ومغاربها، فملك سبعمائة سنة وستَّة أشهر، وملك أهلَ الدُّنيا كلَّهم من الجنِّ والإنس والشَّياطين والدَّوابِّ والطَّير والسِّباع، وأُعطي عِلْم كلِّ شيءٍ ومنطقَ كلِّ شيءٍ، وفي زمانه صُنعت الصَّنائعُ المعجِّبة، فذلك [٦٠٦/ب] قوله: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾.(٥)

---

(١) البيت لحميد بن ثور في ديوانه (ص:٢٧)، وديوان المعاني(١/ ٣٢٩)، وشرح شواهد الإيضاح (ص:٣٣١)، وبلا نسبة في خزانة الأدب (١/ ٣٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٧٠) عن معمر، به، قال: «النَّمْلَةُ وَالطَّيْرِ».

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١١).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٩).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٤٣) بزيادة «وَسُخِّرَتْ لَهُ فَلَمْ يَزَلْ مُدَبِّرًا بِأَمْرِ اللهِ وَنُورِهِ=

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: الذي أُعطينا ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: الزيادة الظاهرة على ما أُعطي غيرنا.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ أي: جُمع له كل صِنف من جُنده على حِدَة، وهذا كان في مسيرٍ له، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

قال مجاهد: يُحبَس أوَّلُهم على آخرهم.[1]

قال ابن قتيبة: وأصل الوَزْع: الكَفُّ والمنع. يقال: وزَعْت الرَّجل، أي: كففته، ووازِعُ الجيش: الذي يكفُّهم عن التفرُّق، ويردُّ مَنْ شَذَّ منهم.[2]

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟﴾ أي: أشرفوا ﴿عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ وفي موضعه قولان:

أحدهما: أنَّه بالطَّائف، قاله كعب.

والثاني: بالشَّام، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾:

وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف: «نَمُلَةٌ» بضم الميم[3] أي: صاحت بصوت، فلما كان ذلك الصوت مفهوماً

=وَحِكْمَتِهِ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْبِضَهُ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنِ اسْتَوْدِعْ عِلْمَ اللهِ وَحِكْمَتَهُ أَخَاهُ وَوَلَدَ دَاوُدَ وَكَانُوا أَرْبَعَ مِائَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا بِلَا رِسَالَةٍ» قال الذهبي: هذا باطلٌ.

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم (١٦١٩٣)، في تفسيرهما من طريق سفيان، عن منصور، به.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٢٣).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٠) عن المفضل، وطلحة، والمعتمر بن سليمان، وفي التحصيل (٥/ ٩٦) عن سليمان التَّيمي.



عـبَّر عنـه بالقـول ولمَّـا نَطَـقَ النَّمـل كـما ينطـق بنـو آدم، أُجـري مجـرى الآدميين، فقيـل: ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ وألهـم الله تلـكَ النَّملـةِ معرفـة سـليمان مُعْجِـزاً لـه، وقـد ألهـم الله النَّمـلَ كثـيراً مـن مصالحهـا تزيـد بـه عـلى الحيوانـات، فمـن ذلـك أنَّهـا تكسر كل حبَّـة تدَّخرهـا قطعتـين لئـلا تَنْبُـت، إلا الكُزْبـرة فإنَّهـا تكسرهـا أربـع قطـعٍ، لأنَّهـا تَنْبُـت إذا كُسرت قطعتـين، فسـبحان مَـن ألهمهـا هـذا!

وفي صفة تلك النَّملة قولان:

أحدهما: أنَّها كانت كهيئة النَّعجةِ.

قـال نـوف الشَّـامي: كان النَّمـل في زمـنِ سـليمان بـن داودَ كأمثـالِ الذُّبـابِ[1].

والثاني: أنَّها كانت نملة صغيرة.

﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾: وقـرأ أُبيُّ بـن كعـبٍ، وأبـو المتـوكِّل، وعاصـمٌ الجحـدري: «مَسْـكَنكم» عـلى التوحيـد[2].

قوله تعالى: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾:

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو رجاء: «لَيَحْطِمَنَّكُمْ» بغير ألفٍ بعد اللام[3].

---

(١) رواه الثـوري في تفسـيره (ص:٢٣٢)، والبخـاري في تاريخـه (١/ ٦٠)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (١٦٢٠٢) مـن طريـق الأعمـش، عـن محمـد بـن الحكـم بـه، بلفـظ: «كَانَ النمـل فِي زمـن سُـلَيْمَان بـن دَاوُد أمثـال الذئـاب».

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٠)، والمحرر (٤/ ٢٥٤) عن شهر بن حوشب.

(٣) في مختصر الن خالويه (ص:١١٠)، والتحصيل (٥/ ٩٦)، والمحرر (٤/ ٢٥٤) عن الحسن.

وقـرأ ابـنُ مسـعودٍ: «لا يَحْطِمْكُـمْ» بفتـح اليـاءِ وسـكون الحـاءِ وتخفيـفِ الطَّـاءِ وسـكون الميـم وحـذف النـون(١).

وقـرأ عمـرو بـن العـاص، وأبـان: «يَحْطِمَنْكُـمْ» بفتـحِ اليـاءِ وسـكونِ الحـاءِ والنُّـون جميعًـا(٢).

وقـرأ أبـو المتـوكِّل، وأبـو مجلَـزٍ: «لا يَحِطِّمَنَّكُـمْ» بفتـح اليـاءِ وكـسرِ الحـاءِ وتشـديد الطَّـاء والنـون جميعـاً(٣).

وقـرأ ابـنُ السَّـمَيْفَع، وابـنُ يعمـر، وعاصـمٌ الجحـدري: «يُحْطِمَنَّكُـمْ» برفـعِ اليـاءِ وسـكون الحـاءِ وتخفيـف الطـاءِ وتشـديدِ النـون(٤).

والحَطْمُ: الكَسْر، والحُطَام: ما تحطَّم.

قال مقاتلٌ: سمع سليمان كلامها من ثلاثةِ أميالٍ(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان:

أحدهما: وأصحاب سليمان لم يشعروا بكلام النَّملةِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثـاني: وأصحـاب سـليمان لا يَشْـعُرون بمكانكـم، لأنَّهـا علمـتْ أنَّـه

---

(١) عن الأعمش، وطلحة في المحرر (٤/ ٢٥٤)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٠) عن الأعمش وحده.

(٢) لم أقف على هذه القراءة.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ١١٠)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٠) عن الحسن، وزاد في المحرر (٤/ ٢٥٤) أبا رجاء.

(٤) لم أقف على هذه القراءة.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٩).

ملك لا بغي فيه، وأنَّهم لو علموا بالنَّمل ما توطَّؤوهم، قاله مقاتلٌ[(١)].

قوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ﴾:

قال الزَّجَّاج «ضاحكاً» منصوبٌ، حالٌ مؤكَّدة، لأنَّ «تبسم» بمعنى «ضحك»[(٢)].

قال المفسِّرون: تبسَّم تعجُّباً ممَّا قالت، وقيل: من ثنائها عليه.

وقال بعضُ العلماءِ: هذه الآيةُ من عجائبِ القرآن، لأنَّها بلفظة [٦٠٧/أ] «يا» نادت، «أيها» نبَّهت، «النَّمل» عيَّنت، «ادخلوا» أمرت، «مساكنكم» نصَّت، «لا يحطمنَّكم» حذَّرت، «سليمانُ» خصَّت، «وجنوده» عمَّت، «وهم لا يشعُرون» عذرت.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: ألهِمْني، أصل الإيزاع: الإغراء بالشَّيءِ، يقال: أوزَعْتُه بكذا، أي: أغريتُه به، وهو مُوزَعٌ بكذا، ومُولَعٌ بكذا[(٣)].

وقال الزَّجَّاج. تأويله في اللُّغة: كُفَّني عن الأشياءِ إلَّا عن شُكرِ نِعمتك، والمعنى: كُفَّني عمَّا يُباعِد منك، وَأَنْ أَعْمَلَ أي: وألهِمْني أن أعمل صالحاً تَرْضاهُ[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٢٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٢_١١٣).

قال المفسِّرون: إنَّما شكر الله تعالى لأنَّ الريحَ أبلغت إليه صوتَها ففهم ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[النمل: ٢٠-٢٦].

قوله: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ التَّفقد: طلبُ ما غاب عنك، والمعنى: أنَّه طلب ما فقدَ من الطَّير، والطيرُ اسمٌ جامعٌ للجنس، وكانت الطَّير تصحب سليمان في سفره، تظلُّه بأجنحتها.

﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، والكسائيُّ: ﴿مَا لِيَ﴾ بفتح الياءِ.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر، وحمزةُ بالسكون[1].

والمعنى: ما للهدهدِ لا أراهُ، تقول العربُ: ما لي أراكَ كئيبًا، أي: مالك، فهذا من المقلوبِ، الذي معناه معلومٌ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٧٩).

قال المفسِّرون: لمَّا فصل سليمانُ عن وادي النَّملِ، وقع في قفرٍ من الأرض، فعطش الجيش، فسألوه الماء، وكان الهدهد يدلُّه على الماءِ، فإذا قال له: هاهنا الماءُ، شقَّقت الشياطين الصَّخر، وفجرت العيون قبل أَنْ يضربوا أبنيتهم، وكان الهدهدُ يرى الماءَ في الأرضِ، كما يرى الماء في الزُّجاجة، فطلبه يومئذٍ فلم يجده، وقال بعضُهم: إنَّما طلبه لِأنَّ الطيرَ كانت تظلُّهم من الشَّمس، فأخلَّ الهدهد بمكانه، فطلعت الشَّمس عليهم من الخلل.

قوله: ﴿أَمْ كَانَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: بَلْ كان[1].

قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فيه ستَّةُ أقوالٍ:

أحدها: نتف ريشِهِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والجمهور.

والثاني: نتفه وتشميسه، قاله عبدُ الله بنُ شدَّادٍ.

والثالث: شدُّ رجله وتشميسه، قاله الضَّحاكُ.

والرابع: أَنْ يطليه بالقطران ويشمِّسه، قاله مُقاتلُ بنُ حيَّانَ.

والخامس: أَنْ يودعه القفصَ.

والسادس: أَنْ يفرِّق بينه وبين إلفه، حكاهما الثعلبيُّ[2].

قوله: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٣).

(٢) الكشف والبيان (٧/ ١٩٨).

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «أو لَيَأْتِيَنَّنِي» بنونين، وكذلك هي في مصاحفهم[١].

فأمَّا السُّلطانُ، فهو الحجَّةُ، **وقيل**: العذرُ.

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّ سليمانَ لَمَّا نزل في بعضِ مسيره، قال الهدهدُ: إنَّه قد اشتغلَ بالنُّزول، فأرتفع أنا إلى السماءِ، فأنظر إلى طول الدُّنيا وعرضها، فارتفع فرأى بستانًا لبلقيس، فمال إلى الخضرة، فوقع فيه، فإذا هو بهدهد قد لقيه، فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الشَّامِ مع صاحبي سليمان، فمن أين أنت؟ قال: من هذه البلادِ، وملكها امرأة يقالُ لها: بلقيس، فهل أنت منطلقٌ معي حتَّى ترى ملكها؟ قال: أخاف أَنْ يتفقَّدني سليمان وقت الصَّلاة، إذا احتاج إلى الماءِ، قال: إنَّ صاحبك يسرُّه أَنْ تأتيه بخبرِ هذه الملكة، فانطلق معه فنظرَ إلى بلقيس وملكها.

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾:

قرأ الجمهورُ بضمِّ الكافِ، وقرأ عاصمٌ بفتحها[٢].

وقرأ ابنُ مسعودٍ: «فتَمَكَّثَ» بزيادةِ تاءٍ،[٣] والمعنى: لم يلبث إلَّا [٦٠٧/ ب] يسيرًا، حتَّى جاء فقال سليمان: ما الذي أبطأ بك؟ فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: علمت شيئًا من جميع جهاتِه، ممَّا لم تعلم به، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾.

---

(١) السبعة (ص:٤٧٩).

(٢) «فَمَكُثَ» قراءة الجمهور كما في السبعة (ص: ٤٨٠).

(٣) في المحرر (٤/ ٢٥٥) قراءة ابن مسعود «فتمكث ثم جاء فقال»، وفي قراءة أبي بن كعب «فتمكث».



قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «سَبَأَ» نصبًا غير مصروفٍ، وقرأ الباقونَ خفضًا منونًا[١].

وجاء في الحديث عن رسولِ الله ﷺ «أَنَّ سَبَأَ رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ»[٢].

وقال قتادةُ: هي أرضٌ باليمن يقال لها: مأرب[٣].

وقال أبو الحسن الأخفش: إنْ شئتَ صرفت سبأ، فجعلته اسم أبيهم، أو اسم الحيِّ، وإنْ شئتَ لم تصرف، فجعلته اسمَ القبيلة، أو اسمَ الأرضِ.

قال الزَّجَّاجُ: وقد ذكر قومٌ من النحويِّين: أنَّه اسمُ رجلٍ، وقال آخرون: الاسمُ إذا لم يدر ما هو لم يصرف، وكِلَا القولين خطأ، لأنَّ الأسماءَ حقُّها الصَّرفُ، وإذا لم يعلم هل الاسمُ للمذكَّر أم للمؤنَّث فحقُّه الصَّرفُ، حتَّى يعلم أنَّه لا ينصرفُ، لأنَّ أصلَ الأسماءِ الصَّرف، وقول الذين قالوا: هو اسمُ رجلٍ غلطٌ، لأنَّ سبأ هي مدينةٌ تعرف بمأرب من اليمن، بينها وبين صنعاءَ مسيرة ثلاثة أيامٍ، فمن لم يصرفه جعلَه اسم مدينة، ومن صرفَه فلأنَّه اسمُ البلدِ فيكون مذكَّرًا سمِّي بمذكَّرٍ[٤].

---

(١) السبعة (ص: ٤٨٠).

(٢) رواه أحمد (٣٩/ ٥٢٨)، وأبو داود (٣٩٨٨)، والترمذي (٣٢٢٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٣٧٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٤٥)، والطبراني في الكبير (٨٣٤ ـ ٨٣٦ ـ)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٠) بلفظ مطوَّل في قصة.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٧٣)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٤٧)، وابن أبي حاتم (١٦٢٥٤) في تفسيرهما من طريق معمر، به، بلفظ مطول.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٤).

قولـه: ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي: بخـبرٍ صـادقٍ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعنـي: بلقيـس ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾:

قـال الزَّجَّـاجُ: معنـاه: مـن كلِّ شيءٍ يُعْطَـاهُ المُلُـوكُ، ويؤتـاهُ النـاسُ، والعَـرشُ: سَرِيـرُ الملـكِ(١).

قـال قتـادةُ: كان عرشـها مـن ذهـبٍ، قوائمُـه مـن جوهـرٍ مكلَّـلٍ باللُّؤلـؤ، وكان أحـدُ أبويهـا مـن الجـنِّ، وكان مؤخَّـر أحـد قدميهـا مثـل حافـر الدَّابـةِ(٢).

وقال مجاهدٌ: كان قدماها كحافر الحمارِ(٣).

وقـال ابـنُ السـائبِ: لم يكـن بقدميهـا شيءٌ، إنَّـما وقـع الجـنُّ فيهـا عنـد سـليمان بهـذا القـول، فلـمَّا جعـل لهـا الـصَّرح، بـان لـه كذبهـم.

قـال مُقاتـلٌ: كان ارتفـاع عرشـها ثمانـين ذراعًـا في عـرض ثمانـين، وكانت أمُّهـا من الجـنِّ(٤).

قـال ابـنُ جريـرٍ: وإنَّـما صـار هـذا الخـبرُ عـذرًا للهدهـدِ، لأنَّ سـليمانَ كان لا يـرى لأحـدٍ في الأرض مملكـة سـواه، وكان مـع ذلـك يحـبُّ الجهـادَ، فلـمَّا دلَّـه

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٥).

(٢) رواه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٢/ ٤٧٣)، وابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٤٧)، وابـن أبي حاتـم (١٦٢٥٤) في تفسـيرهما مـن طريـق معمـر، بـه، بلفـظ مطـول.

(٣) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٨٢)، وابـن أبي حاتـم (١٦٤٣٠) في تفسـيرهما مـن طريـق ابـن أبي نجيـح، بـه.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠١).



الهدهد على مملكةٍ لغيره وعلى قوم كفرة يجاهدهم، صار ذلك عذرًا له[١].

قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ قرأ الأكثرون: ﴿أَلَّا﴾ بالتَّشديدِ[٢].

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: وزيَّن لهم الشَّيطانُ ألَّا يسجدوا، أي: فصدَّهم لئلَّا يسجدوا[٣].

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ، والحسنُ، والزُّهريُّ، وقتادةُ، وأبو العاليةِ، وحميد الأعرج، والأعمشُ، وابنُ أبي عبلةَ، والكسائيُّ: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ مخفَّفة[٤]، على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فيكون في الكلامِ إضمارُ «هَؤُلاء» ويكتفى منها بـ«يا» ويكونُ الوقفُ «أَلَا يا» والابتداء «اسجدوا».

قال الفَرَّاءُ: فعلى هذه القراءة هي سجدةٌ، وعلى قراءةِ من شدَّد لا ينبغي لها أن تكون سجدةٌ[٥].

وقال أبو عُبيدةَ: هذا أمرٌ من الله مستأنفٌ، يعني: ألا يا أيُّها النَّاس اسجدوا[٦].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيٌّ: «هلَّا يَسْجُدُواْ» بهاءٍ[٧].

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٩).

(٢) السبعة (ص:٤٨٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٥).

(٤) السبعة (ص:٤٨٠).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٢٩٠).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٩٣).

(٧) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٠).

قوله: ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: المستتر فيهما، وهو من خَبَأْتُ الشَّيءَ: إذا أخفيته، [٦٠٨/أ] ويقال: خبْءُ السَّموات: المطر، وخَبْءُ الأرضِ: النَّباتُ(١).

وقال الزَّجَّاجُ: كل ما خبَّأته فهو خبء، فالخبْءُ: كل ما غاب، فالمعنى: يعلمُ الغيبَ في السَّمواتِ والأرضِ(٢).

وقال ابنُ جريرٍ: «في» بمعنى «من» فتقديره: يخرج الخبء من السَّمواتِ(٣).

قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾:

قرأ حفصٌ عن عاصمٍ، والكسائيُّ، بالتَّاءِ فيهما، وقرأ الباقونَ بالياءِ(٤).

قال ابنُ زيدٍ: من قوله: ﴿أَحَطتُ﴾ إلى قولِه: ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ كلام الهدهد.

وقرأ الضَّحاكُ، وابنُ محيصن: «العَظِيمُ» برفع الميمِ(٥).

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٢٧-٣١].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٣٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٦).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٤٣).

(٤) السبعة (ص: ٤٨١).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص: ١١٠) عن ابن محيصن، وجماعة.

فلـمَّا فـرغ الهدهـدُ مـن كلامِـهِ ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ فيـما أخبرتنـا به ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيـما قلـت ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ وإنَّـما شـكَّ في خـبرِهِ، لأنَّـه أنكـرَ أَنْ يكـون لغـيرِهِ في الأرض سـلطانٌ، ثُـمَّ كتـب كتابًـا وختمـه بخاتمـه ودفعـه إلى الهدهـدِ وقـال: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامر، والكسائيُّ: «فَأَلْقِهِي» موصولة بياء.

وقرأ أبو عمرٍو، وعاصمٌ، وأبو جعفرَ، وحمزةُ: ﴿فَأَلْقِهْ﴾ بسكون الهاءِ.

وروى قالونُ عن نافعٍ: كسر الهاء من غير إشباعٍ، ويعني إلى أهل سبأ[1].

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ **فيه قولان:**

أحدُهما: أعرض.

والثاني: انصرف.

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ماذا يردُّون من الجوابِ.

فَإِنْ قيل: إذا تولَّى عنهم فكيف يعلم جوابَهم؟ **فعنه جوابان:**

أحدهمـا: أنَّ المعنـى: ثُـمَّ تـولَّ عنهـم مسـترًا مـن حيـث لا يرونـك، فانظـر مـاذا يـردون مـن الجـوابِ، وهـذا قـولُ وهـب بـن منبِّـه.

والثـاني: أنَّ في الـكلام تقديـمًا وتأخـيرًا، تقديـرُه: فانظـر مـاذا يرجعـون ثُـمَّ تـولَّ عنهـم، وهـذا مذهـبُ ابـنُ زيـدٍ.

---

(١) السبعة (ص:٤٨٠).

قال قتادةُ: أتاها الهدهد وهي نائمةٌ، فألقى الكتاب على نحرِها، فقرأته وأخبرت قومها[١].

وقال مُقاتلٌ: حمله في منقارِهِ حتَّى وقف على رأسِ المرأةِ، فرفرف ساعة والنَّاس ينظرون، فرفعت رأسَها فألقي الكتاب في حجرِها، فلمَّا رأت الخاتم أرعدت وخضعت وخضع مَن معها من الجنودِ[٢].

واختلفوا لأيِّ علَّةٍ سمَّته كريمًا على سبعة أقوالٍ:

أحدها: لأنَّه كان مختومًا، رواه سعيدُ بنُ جبير، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: لأنَّها ظنته من عند الله ﷻ، روي عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: أنَّ معنى قولها: ﴿كَرِيمٌ﴾ حسن ما فيه، قاله قتادةُ، والزَّجَّاجُ[٣].

والرابع: لكرم صاحبه فإنَّه كان ملِكًا، ذكره ابنُ جريرٍ[٤].

والخامس: لأنَّه كان مهيبًا، ذكرُه أبو سليمانَ الدِّمشقي.

والسادس: لتسخير الهدهد لحمله، حكاه الماورديُّ[٥].

والسابع: لأنَّها رأت في صدرِهِ بسم الله الرحمن الرحيم، حكاه الثعلبيُّ[٦].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٨٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠٢_٣٠٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٧).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٤٨).

(٥) النكت والعيون (٤/ ٢٠٦).

(٦) الكشف والبيان (٧/ ٢٠٦).

قولـه: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: إنَّ الكتـابَ مـن عنـدِهِ ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: وإنَّ المكتـوبَ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ ﴾ أي: لا تتكـبَّروا.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ: «تَغْلُوا» بغينٍ معجمةٍ[١].

﴿ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ أي: منقاديـن طائعـين، ثُـمَّ استشـارت قومَهـا فـ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ ﴾ يعنـي الأشراف، وكانـوا ثلاثمائـة وثلاثـة عـشرَ قائـدًا، كل رجـلٍ منهـم عـلى عـشرةِ آلافٍ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: كان معها مائة ألفِ قَيْلٍ، كُل قَيْلٍ مائة ألفٍ[٢].

وقيل: كانت جنودها ألف ألف ومائتي ألفٍ. [٦٠٨/ب]

قولـه تعـالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[النمـل: ٣٢-٣٥].

قوله: ﴿أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى ﴾ أي: بيِّنوا لي ما أفعل، وأشيروا عليَّ.

قال الفرَّاءُ: جعلت المشورة فُتْيا، وذلك جائزٌ لسعة اللُّغةِ[٣].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١١) عن ابن عباس، وفي التحصيل (٥/ ٩٨) عن وهب بن منبه.

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٥)، وابـن أبي حاتـم (١٦٣٥٨) في تفسـيرهما مـن طريـق عطـاء بـن السـائب، عـن مجاهـد، بـه. والقَيْـلُ: المِلِـك.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٩٢).

قوله: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ أي: فاعلته ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أي: تحضرون، والمعنى: إلَّا بحضوركم ومشورتكم.

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّهم أرادوا القوَّة في الأبدانِ.

والثاني: كثرة العدد والبأس والشجاعة في الحربِ.

وفيما أرادوا بذلك القول قولان:

أحدهما: تفويض الأمر إلى رأيها.

والثاني: تعريض منهم بالقتال إنْ أمرتهم.

ثُمَّ قالوا: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أي: في القتالِ وتركه، ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إذا دخلوها عَنْوة عن قتالٍ وغَلَبَةٍ[١].

قوله: ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ أي: خربوها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أي: أهانوا أشرافها ليستقيمَ لهم الأمرُ.

ومعنى الكلام: أنَّها حذَّرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادها.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّه من تصديق الله تعالى لقولها، قاله الزَّجَّاجُ[٢].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٩).

والثاني: من تمام كلامِها، والمعنى: وكذلك يفعلُ سليمان وأصحابه، إذا دخلوا بلادنا، حكاه الماورديُّ[١].

قوله: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: إنَّما أرسلت الهديةُ لتعلم أنَّه إنْ كان نبيًّا لم يُرِد الدُّنيا، وإنْ كان مَلِكًا فسيرضى بالحَمْل، وأنَّها بعثت ثلاث لَبِنَاتٍ من ذهبٍ في كلِّ لبنةٍ مائة رطلٍ، وياقوتة حمراء طولها شبرٌ مثقوبة، وثلاثين وصيفًا وثلاثين وصيفةً، وألْبَسَتْهُم لباسًا واحدًا حتى لا يُعرفَ الذَّكر من الأنثى، ثُمَّ كتبت إليه: إنِّي قد بعثت إليك بهديةٍ فاقبلها، وبعثت إليك بياقوتةٍ طولها شبرٌ، فأدخل فيها خيطًا واختم على طرفي الخيط بخاتمك، وقد بعثت إليك ثلاثين وصيفًا وثلاثين وصيفةً، فميِّز بين الجواري والغلمان، فجاء أمير الشياطين فأخبره بما بعثت إليه، فقال له: انطلق فافرش على طريق القومِ من باب مجلسي ثمانية أميال في ثمانيةِ أميال لبنًا من الذَّهبِ، فانطلق فبعث الشياطين فقطعوا اللَّبن من الجبال، وطلوه بالذَّهب وفرشوه، ونصبوا في الطريق أساطين الياقوتِ الأحمر، فلمَّا جاء الرُّسل قال بعضهم لبعضٍ: كيف تدخلون على هذا الرجل بثلاثِ لبنات وعنده ما رأيتم؟ فقال رئيسهم: إنَّما نحن رُسل، فدخلوا عليه، فوضعوا اللَّبن بين يديه، فقال: أتمدونني بمال؟ ثُمَّ دعا ذرة فربط فيها خيطًا وأدخلها في ثقب الياقوتة حتى خرجت من طرفها الآخر، ثُمَّ جمع بين

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٠٨).

طـرفي الخيـط فختـم عليـه ودفعهـا إليهـم، ثُـمَّ ميَّـز بـين الغلـمانِ والجـواري، هـذا كلُّـه مـرويٌّ عـن ابـن عبَّـاسٍ.

وقـال مجاهـدٌ: جعلـت لبـاس الْغِلْمَـانِ للجَـوَارِي، ولبـاس الجَـوَارِي للغِلْمَـانِ فميَّزهـم، ولم يقبـلْ هديَّتهـا[1].

وفي عدد الوصائفِ والوصفاء خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: ثلاثون وصيفًا وثلاثون وصيفةً، وقد ذكرناه عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: خمسمائة غلامٍ وخمسمائة جاريةٍ، قاله وهبٌ. [٦٠٩/أ]

والثالث: مائتا غلامٍ ومائتا جاريةٍ، قاله مجاهدٌ.

والرابع: عشرة غلمان وعشر جوارٍ، قاله ابنُ السائبِ.

والخامس: مائة وصيفٍ ومائة وصيفةٍ، قاله مُقاتلٌ[2].

وفي ما ميَّزهم به ثلاثة أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّـه أمرهـم بالوضـوءِ، فبـدأ الغـلامُ مـن مرفقـه إلى كفِّـه، وبدأت الجاريـةُ مـن كفِّهـا إلى مرفقهـا، فميَّزهـم بذلـك، قالـه سـعيدُ بـنُ جبيرٍ.

والثـاني: أنَّ الغلـمانَ بـدؤوا بغسـلِ ظهـورِ السـواعدِ قبـل بطونِهـا، والجـواري عـلى عكـس ذلـك، قالـه قتـادةُ.

---

(١) هـو في تفسـير مجاهـد (ص:٥١٨)، ورواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٨/ ٥٣) مـن طريـق ابـن أبي نجيـح، بـه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠٤).

والثالث: أنَّ الغلام اغترفَ بيده، والجارية أفرغت على يدها، قاله السُّدِّيُّ.

وجاء في التفسير: أنَّها أمرت الجواري أَنْ يكلِّمن سليمان بكلامِ الرِّجال، وأمرت الرِّجال أَنْ يكلموه كلام النِّساء، وأرسلت قدحًا تسأله أَنْ يملأها ماء ليس من ماءِ السَّماءِ ولا من ماءِ الأرضِ، فأجرى الخيل وملأه من عرقها.

قوله: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: بقبولٍ، أم بردٍّ؟

قال ابنُ جريرٍ: وأصلُ «بم»: بما، وإنَّما أسقطت الألفُ؛ لأنَّ العربَ إذا كانت «ما» بمعنى «أي» ثُمَّ وصلوها بحرفٍ خافضٍ أسقطوا ألفها تفريقًا بين الاستفهامِ والخبرِ، كقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] و﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء ٩٧]، وربما أثبتوا فيها الألفَ كما قال الشاعرُ [من الوافر][(١)]:

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيمٌ كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِ

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ

---

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه (ص: ٣٢٤)، والمحتسب (٢/ ٣٤٧)، وشرح التصريح (٢/ ٣٤٥)، ولسان العرب (١٢/ ٤٩٧)، ومغني اللبيب (١/ ٢٩٩)، وبلا نسبة في تفسير ابن جرير (١٨/ ٥٦).

مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٣٦-٤٠].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: لما جاء رسولها، ويجوز: فلما جاء بِرُّهَا [١].

قوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «أَتُمِدُّونَنِي» بنونين وياء في الوصلِ.

وروى المسيبيُّ، عن نافعٍ: ﴿أَتُمِدُّوني﴾ بنونٍ واحدةٍ خفيفةٍ وياءٍ في الوصلِ والوقفِ.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ: ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ بغيرِ ياءٍ في الوصلِ والوقفِ.

وقرأ حمزةُ: «أَتُمِدُّونِّي» بنونٍ واحدةٍ مشدَّدةٍ ووقف على الياءِ [٢].

قوله: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ﴾ بكسر النُّونِ من غير ياءٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٠).

(٢) السبعة (ص:٤٨٢).

وقرأ أبو عمرٍو، ونافعٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿ءَاتَىٰنِۦَ﴾ بفتح الياءِ[1].

وكلُّهم فتحوا التَّاء غير الكسائي، فَإِنَّه أمالها من ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾، وأمالَ حمزة: «أَنَاْ ءاتِيكَ بِهِ» أشم النُّون شيئًا من الكسرِ، والمعنى: فما آتاني الله أي: من النبوَّة والملكِ ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من المالِ ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ يعني: إذا أهدى بعضُكم إلى بعضٍ فرِحَ، فأمَّا أَنَا فلَا، ثُمَّ قال للرَّسول: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ أي: لا طاقةَ ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ يعني: بلدتهم فلمَّا رجعت رسلها إليها بالخبرِ، قالت: قد علمت أنَّه ليس بملكٍ، وما لنَا به طاقةٌ، فبعثت إليه إنِّي قادمةٌ عليك بملوكِ قومي، لأنظر ما تدعو إليه، ثُمَّ أمرت بعرشها فجعل وراء سبعة أبوابٍ، ووكَّلت به حرسًا يحفظونه، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف ملكٍ تحت يدي كلِّ ملكٍ منهم ألوف، وكان سليمانُ مهيبًا لا يبتدأ بشيءٍ حتَّى يسأل عنه، فجلس يومًا على سرير ملكِهِ، فرأى رهجًا قريبًا منه فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت بهذا المكان، وكان قدر فرسَخٍ. [٦٠٩/ب]

وقد كان بلغه أنَّها احتاطت على عرشها قبل خروجها فـ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾، وفي سبب طلبه له خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: ليعلم صدقَ الهدهدِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) السبعة (ص:٤٨٢).

والثاني: ليجعل ذلك دليلاً على صدقِ نبوَّته، لأنَّها خلفته في دارها واحتاطت عليه، فوجدته قد تقدَّمها، قاله وهبُ بن منبِّهٍ.

والثالث: ليختبر عقلها وفطنتها، أتعرفه أم تُنكره، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والرابع: لأنَّ صفته أعجبته، فخشي أَنْ تُسْلم فيحرم عليه مالُها، فأراد أخذه قبل ذلك، قاله قتادةُ.

والخامس: ليريها قدرة الله تعالى وعظم سلطانِهِ، حكاه الثعلبيُّ[1].

قوله: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾.

قال أبو عُبيدةَ: العفريتُ من كلِّ جنٍّ أو إنسٍ: الفائقُ المبالغ الرَّئيس.

وقال ابنُ قُتيبةَ: العفريتُ الشَّديدُ الوثيقُ.

وقال الزَّجَّاجُ: العفريتُ النافذُ في الأمْرِ المبالغُ فيه مع خُبثٍ ودَهَاءٍ[2].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، والضَّحاكُ، وأبو العالية، وابنُ يعمرَ، وعاصمٌ الجحدري: «قال عَفْرِيت» بفتحِ العينِ وكسرِ الرَّاءِ[3].

وروى ابنُ أبي شُريحٍ، عن الكسائيِّ: «عِفْرِيَةٌ» بفتح الياءِ وتخفيفها.

ورُوي عنه أيضًا تشديدها وتنوين الهاءِ على التأنيثِ.

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٢٠٩).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٢٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٠).

(٣) مختصر ابن خالويه (ص:١١١).



وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ السَّمَيْفَع: «عِفرَاةٌ» بكسرِ العينِ وفتحِ الرَّاءِ وبألفٍ من غيرِ ياءٍ[1].

قوله: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: من مجلسك ومثله ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان ٥١] وكان سليمانُ يجلسُ للقضاءِ بين النَّاسِ من وقتِ الفجرِ إلى طلوعِ الشَّمسِ، وقيل: إلى نصفِ النَّهارِ ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ أي: على حملِهِ ﴿لَقَوِيٌّ﴾.

وفي قوله ﴿أَمِينٌ﴾ قولان:

أحدهما: أمينٌ على ما فيه من الجوهرِ والدُّرِّ وغير ذلك، قاله ابنُ السائبِ.

والثاني: أمينٌ أَنْ لا آتيك بغيرِهِ بدلًا منه، قاله ابنُ زيدٍ.

قال سليمانُ: أريد أسرع من ذلك، ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وهل هو إنسيٌّ أم ملكٌ؟ فيه قولان:

أحدهما: إنسيٌّ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والضَّحاكُ، وأبو صالحٍ.

ثُمَّ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه رجلٌ من بني إسرائيل، واسمه آصف بن برخيا، قاله مُقاتلٌ[2].

---

(١) فيها ست لغات ذكرها ابن خالويه (ص:١١١) عفر، وعِفرِية، وعَفريت، وعِفريت، وعِفْراة، وعُفارة.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠٧).

قـال ابـنُ عبَّـاسٍ: دعـا آصـف ـ وكان آصـفُ يقـومُ عـلى رأسِ سـليمانَ بالسـيفِ ـ فبعـث الله الملائكـةَ فحملـوا السريـرَ تحـت الأرضِ يخـدُّون الأرضَ خـدًّا، حتـى انخرقـت الأرضُ بالسرير بـين يـدي سـليمان[١].

والثـاني: أنَّـه سـليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنَّـما قـال لـه رجـلٌ: أنـا آتيـك بـه قبـلَ أنْ يرتـدَّ إليـك طرْفُـك، فقـال: هـات، قـال: أنـت النَّبـيُّ ابـنُ النَّبـيِّ، فـإنْ دعـوت الله جـاءك، فدعـا الله فجـاءه، قالـه محمَّـدُ بـنُ المكنـدرِ.

والثالث: أنَّه الخضرُ، قاله ابنُ لهيعةَ.

والرابـع: أنَّـه عابـدٌ خـرج يومئـذٍ مـن جزيـرةٍ في البحـر فوجـدَ سـليمان، فدعـا فـأتي بالعـرشِ، قالـه ابـنُ زيـدٍ.

والقول الثاني: أنَّه من الملائكةِ.

ثم فيه قولان:

أحدُهما: أنَّه جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والثاني: ملكٌ من الملائكةِ أيَّد الله به سليمان، حكاهما الثَّعلبيُّ[٢].

وفي العلم الذي عنده من الكتاب ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّـه اسـمُ الله الأعظـم، قالـه ابـنُ عبَّـاسٍ، ومجاهـدٌ، وقتـادةُ، [٦١٠/أ] والجمهـورُ.

---

(١) رواه الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢١٠) من طريق الضحاك، به.

(٢) انظر: الكشف والبيان (٧/ ٢١٠).

والثاني: أنَّه عِلْم كتاب سليمان إلى بلقيسَ.

والثالث: أنَّه عِلْم ما كتب الله لبني آدمَ، وهذا على أنَّه ملكٌ، حكى القولين الماورديُّ[١].

وفي قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ **أربعةُ أقوالٍ:**

أحدها: قَبْلَ أَنْ يأتيكَ أقصى ما تنظر إليه، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: قَبْلَ أَنْ ينتهي طرْفكَ إذا مدَّدته إلى مداه، قاله وهْبٌ.

والثالث: قَبْلَ أَنْ يرتدَّ طرفك حسيرًا إذا أمدت النَّظرَ، قاله مجاهدٌ.

والرابع: بمقدارِ ما تفتح عينك ثُمَّ تطرف، قاله الزَّجَّاجُ[٢].

قال مجاهدٌ: دعا فقال: يا ذَا الجلالِ والإكرامِ[٣].

وقال ابنُ السائبِ: إنَّما قال: ياحيُّ يا قيُّومُ[٤].

قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ في الكلامِ محذوفٌ، تقديره: فدعا الله فأُتي بِهِ، ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ يعني: سليمان ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ أي: ثابتًا بين يديه ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ يعني: التمكُّنُ من حصولِ المرادِ.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢١١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢١).

(٣) هو في تفسير مجاهد (ص:٥١٩)، ورواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (١٦٣٨٤) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٨).

قوله تعالى: ﴿ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أأشكرُ على السريرِ إذ أتيت به، أم أكفرُ إذا رأيت من هو دوني في الدُّنيا أعلم مني، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أأشكر ذلك من فضل الله عليَّ، أم أكفر نعمته بتركِ الشُّكرِ له، قاله ابنُ جريرٍ(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٤٤)﴾[النمل: ٤١-٤٤].

قوله: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ قال المفسِّرون: خافتِ الشياطينُ أنْ يتزوَّج سليمان بلقيسَ، فتفشي إليه أسرار الجنِّ، لأَنَّ أمَّها كانت جنيَّة، فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريَّته بعده فأساؤوا الثناءَ عليها، وقالوا: إنَّ في عقلها شيئًا وإنَّ رجلها كحافر الحمارِ، فأراد سليمان أنْ يختبر عقلَها بتنكير عرشِها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح.

قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى ﴿نَكِّرُواْ﴾: غيِّروا يقال: نكَّرْتُ الشَّيء فتنكَّر أي: غيَّرتُه فتغيَّر(٢).

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٧٥).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٢٥).

وللمفسِّرين في كيفية تغييره ستَّةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه زيد فيه ونقص منه، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهُم جعلوا صفائحَ الذَّهبِ التي كانت عليه مكان صفائح الفضَّة، وصفائح الفضَّة مكان صفائح الذَّهب، والياقوت مكان الزَّبرجد، والدُّرّ مكان اللُّؤلؤ، وقائمتي الزبرجدِ مكان قائمتي الياقوتِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: أنَّهُم نزعوا ما عليه من فصوصِهِ وجواهرِهِ، روي عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والرابع: أنَّهُم جعلوا ما كانَ منه أحمر أخضر، وما كان أخضر أحمر، قاله مجاهدٌ.

والخامس: أنَّهُم جعلوا أسفلَه أعلاه، ومقدَّمه مؤخَّره، وزادوا فيه ونقصوا منه، قاله قتادةُ.

والسادس: أنَّهُم جعلوا فيه تماثيل السَّمكِ، قاله أبو صالحٍ.

وفي قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها لما رأته جعلت تعرف وتنكر، ثُمَّ قالت في نفسِها: من أين يخلص إلى ذلك، وهو في سبعةِ أبياتٍ والحرس حوله؟ ثُمَّ قالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ قاله أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

وقال قتادةُ: شبَّهته بعرشِها[(١)].

وقال السُّدِّيُّ: وجدت فيه ما تعرفه فلم تنكر، ووجدت فيه ما تنكره فلم تثبت، فلذلك قالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾[(٢)].

والثاني: أنَّها عرفته، ولكنَّها شبَّهت عليهم، كما شبَّهوا عليها، فلو أنَّهم قالوا: هذا عرشك، لقالت: نعم، قاله مُقاتلٌ[(٣)].

قال المفسِّرون: فقيل لها: فإنَّه عرشُك فما أغنى عنك إغلاق [٦١٠/ب] الأبوابِ.

وفي قوله: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه قول سليمان، قاله مجاهدٌ.

ثُمَّ في معناه قولان:

أحدهما: وأوتينا العلمَ بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأةِ.

والثاني: أوتينا العلمَ بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنَّا مسلمين [لله][(٤)].

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٧٩)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٧٨) من طريق معمر، وابن أبي حاتم (١٦٤٢٢) في تفسيره من طريق سعيد بن أبي عروبة، كلاهما (معمر، وسعيد) عن قتادة به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٢٣) من طريق أسباط بن نصر، بنحوه.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠٨).

(٤) زيادة من (س).



والقول الثاني: أَنَّه من قول بلقيس، فإنَّها لما رأت عرشَها قالت: قد عرفتُ هذه الآية، وأوتينا العلمَ بصحَّة نبوَّة سليمان بالآيات المتقدِّمة، تعني أمرَ الهدهدِ والرسل التي بعثت من قبل هذه الآية، وكنَّا مسلمين منقادين لأمركَ قبل أن نجيءَ.

والثالث: أنَّه من قولِ قومِ سليمان، حكاه الماورديُّ[(١)].

قوله: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

قال الفَرَّاءُ: معنى الكلام: هي عاقلةٌ، إنَّما صدَّها عن عبادةِ الله عبادتها الشَّمس والقمر، وكان عادة من دين آبائها، والمعنى: وصدَّها أن تعبد الله ما كانت تعبد. قال: وقد قيل: صدَّها سليمان، أي: منعَها ما كانت تعبد[(٢)].

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: صدَّها عن الإيمانِ العادة التي كانت عليها؛ لأنَّها نشأت ولم تعرف إلَّا قومًا يعبدونَ الشَّمس، وبيَّن عبادتها بقولِهِ: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[(٣)].

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «أَنَّهَا كَانَتْ» بفتح الهمزةِ[(٤)].

قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ﴾ قال المفسِّرون: أمر الشياطين فبنوا له صرحًا كهيئةِ السَّطحِ من زجاجٍ.

(١) النكت والعيون (٤/ ٢١٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٩٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٢).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١١١)، والتحصيل (٥/ ٩٨) عن سعيد بن جبير.

وفي سببِ أمرِهِ بذلك ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه أراد أنْ يريها مُلكًا هو أعزُّ من ملكها، قاله وهبُ بنِ منبِّهٍ.

والثاني: أنَّه أراد أنْ ينظر إلى قدمِها من غيرِ أن يسألها كشفها، لأنَّه قيل له: إنَّ رجلَها كحافرِ الحمارِ، فأمر أنْ يهيأ لها بيتٌ من قوارير فوق الماءِ، ووضع سرير سليمان في صدرِ البيتِ، هذا قولُ محمَّدِ بنِ كعبِ القرظي.

والثالث: أنَّه فعل ذلك ليختبرها كما اختبرته بالوصائفِ والوصفاءِ، ذكره ابنُ جريرٍ[1].

فأمَّا الصَّرحُ، فقال ابنُ قُتيبةَ: هو القصرُ، وجمعه صروحٌ، ومنه قول الهذلي [من المتقارب][2]:

عَلَى طُرُقٍ كَنُحُورِ الرِّكَابِ تَحْسَبُ أَعْلَامَهُنَّ الصُّرُوحَا

قال: ويقال: الصَّرحُ بلاطٌ اتُّخِذ لها من قَواريرَ، وجعل تحتها ماءٌ وسمكٌ[3].

قال مجاهدٌ: كانت بركةٌ من ماءٍ ضرب عليها سليمانُ قوارير[4].

وقال مُقاتلٌ: كان قصرًا من قواريرَ بُنِيَ على الماءِ، وتحته السَّمك[5].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٨٠).

(٢) البيت لأبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي في ديوان الهذليين (١/ ٦٩)، وغريب القرآن (ص:٣٢٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٥٦).

(٣) غريب القرآن (ص:٣٢٥).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (١٦٤٣٠) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠٨).

قولـه: ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ وهـي: معظـمُ المـاءِ ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لدخولِ الماء، فناداهـا سـليمانُ ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ أي: مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي: مـن زجـاجٍ، فعلمـت حينئـذٍ أنَّ ملـكَ سـليمان مـن الله تعـالى، فــ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بعبـادةِ غـيركَ.

وقيـل: ظنـت في سـليمانَ أنَّـه يريـد تغريقهـا في المـاءِ، فلـمَّا علمـت أنَّـه صرحٌ ممـرَّدٌ قالـت: ربِّ إنِّي ظلمـتُ نفـسي بذلـك الظَّـنِّ، وأسـلمتُ مـع سـليمان، ثُـمَّ تزوَّجهـا سـليمانُ.

وقيـل: إنَّـه ردَّهـا إلى مملكتهـا، وكان يزورهـا في كلِّ شـهرٍ مـرَّة، ويقيـم عندهـا ثلاثـة أيَّـامٍ وأنَّهـا ولـدت منـه.

ويُقال: إنَّه زوَّجها ببعضِ الملوكِ ولم يتزوَّجها هو.

قولــه تعــالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النمـل: ٤٥-٤٧].

قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ أي: مؤمن، وكافر ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ وفيه قولان:

[٦١١/أ] **أحدهمـا:** أنَّـه قولهـم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الآيـات [الأعـراف: ٧٥-٨٠].

والثاني: أنَّه قولُ كل فريقٍ منهم: الحق معي.

قولـه: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ وذلـك حـين قالـوا: إنْ كان مـا أتيتنـا بـه حقًّـا، فأتنـا بالعذابِ.

وفي السيئة والحسنةِ قولان:

أحدهما: أَنَّ السيئةَ: العذاب، والحسنة: الرَّحمة، قاله مجاهدٌ.

والثاني: أَنَّ السيئةَ: البلاء، والحسنة: العافية، قاله السُّدِّيُّ.

قولـه: ﴿لَوْلَا﴾ أي: هـلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ مـن الـشركِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فـلا تعذبـون ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾:

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: المعنـى: تَطَيَّرنـا وتشـاءَمْنا، فأدغمـت التـاءُ في الطـاءِ وأثبتـت الألـفُ ليسـلم السـكون لمـا بعدهـا[١].

وقـال الزَّجَّـاجُ: الأصـلُ: تطيَّرْنـا فأدغمـت التـاءُ في الطـاءِ، واجتلبت الألـفُ لسـكونِ الطـاءِ، فـإذا ابتـدأتَ قلـت: اطَّيَّرْنـا، وإذا وصلـتَ لم تَذْكـر الألـف، وتسـقط لأنَّهـا ألـفُ وصـلٍ[٢].

وإنَّـما تطـيَّروا بـه؛ لأنَّهـم قحطـوا وجاعـوا فــ﴿قَالَ﴾ لهـم ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ وقـد شرحنـا هـذا المعنـى في الأعـراف[٣].

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٢٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٣).

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٣١).

وفي قوله: ﴿تُفْتَنُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: تختبرون بالخيرِ والشرِّ، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: تصرفون عن دينكم، قاله الحسنُ.

والثالث: تبتلون بالطَّاعة والمعصية، قاله قتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النمل: ٤٨-٥٣].

قوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهي الحِجْر التي نزلها صالح ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يريد: في أرض الحجر، وفسادهم: كفرُهم ومعاصيهم، وكانوا يسفكون الدماءَ ويَثِبون على الأموالِ والفروجِ، وهم الذين عملوا في قتل الناقة.

وروي عن سعيدِ بن جبيرٍ[١]، وعطاءِ بن أبي رباحٍ[٢] قالا: كان فسادهم كسر الدراهم والدنانيرِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٧١) من طريق ابنِ حَرْمَلَةَ أو أَبِي حَرْمَلَةَ، عن سَعِيدِ بنِ الْمُسَيِّبِ قال: قَطْعُ الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ، يَعْنِي: الْمَثَاقِيلَ الَّتِي أَجَازَهَا الْمُسْلِمُونَ بَيْنَهُمْ وَعَرَفُوهَا مِنَ الْفَسَادِ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٦٩) بلفظ: «كَانُوا يُقْرِضُونَ الدَّرَاهِمَ».

﴿قَالُوا﴾ فيما بينهم ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي: احلفوا بالله ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ أي: لنقتلنَّ صالحًا.

﴿وَأَهْلَهُ﴾ ليلًا ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾:

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «لتُبيِّتنَّه وأهله ثُمَّ لتقولن» بالتاءِ فيهما.

وقرأ مجاهدٌ، وأبو رجاء، وحميدُ بن قيسٍ: «لَيُبَيِّتُنَّهُ» بياءٍ وتاء مرفوعتين، «ثُمَّ لَيَقُولُنَّ» بياء مفتوحةٍ وقافٍ مرفوعةٍ وواو ساكنةٍ ولام مرفوعةٍ[1].

﴿لِوَلِيِّهِ﴾ أي: لولي دمه إنْ سألنا عنه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ أي: ما حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾:

قرأ الأكثرونَ بضمِّ الميم وفتح اللامِ[2].

والمهلك: يجوز أَنْ يكون مصدرًا بمعنى الإهلاكِ، ويجوز أَنْ يكون الموضع.

وروى أبو بكرٍ وأبان عن عاصمٍ بفتح الميم وكسر اللام يريد الهلاكَ، يقال: هَلَكَ يَهلِك مَهلِكًا.

وروى عنه حفصٌ والمفضل بفتح الميم وكسر اللام، وهو اسم المكان على معنى ما شهدنا موضع هلاكِهم، فهذا كان مكرُهم فجازاهم الله عليه فأهلكهم.

---

(١) السبعة (ص:٤٨٣).

(٢) السبعة (ص:٤٨٣).

وفي صفةِ إهلاكهم أربعة أقوال:

أحدهـا: أَنَّهُم أتوا دار صالحَ شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكةُ بالحجارةِ، فقتلتهم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: رماهم الله بصخرةٍ فقتلتهم، قاله قتادةُ.

والثالث: أَنَّهُم دخلوا غارًا ينتظرون مجيء صالح، فبعث الله صخرةً فسدَّت باب الغارِ، قاله ابنُ زيدٍ.

والرابع: أَنَّهُم نزلوا في سفح جبلٍ ينتظر بعضُهم بعضًا، ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبلُ فأهلكهم، قاله مُقاتلٌ[١].

قوله: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾:

[٦١١/ب] قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ بفتح الألفِ.

وقرأ الباقون بكسرها[٢].

فمن كسر استأنفَ، ومن فتح، فقال أبو عليٍّ: **فيه وجهان:**

أحدهما: أَنْ يكون بدلًا من عاقبةِ مكرهم.

والثاني: أَنْ يكون محمولاً على مبتدأ مضمرٍ كأَنَّه قال: هو أَنَّا دمَّرْنَاهُم[٣].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٣).

(٢) السبعة (ص:٤٨٤).

(٣) الحجة (٥/ ٣٩٧).

قوله: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هي منصوبةٌ على الحالِ، المعنى: فانظر إلى بيوتهم خاويةً[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[النمل: ٥٤].

قوله : ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: وأنتم تعلمون أنَّها فاحشةٌ.

والثاني: وبعضُكم يُبصرُ بعضًا.

قوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: تجهلون القيامةَ، وعاقبة العصيانِ[٢].

قوله: ﴿قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ أي: جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها من الباقين في العذابِ.

وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: «قَدَرْنَاهَا» خفيفة، وهي في معنى المشدَّدة[٣].

وباقي القصة قد تقدَّم تفسيره[٤].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٥).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨١).

(٣) السبعة (ص: ٤٨٤).

(٤) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٨٠، ٨٣).

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)﴾ [النمل: ٥٩- ٦١].

قوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هذا خطابٌ لرسولِ الله ﷺ، أمر أَنْ يحمد الله على هلاكِ الأمم الكافرةِ، وقيل: على جميع نعمه.

﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ **فيهم أربعةُ أقوالٍ:**

أحدها: الرُّسل رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

وروى عنه عكرمةُ قال: اصطفى إبراهيم بالخُلَّة، وموسى بالكلام، ومحمَّدًا بالرؤيةِ[١].

والثاني: أنَّهم أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، رواه أبو مالكٍ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ.

والثالث: أنَّهم الذين وحَّدوه وآمنوا به، رواه عطاءٌ، عن ابن عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّه محمَّدٌ ﷺ، قاله ابنُ السائبِ.

قوله: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره(٣٦٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٤)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٨٥) وغيرهم.

قال أبو عُبيدةَ: مجازه أو ما يشركون[١].

وهذا خطابٌ للمشركين، والمعنى: الله خيرٌ لمن عبده، أم الأصنام لعابديها؟

ومعنى الكلام: أنَّه لما قصَّ عليهم قصص الأمم الخالية، أخبرهم أنَّه نجَّى عابديه، ولم تغنِ الأصنام عنهم.

قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ تقديره: أمَّا يشركون خير، أمَّن خلق السماوات والأرض؟

فأمَّا الحدائق، فقال ابنُ قُتيبةَ: هي البساتينُ، واحدها حَدِيقَةٌ، سمِّيت بذلك؛ لأنَّه يُحْدَقُ عليها، أي: يُحْظَرُ. والبهجةُ: الحسن[٢].

قوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ أي: ما ينبغي لكم ذلك لأنَّكم لا تقدرون عليه، ثُمَّ قال مستفهمًا منكرًا عليهم: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس معه إلهٌ، ﴿بَلْ هُمْ﴾، يعني كفَّار مكَّة ﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ وقد شرحناه في فاتحة الأنعام[٣].

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: مستقرًّا لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ أي: فيما بينها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبالًا ثوابت ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي: مانعًا من قدرته بين العذب والملح أَنْ يختلطا ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قدر عظمة الله.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٩٥).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٢٦).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١).

قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾[النمل: ٦٢-٧٥].

قوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ ﴾ وهو: المكروبُ المجهودُ؛ ﴿ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ يعني: الضرَّ.

﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: يهلك قرناً وينشئ آخرين، و﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ بمعنى تتَّعظون.

وقرأها أبو عمرٍو بالياءِ، والباقون بالتَّاءِ[1].

---

(١) السبعة (ص:٤٨٤).

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ أي: يرشدكم إلى مقاصدِكم إذا سافرتم ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وقد بيَّناها في الأنعامِ[١]، وشرحنا ما يليها من الكلماتِ فيما مضى إلى قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني من في السمواتِ والأرضِ ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: متى يبعثونَ بعد موتهم. [٦١٢/أ]

قوله: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «بَلْ أَدْرَكَ».

قال مجاهدٌ: «بل» بمعنى: «أم»، والمعنى: لم يدرك علمهم[٢].

وقال الفَرَّاءُ: المعنى: هل أدرك علمُهم علم الآخرةِ؟ فعلى هذا يكون المعنى: إنَّهُم لا يقفونَ في الدُّنيا على حقيقةِ العلمِ بالآخرةِ[٣].

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامر، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ على معنى: بل تدارك[٤]، أي: تتابع وتلاحق، فأُدغمتِ التَّاء في الدَّالِ.

ثُمَّ في معناها قولان:

أحدهما: بل تكامل علمهم يوم القيامةِ لأَنَّهُم مبعوثونَ، قاله الزَّجَّاجُ[٥].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٦٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٣٧) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٩٩).

(٤) السبعة (ص:٤٨٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٧).



وقال ابنُ عبَّاسٍ: ما جهلوه في الدُّنيا علموه في الآخرةِ(١).

والثاني: بل تدارك ظنُّهم وحدسهم في الحكمِ على الآخرةِ، فتارة يقولون: إنَّها كائنةٌ وتارة يقولون: لا تكون، قاله ابنُ قُتيبةَ(٢).

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: «بَلِ ادَّرَكَ» على وزنِ «افتعل» من أدركت.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ أي: بل هم اليوم في شكٍّ من القيامةِ ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: من علمِها(٣).

وما بعد هذا قد سبق بيانُه(٤) إلى قوله: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون العذاب الذي تعدنا.

﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: قرب لكم(٥).

وقال ابنُ قُتيبةَ: تبعكم، واللَّامُ زائدةٌ كأنَّه قال: رَدِفَكم(٦).

وفي ما تبعهم ممَّا استعجلوه قولان:

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٣).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٢٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (١٢٧)، وتفسير سورة المؤمنون الآية رقم (٣٥، ٨٢).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٤).

(٦) غريب القرآن (ص:٣٢٦).

أحدهما: يوم بدر.

والثاني: عذاب القبر.

قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾.

قال مُقاتلٌ: على أهل مكَّةَ حين لا يعجل عليهم بالعذابِ(١).

قولـه: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ أي: مـا تخفيـه ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ بألسـنتهم مـن عداوتـكَ وخلافـكَ، والمعنـى: أنَّـه يجازيهـم عليـه.

﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ ﴾ أي: ومـا مـن جملـةٍ غائبـةٍ ﴿ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ يعنـي: اللَّـوح المحفـوظ، والمعنـى: إنَّ علـم مـا يسـتعجلونه مـن العـذابِ بَـيِّنٌ عنـد الله، وإنْ غـابَ عـن الخلـقِ.

قولـــه تعـــالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[النمـل: ٧٦-٨٢].

قولـه: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ وذلـك أنَّ أهـلَ الكتـابِ اختلفـوا فيـما بينهـم، فصـاروا أحزابًـا يطعـن بعضهـم عـلى بعـضٍ، فنـزل القـرآنُ ببيـان مـا اختلفـوا فيـه، فلـو أخـذوا بـه لسـلموا.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٦).

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم ﴾ يعني: بين بني إسرائيل ﴿ بِحُكْمِهِۦ ﴾:

وقرأ أبو المتوكِّلِ، وأبو عمران الجوني، وعاصمٌ الجحدري: «بِحِكَمِهِ» بكسرِ الحاءِ وفتح الكافِ[1].

قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ قال المفسِّرون: هذا مَثَلٌ ضربه الله للكفَّارِ فشبَّههم بالموتى.

قوله: ﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾:

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «يَسْمَعُ الصُّمُّ» بفتح ميمِ «يسمع» وضمِّ ميم «الصم»[2].

قوله: ﴿ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾ أي: أَنَّ الصمَّ إذا أدبروا عنك، ثُمَّ ناديتهم لم يسمعوا، فكذلك الكافرُ ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ ﴾ أي: ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى، ﴿ إِن تُسْمِعُ ﴾ إسماع إفهام ﴿ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ وقع بمعنى وجبَ.

وفي المرادِ بالقولِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: العذابُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: الغضبُ، قاله قتادةُ.

والثالث: الحُجَّة، قاله ابنُ قُتيبةَ[3].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٢) عن جناح بن حبيش.

(٢) السبعة (ص:٤٨٦).

(٣) غريب القرآن (ص:٣٢٧).

ومتى ذلك؟ فيه قولان:

أحدهما: إذا لم يأمروا بمعروفٍ ولم ينهوا عن منكرٍ، قاله ابنُ عمرَ، وأبو سعيدٍ الخدري.

والثاني: إذا لم يرج صلاحهم، حكاه أبو سليمان الدِّمشقي، وهو [٦١٢/ ب] معنى قول أبي العالية، والإشارةُ بقوله: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ إلى الكفَّارِ الذين تخرج الدابَّة عليهم.

وللمفسِّرين في صفةِ الدَّابَّةِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ذاتُ وبرٍ وريشٍ، رواه حذيفةُ بنُ اليمانِ، عن رسولِ الله ﷺ[١].

وقال ابنُ عبَّاسٍ: ذاتُ زَغَبٍ وريشٍ لها أربعُ قوائم[٢].

والثاني: أنَّ رأسَها رأسُ ثورٍ، وعينها عينُ خنزيرٍ، وأذنها أذنُ فيلٍ، وقَرْنها قرنُ أيلٍ، وصدرها صدرُ أسدٍ، ولونها لونُ نَمِرٍ، وخاصرتها خاصرةُ هرٍّ، وذنبها ذنبُ كبشٍ، وقوائمها قوائمُ بعيرٍ، بين كلِّ مفصلين اثنا عشر ذراعًا، رواه ابنُ جريجٍ عن أبي الزُّبيرِ.

والثالث: أنَّ وجهها وجه رجلٍ، وسائر خلقِها كخلقِ الطَّيرِ، قاله وهبٌ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٤) من طريق رواد بن الجراح، عن الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، به، مطولًا.
ورواد بن الجراح الشامي، صدوق اختلط بأخرة فترك، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٨٢) ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره(١٦٦٠٢) من طريق معمر، عن قتادة، به، بنحوه.



والرابع: أنَّ لها أربعُ قوائم وزغبًا وريشًا وجناحين، قاله مُقاتلٌ[(١)].

وفي المكان الذي تخرج منه خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: من الصَّفا، روى حذيفةُ بنُ اليمانِ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «بَيْنَمَا عِيسَى يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَمَعَهُ الْمُسلمُونَ إِذْ تَضْطَرِبُ الأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِمْ تَحَرُّكَ الْقِنْدِيلِ وَتَنْشُقُّ الصَّفَا مِمَّا يَلِي الْمَسْعَى وَتَخْرُجُ الدَّابَّة مِنَ الصَّفَا أوّل مَا يَبْدُو رَأْسُهَا مُلَمَّعَة ذَاتَ وَبَرٍ وَرِيشٍ لَنْ يُدْرِكهَا طَالِبٌ وَلنْ يفوتها هاربٌ»[(٢)].

وفي حديثٍ آخَرَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «طُولُهَا سِتُّونَ ذِرَاعًا»[(٣)].

وكذلك قال ابنُ مسعودٍ: تخرجُ من الصَّفا.

وقال ابنُ عمرَ: تَخْرُجُ مِنْ صَدعٍ في الصَّفا كَجَرْيِ الفَرسَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ وما خرج ثُلُثُهَا[(٤)].

وقال عبدُ الله بنُ عمرٍو: تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَيَمَسُّ رَأْسهَا السَّحَابُ، وَرِجْلَاهَا فِي الأرضِ مَا خَرَجَتَا[(٥)].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٧).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) رواه الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٢٣) بإسناد فيه مجاهيل، عن حذيفة، مرفوعًا بلفظ مطول.

(٤) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (١٦٦٠١) في تفسيرهما من طريق عطية، به.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٦) منقول عبد الله بن عمرو.

والثاني: أنَّها تخرجُ من شعب أجياد، روي عن النَّبيِّ ﷺ، وعن ابنِ عمرَ مثله[1].

والثالث: تخرجُ من بعض أوديةِ تهامة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والرابع: من بحر سدوم، قاله وهبُ بن منبِّهٍ.

والخامس: أنَّها تخرج بتهامةَ بين الصَّفا والمروة، حكاه الزَّجَّاجُ[2].

وقد روى أبو هريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ وَعَصَا مُوسَى، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، وَتَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتِمِ، حَتَّى أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَجْتَمِعُونَ، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ**»[3].

وروي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**تَسِمُ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَتَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُؤْمِنٌ، وَتَسِمُ الْكَافِرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَتَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، فَتَصْرُخُ ثَلاثَ صَرَخَاتٍ يَسْمَعُهَا مَنْ بَيْنِ الْخَافِقَيْنِ**»[4].

---

(١) انظر: الأحاديث والآثار الواردة في الدر المنثور (٦/ ٣٧٧ ـ ٣٨٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٩).

(٣) رواه الطيالسي (٢٥٦٤)، وأحمد (١٣/ ٣٢١)، والترمذي (٣١٨٧)، وابن ماجه (٤٠٦٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (١٦٥٩٢) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أوس بن خالد، به، بنحوه. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٤) من طريق رواد بن الجراح، عن الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، به، مطولًا.
ورواد بن الجراح الشامي، صدوق اختلط بأخرة فترك، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد.



وقال حُذيفةُ بنُ أَسِيدٍ: إنَّ للدابَّة ثَلاث خَرجاتٍ: خرْجةٌ في بعض البوادي ثُمَّ تنكتم، وخرجةٌ في بعضِ القرى ثُمَّ تنكتم، فبينما النَّاس عند أشرف المساجدِ يعني المسجد الحرام، إذ ارتفعت الأرضُ فانطلق النَّاس هرابًا فلا يفوتونها، حتى إنَّها لتأتي الرَّجل وهو يصلِّي فتقول: أتتعوَّذ بالصلاة والله ما كنت من أهلِ الصَّلاةِ، فَتَخْطِمُهُ، وتجلو وجه المؤمنِ[1].

[٦١٣/أ] وقال عبدُ الله بنُ عمرٍو: إنَّها تنكتُ في وجه الكافر نكتة سوداء، فتفشو في وجهه، فيسوَّدُ وجهه، وتنكتُ في وجه المؤمنِ نكتة بيضاء، فتفشو في وجهه حتَّى يبيض وجههُ، فيعرف النَّاس المؤمن والكافر، ولكأنِّي بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج[2].

قوله: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾.

قرأ الأكثرونَ: بتشديدِ اللَّامِ، فهو من الكلامِ.

وفيما تكلِّمهم به ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها تقولُ لهم: إنَّ النَّاسَ كانوا بآياتنا لا يوقنون، قاله قتادةُ.

والثاني: تكلِّمهم ببطلانِ الأديانِ سوى دين الإسلامِ، قاله السُّدِّيُّ.

والثالث: تقول: هذا مؤمنٌ، وهذا كافرٌ، حكاه الماورديُّ[3].

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١١٦٥)، وابن جرير الطبري (١٨/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم (١٦٥٩٣) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٦).

(٣) النكت والعيون (٤/ ٢٢٧).

وقـرأ ابـنُ أبي عبلـةَ، والجحـدريُّ: بتسـكينِ الـكافِ وكـسرِ الـلَّامِ وفتـحِ التَّـاءِ[١]، فهـو مـن الكَلْـمِ، قـال ثعلـبُ: والمعنـى: تجرحهـم.

وسـئل ابـنُ عبَّـاسٍ عـن القراءتـين فقـال: كلُّ ذلـك والله تفعـل، تُكَلِّـمُ المؤمـنَ، وتَكْلِـمُ الفاجـرَ والكافـرَ، أي: تَجْرَحُـهُ[٢].

قوله: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾:

قـرأ عاصـمٌ[٣]، وحمـزةُ، والكسـائيُّ، بفتـحِ الهمـزةِ، وكسرَهـا الباقـون، فمـن فتـح أرادَ: تكلِّمهـم بـأنَّ النَّـاسَ.

وهكـذا قـرأ ابـنُ مسـعودٍ، وأبـو عمـران الجـوني: «تُكَلِّمُهُـمْ بِـأَنَّ النَّـاسِ» بزيـادةِ بـاءٍ مـع فتـح الهمـزةِ، ومـن كـسرَ فـلأن معنـى تكلِّمهـم: تقـولُ لهـم: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾، والـكلام قـول[٤].

قولـه تعـالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾[النمـل: ٨٣-٨٦].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٢)، والتحصيل (٥/ ١٢٠) عن ابن عباس، ومجاهد، وغيرهم.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٠٦).

(٣) وقع في الأصل: (ابن عاصم)، وما أثبتناه هو الصواب، وهو الموافق للنُّسخ الأخرى.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٢) عن ابن مسعود.



قولــه: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ الفــوج: الجماعــةُ مــن النَّــاسِ كالزمرة، والمراد بـه الرُّؤساء والمتبوعـون في الكفرِ، حشروا وأقيمت الحجَّة عليهـم، وقـد سـبق معنـى: ﴿يُوزَعُونَ ﴾[1].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو ﴾ إلى موقـفِ الحسـابِ قـال الله تعـالى لهـم: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي ﴾ هـذا اسـتفهامُ إنـكارٍ عليهـم ووعيـدٌ لهـم.

﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لم تعرفوها حقَّ معرفتها.

والثاني: لم تحيطوا علمًا ببطلانها، والمعنى: إنَّكم لم تتفكَّروا في صحَّتها.

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في الدُّنيا فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه؟

قوله: ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم ﴾ قد شرحناه آنفًا[2].

﴿بِمَا ظَلَمُواْ ﴾ أي: بـما أشركـوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ بحجَّـة عـن أنفسـهم، ثُـمَّ احتـج عليهـم بالآيـة التـي تـلي هـذه.

ومعنى قوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ أي: يبصر فيه لابتغاءِ الرِّزق.

قولــه تعــالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ (٨٧) وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن

(١) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (١٧).

(٢) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (٨٢).

فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النمل: ٨٧-٩٠].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: هذه النَّفخةُ الأولى.

قوله: ﴿ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قال المفسِّرون المعنى: فيفزع مَن في السَّماواتِ، ومَن في الأرضِ، والمرادُ أنَّهم ماتوا، بلغ بهم الفزعُ إلى الموتِ.

وفي قوله: ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّهُم الشُّهداءُ، قاله أبو هريرةَ، وابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموتِ، ثُمَّ إنَّ الله تعالى يميتهم بعد ذلك، قاله مُقاتلٌ(١).

والثالث: أنَّهُم الذين في الجنَّةِ من الحورِ وغيرهن، وكذلك مَن في النَّارِ، لأنَّهم خلقوا للبقاءِ، ذكره أبو إسحاقَ بنُ شاقلا من أصحابِنا.

قوله: ﴿ وَكُلٌّ ﴾ أي: من الأحياءِ الذين ماتوا ثُمَّ أُحيوا ﴿ أَتَوْهُ ﴾:

وقرأ حمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿ أَتَوْهُ ﴾ بفتحِ التَّاءِ مقصورة(٢)، أي: يأتون الله يومَ القيامةِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٨).

(٢) انظر: السبعة (ص:٤٨٧).

﴿دَٰخِرِينَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ[١]، ومجاهدٌ، وقتادةُ[٢]: صاغرين.

قال أبو عُبيدةَ: ﴿وَكُلٌّ﴾ لفظه لفظُ الواحدِ، ومعناه يقعُ على الجميعِ، فهذه الآية في موضعِ جمعٍ[٣].

[٦١٣/ب] قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: هذا يكونُ إذا نفخَ في الصُّور تجمع الجبال وتسيرُ، فهي لكثرتها تحسب ﴿جَامِدَةً﴾ أي: واقفةً ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ أي: تسيرُ سير السَّحابِ، وكذلك كل جيشٍ عظيمٍ يحسبه الناظرُ من بعيدٍ واقفًا، وهو يسيرُ لكثرته.

قال الجعديُّ: يصف جيشًا [من الطويل][٤]:

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ ... وُقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرِّكَابُ تُهَمْلِجُ

قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (١٦٦٣٢)، في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٣٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٩٦).

(٤) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه (ص:١٨٧)، وتأويل مشكل القرآن (ص:٤)، والمحكم والمحيط (٨/ ٢٨٥)، ولسان العرب (٣/ ٢٤٩)، وتاج العروس (٨/ ٢٧١)، وشرح القصائد السبع (١/ ٤٦١).

قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على المصدرِ، لأنَّ قولَه: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ دليلٌ على الصَّنعةِ، فكأنَّه قال: صنع الله ذلك صنعًا، ويجوزُ الرَّفعُ على معنى: ذلك صنعُ الله[1].

فأمَّا الإتقان فهو في اللُّغةِ: إحكامُ الشَّيءِ.

قوله: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «يَفْعَلُونَ» بالياءِ.

وقرأ نافعٌ وعاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ بالتَّاءِ[2].

قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قد شرحنا الحسنةَ والسيئةَ في آخرِ الأنعامِ[3].

قوله: ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ فيه قولان:

أحدُهما: فله خيرٌ منها يصل إليه وهو الثوابُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، وعكرمةُ.

والثاني: فله أفضل منها، لأنَّه يأتي بحسنةٍ فيعطى عشر أمثالها، قاله زيدُ بنُ أسلمَ.

قوله: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «وهُم من فَزَعِ يَوْمِئِذٍ» مضافًا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٠).

(٢) السبعة (ص:٤٤٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية (١٦٠).



وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ بالتَّنوينِ ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ بفتحِ الميمِ[١].

وقال الفَرَّاءُ: الإضافةُ أعجبُ إليَّ في العربيَّةِ، لأنَّه فزعٌ معلومٌ، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾[الأنبياء: ١٠٣] فصيَّره معرفةً، فإذا أضفت مكان المعرفة كان أحبّ إليَّ[٢].

واختار أبو عُبيدةَ قراءةَ التَّنوينِ، وقال: هي أعمُّ التأويلين، فيكون الأمنُ من جميع فزع ذلك اليومِ[٣].

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: إذا نوَّن جاز أن يعنى به فزعٌ واحدٌ، وجاز أن يُعنى به الكثرةُ، لأنَّه مصدرٌ، والمصادر تدلُّ على الكثرةِ، وإن كانت مفردة الألفاظ كقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] وكذلك إذا أضيف جاز أن يُعنى به فزعٌ واحدٌ، وجاز أن يُعنى به الكثرة، وعلى هذا القول القراءتان سواءٌ، فإن أريد به الكثرة، فهو شاملٌ لكلِّ فزعٍ يكون يوم القيامةِ، وإن أريد به الواحد، فهو المشارُ إليه بقوله: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾[٤] [الأنبياء: ١٠٣].

وقال ابنُ السائبِ: إذا أطبقت النَّار على أهلها، فزعوا فزعةً لم يفزعوا مثلَها، وأهل الجنَّة آمنون من ذلك الفزعِ.

---

(١) السبعة (ص:٤٧٨).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٣٠١).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٩٦).

(٤) الحجة (٥/ ٤٠٩).

قوله: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال المفسِّرون: هي الشِّركُ ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ يقال: كببت الرجلَ إذا ألقيته لوجهه، وتقول لهم خزنة جهنَّم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: إلَّا جزاء ما كنتم تعملون في الدُّنيا من الشِّركِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل: ٩١-٩٣].

قوله: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ المعنى: قل للمشركين ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عمران الجوني: «ٱلَّتِي حَرَّمَهَا»(١)، وهي مكَّةُ.

وتحريمها: تعظيمُ حرمتِها بالمنعِ من القتلِ فيها والسَّبي والكفِّ عن صيدها وشجرها، ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ﴾، لأنَّه خالقُهُ ومالكُه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من المخلصين لله بالتوحيدِ ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ﴾ عليكم [٦١٤/أ] ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: فله ثوابُ اهتدائِه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ أي: أخطأ طريقَ الهدى ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: ليس عليَّ إلَّا البلاغ.

(١) في التحصيل (٥/ ١٢٠)، والمحرر (٤/ ٢٧٢)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧٦) عن ابن مسعود، وابن عباس.

وذكر المفسِّرون: أنَّ هذا منسوخٌ بآية السَّيفِ، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ﴾ أي: قل لمن ضلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي وفقنا لقَبولِ ما امتنعتم منه ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ومتى يريهم؟

فيه قولان:

أحدهما: في الدُّنيا.

ثُمَّ فيها ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ منها الدُّخان وانشقاق القمرِ، وقد أراهم ذلك، رواه أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: سيريكم آياته فتعرفونها في السَّماءِ وفي أنفسِكم وفي الرِّزقِ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: القتلُ ببدر، قاله مُقاتلٌ[1].

والثاني: سيريكم آياته في الآخرةِ، فتعرفونها على ما قال في الدُّنيا، قاله الحسنُ.

قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامر، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتَّاءِ على معنى قل لهم.

وقرأ الباقونَ بالياءِ على أنَّه وعيدٌ لهم بالجزاءِ على أعمالهم[2].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٩).

(٢) السبعة (ص:٤٨٨).

سورة القصص

وهي مكيَّةٌ كلّها غير آيةٍ منها، وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [القصص: ٨٥] فإنَّها نزلت عليه وهو بالجحفةِ، في وقتِ خروجِهِ للهجرةِ، هذا قولُ ابنُ عبَّاسٍ.

وروي عن الحسنِ، وعطاءٍ، وعكرمةَ: أنَّها مكيَّةٌ كلّها.

وزعم مُقاتلٌ أنَّ فيها من المدنيِّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وفيها آيةٌ ليست بمكيَّة ولا مدنية، وهي قولُه ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [القصص: ٨٥] نزلت بالجحفة[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ١-٦].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٤)، وتفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ١٤٩)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٣٢).

قوله: ﴿ طسٓمٓ ﴾ قد سبق تفسيرُه.

قولـه: ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: طغـى وتجـبَّر في أرضِ مـصر ﴿ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا ﴾ أي: فرقًـا وأصنافًـا في خدمتِـهِ ﴿ يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ ﴾، وهـم بنـو إسرائيـل، واسـتضعافُه إيَّاهـم: اسـتعبادُهم ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ بالقتـلِ، والعمـل بالمعـاصي.

﴿ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾:

وقـرأ أبـو رزيـن، والزُّهـريُّ، وابـنُ محيصـن، وابـنُ أبي عبلـةَ: «يَذْبَـحُ» بفتـحِ اليـاءِ وسـكونِ الـذَّالِ خفيفـة[1].

قولـه: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ ﴾ أي: ننعـم ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ ﴾، وهـم بنـو إسرائيـل ﴿ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ ﴾ يقتـدى بهـم في الخـيرِ.

وقال قتادةُ: ولَاةً وملوكًا ﴿ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ لملكِ فرعون بعد غرقِهِ[2].

قوله: ﴿ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا ﴾:

وقـرأ حمـزةُ، والكسـائيُّ، وخلـفُ: «وَيَـرَى» بيـاءٍ مفتوحـةٍ وإمالـة الألـف التـي بعـد الـراء «فِرْعَـوْنُ وَهَـٰمَـٰنُ وَجُنُودُهُمَـا» بالرَّفعِ[3].

ومعنـى الآيـة: أنَّهُـم أخـبروا أَنَّ هلاكهـم عـلى يـدي رجـلٍ مـن بنـي

(١) في المحرر (٤/ ٢٧٦)، والبحر المحيط (٢/ ٢٨٦) عن أبي حيوة، وابن محيصن.

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ١٥٣)، وابـن أبي حاتـم (١٦٦٧٧) في تفسـيرهما مـن طريـق سـعيد بـن أبي عروبـة، بـه، بنحـوه.

(٣) السبعة (ص:٤٩٢).

إسرائيـل، فكانـوا عـلى وجـلٍ منهـم، فأراهـم الله مـا كانـوا يحـذرون.

قولـه تعـالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[القصص: ٧-٩].

قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه إلهامٌ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّ جبريلَ أتاها بذلك، قاله مُقاتلٌ(١).

والثالث: أنَّه كان رؤيا منام، حكاه الماورديُّ(٢).

قال مُقاتلٌ: واسمُ أمِّ موسى يوخابذ(٣).

قولـه: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ﴾ قـال المفسِّرون: كانت امرأة من القوابـل مصافية لأمِّ موسـى، فلـمَّا وضعتـه تولَّـت أمرهـا ثُـمَّ خرجت، فرآهـا بعـضُ العيـون فجاؤوا ليدخلـوا عـلى أمِّ موسـى، فقالـت أختـه: يـا أمَّاه هـذا الحـرسُ بالبـاب، فَلَفَّـت موسـى في خرقـةٍ ووضعتـه في التَّنـور، وهـو مسـجَّرٌ، فدخلـوا ثُـمَّ خرجـوا فقال [٦١٤/ ب]

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٦).

(٢) النكت والعيون (٤/ ٢٣٥).

(٣) تفسـير مقاتـل بـن سـليمان (٣/ ٣٣٦) وفي المطبـوع «يوكابـد»، وأشـار المحقـق أنـه وقـع في نسـخة «يوخانـد».

لأختـه: أيـن الصَّبـي؟ قالت: لا أدري فسـمعت بكاءه مـن التنُّـور، فاطَّلعت وقد جعـل الله عليـه النَّـار بـردًا وسـلامًا، فأرضعتـه بعـد ولادتِهِ ثلاثـة أشـهرٍ، وقيل: أربعـة أشـهرٍ، فلـما خافـت عليه صنعـت لـه التابوت.

وفي قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ قولان:

أحدهما: إذا خفت عليه القتل، قاله مُقاتلٌ[1].

والثاني: إذا خفت عليه أن يصيح أو يبكي، فيُسمع صوتُه، قاله ابنُ السائبِ.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ قولان:

أحدهما: أن يغرق، قاله ابنُ السائبُ.

والثاني: أن يضيع، قاله مُقاتلٌ[2].

وقـال الأصمعـيُّ: قلـتُ لأعرابيَّـة: مـا أفصحـك، فقالـت: أو بعـد هـذه الآيـة فصاحـةٌ، وهـي قولـه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ جمـع فيهـا بـين أمريـن، ونهيـين، وخبريـن، وبشـارتين.

قولــه: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقـاطُ إصابـة الـشَّيء مـن غـيرِ طلـبٍ، والمـراد بـآل فرعـون الذيـن تولُّـوا أخـذ التَّابـوت مـن البحـر.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٧).

وفي الذين التقطوه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: جواري امرأة فرعون، قاله السُّدِّيُّ.

والثاني: ابنةُ فرعون، قاله محمَّد بنُ قيسٍ.

والثالث: أعوان فرعون، قاله ابنُ إسحاقَ.

قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ أي: ليصيرَ بهم الأمرُ إلى ذلك، لا أنَّهم أخذوه لهذا، وهذه اللَّامُ تسمَّى لام العاقبة، وقد شرحناه في يونسَ[1].

وللمفسِّرين في معنى الكلامِ قولان:

أحدُهما: ليكون لهم عدوًّا في دينهم، وحزنًا لما يصنُعه بهم.

والثاني: عدوًّا لرجالهم وحزنًا على نسائهم، فقتل الرِّجال بالغرق، واستعبدَ النِّساء، وقالت امرأة فرعون، وهي آسيةُ بنتُ مزاحم، وكانت من بني إسرائيل تزوَّجها فرعون: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: رفع ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ على إضمارِ هو[2].

قال المفسِّرون: كان فرعونُ لا يولد له إلَّا البناتُ، فقالت: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فنصيب منه خيرًا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: لا يشعرون أنَّه عدوٌّ لهم، قاله مجاهدٌ.

---

(١) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٨٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٣).

والثاني: أنَّ هلاكهم على يديه، قاله قتادةُ.

والثالث: لا يشعر بنو إسرائيل أنَّا التقطناه، قاله محمَّدُ بنُ قيسٍ.

والرابع: لا يشعرون أنِّي أفعل ما أريد لا ما يريدون، قاله محمَّدُ بنُ إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)﴾[القصص: ١٠-١٣].

قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: فارغًا من كلِّ شيءٍ إلَّا من ذكر موسى، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وعكرمةُ، وقتادةُ، والضَّحاكُ.

والثاني: أصبح فؤادها فزِعًا، رواه الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ.

وهي قراءةُ أبي رزينٍ، وأبي العاليةِ، والضَّحاكُ، وقتادةُ، وعاصمٌ الجحدري فإنَّهم قرؤوا: «فَزِعًا» بزاي معجمةٍ[1].

والثالث: فارغًا من وحينا بنسيانه، قاله الحسنُ وابنُ زيدٍ.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٣) عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، وابن قطيب، وفضالة بن عبيد، وزاد في التحصيل (٥/ ١٤٤)، والبحر المحيط (٨/ ٢٨٩) الحسن.

والرابع: فارغًا من الحزن، لعلمها أنَّه لم يقتل، قاله أبو عُبيدةَ[١].

قال ابنُ قُتيبةَ: وهذا من أعجب التَّفسير، كيف يكون كذلك؟ والله يقول: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ وهل يربط إلَّا على قلبِ الجازعِ المحزون[٢].

قوله: ﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ﴾ **في هذه الهاء قولان:**

أحدهما: أنَّها ترجعُ إلى موسى.

ومتى أرادت هذا فيه **ثلاثة أقوالٍ**:

أحدها: أنَّه حين فارقته، روى سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، أنَّه [٦١٥/أ] قال: كَادَتْ تَقُولَ يَا بُنَيَّاهُ[٣].

قال قتادةُ: وذلك من شدَّة وجدها[٤].

والثاني: حين حُملت لرضاعه ثُمَّ كادت تقول: هو ابني، قاله السُّدِّيُّ.

والثالث: أنَّه لما كبر وسمعت النَّاس يقولون: موسى بن فرعون، كادت تقول: لا بل هو ابني، قاله ابنُ السائبِ.

والقول الثاني: أنَّها ترجع إلى الوحي، والمعنى: إنْ كادت لتبدي بالوحي، حكاه ابنُ جريرٍ[٥].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٩٨).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٢٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (١٦٧١٣) في تفسيرهما، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤١) من طريق حسان بن أبي الأشرس، عن سعيد بن جبير، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٧١) من طريق سعيد، به.

(٥) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ١٧١).

قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾:

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لولا ربطنا على قلبها، والربطُ إلْهَامُ الصبْرِ وتَشْدِيدُ القَلْبِ وتَقْوِيتُهُ[1].

قوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من المصدقين بوعدِ الله.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: قصِّي أثره واطلبيه، هل تسمعين له ذكرًا؟ أي: أحيٌّ هو؟ أو قد أكلته الدوابُّ، ونسيت الذي وعدها الله فيه[2].

وقال وهبٌ: إنَّما قالت لأخته: قصِّيه؛ لأنَّها سمعت أنَّ فرعون قد أصابَ صبيًّا في تابوت.

قال مُقاتلٌ: واسمُ أخته مريم[3].

قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى قصِّيه: قصِّي أثره واتَّبعيه، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: عن بعدٍ منها عنه وإعراض لئلَّا يفطنوا، والمجانبةُ من هذا[4].

وقرأ أُبي بنُ كعبٍ، وأبو مجلز: «عن جَنَابٍ» بفتحِ الجيمِ والنُّون وبألفٍ بعدهما[5].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم (١٦٧٢٢) في تفسيرهما من طريق سعيد بن جبير، به.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٨).

(٤) غريب القرآن (ص:٣٢٩).

(٥) إعراب شواذ القرآن (٢/ ٢٥٣).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عمران الجوني: «عَنْ جَانِبٍ» بفتح الجيم وكسرِ النُّونِ وبينهما ألفٌ(١).

وقرأ قتادةُ، وأبو العالية، وعاصمٌ الجحدري: «عن جَنْب» بفتح الجيمِ وإسكانِ النُّونِ من غير ألفٍ(٢).

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: وهم لا يشعرون أنَّه عدوٌّ لهم، قاله مجاهدٌ.

والثاني: لا يشعرون أنَّها أخته، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾، وهي جمعُ مُرْضِعٍ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن نردَّه على أمِّه، وهذا تحريمُ منعٍ لا تحريمُ شرعٍ.

قال المفسِّرون: بقي ثمانية أيَّام ولياليهن، كلما أُتِيَ بمرضع لم يقبل ثديها، فأهمَّهم ذلك، واشتدَّ عليهم، فقالت لهم أختُه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ فقالوا لها: نعم، من تلك؟ فقالت: أمِّي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن هارون، فلمَّا جاءت قبل ثديها.

وقيل: إنَّها لما قالت: ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ قالوا: لعلَّك تعرفين أهله، قالت: لا، ولكنِّي إنَّما قلت: وهم للملك ناصحون.

---

(١) في المحتسب (٢/ ١٤٩)، ومختصر ابن خالويه (ص:١١٣)، والتحصيل (٥/ ١٤٤)، والمحرر (٤/ ٢٧٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٩٠) عن النعمان بن سالم.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٣)، والتحصيل (٥/ ١٤٤) عن ابن عباس، وقتادة، والأعرج.

قوله: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ قد شرحناه في «طه»[1].

قوله: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بردِّ ولدها ﴿حَقٌّ﴾، وهذا علمُ عيانٍ ومشاهدة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله وعدها أنْ يردَّه إليها.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٤-١٧].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قد فسَّرنا هذه الآية في سورةِ يوسفَ[2]، وكلامِ المفسِّرين في لفظِ الآيتين متقاربٌ، إلَّا أنَّهم فرَّقوا بين بلوغ الأشدِّ وبين الاستواءِ.

فأمَّا بلوغ الأشدِّ فقد سلف بيانُه[3].

وفي مدَّةِ الاستواء لهم قولان:

أحدهما: أنَّه أربعون سنة، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ.

والثاني: ستُّون سنة، ذكره ابنُ جريرٍ[4].

---

(١) انظر: تفسير سورة طه الآية رقم (٤٠).

(٢) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٢٢).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥٢).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ١٨١) وقال: وقد اختلف في مبلغ عدد سني الاستواء، فقال بعضهم: يكون ذلك في أربعين سنة، وقال بعضهم: يكون ذلك في ثلاثين سنة.

قال المفسِّرون: مكث عند أمِّه حتى فطمته، ثُمَّ ردَّته إليهم فنشأ في حجر فرعون وامرأتِهِ واتَّخذاه ولدًا.

قوله: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ ﴾ **فيها قولان:**

أحدهما: أنَّها مصر.

والثاني: مدينةٌ بالقرب من مصرَ.

قال السُّدِّيُّ: ركب فرعون يومًا وليس عنده موسى، فلمَّا جاء موسى ركب في أثرِهِ، فأدركه المقيل في تلك المدينةِ[١]. [٦١٥/ب]

وقال غيرُه: لَّما توهم فرعون في موسى أنَّه عدوُّه، أمر بإخراجه من مدينته، فلم يدخل إلَّا بعد أنْ كبر فدخلها يومًا ﴿ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾.

وفي ذلك الوقت أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه كان يوم عيد لهم، وكانوا قد اشتغلوا فيه بلهوهم، قاله عليٌّ عليه السلام.

والثاني: أنَّه دخل نصف النَّهارِ، رواه جماعةٌ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثالث: بين المغرب والعشاءِ، قاله وهبُ بنُ منبِّهٍ.

والرابع: أنَّهم لَّما أخرجوه لم يدخل عليهم حتَّى كبر، فدخل على حين غفلة عن ذكرِهِ، لأنَّه قد نسي أمره، قاله ابنُ زيدٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٨٣) من طريق أسباط بن نصر، به، بلفظ مطول.

قوله: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: من أصحابِهِ من بني إسرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: من أعدائِهِ من القبطِ، والعدوُّ يذكر للواحدِ وللجمعِ.

قال الزَّجَّاجُ: وإنَّما قيل في الغائبِ: «هَٰذَا»، و«هَٰذَا» على جهة الحكايةِ للحضرةِ والمعنى: أنَّه إذا نظر إليهما الناظرُ قال: هذا من شيعتِهِ، وهذا من عدوِّهِ[١].

قال المفسِّرون: وإنَّ القبطي كان قد سخر الإسرائيلي أنّ يحمل حطبًا إلى مطبخِ فرعون، ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ أي: فاستنصره ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: الوكزُ: أَنْ يَضْرِبَه بجميع كفِّهِ[٢].

وقال ابنُ قُتيبةَ: فوكزه أي: لَكَزَهُ، يقال: وَكَزْتُهُ، ولَكَزْتُهُ، ولَهَزْتُهُ، إذا دَفَعْتُهُ، ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قتله، وكل شيءٍ فَرَغْتَ منه: فقد قضَيْتَه، وقضيتَ عليه[٣].

وللمفسِّرين فيما وكزَهُ به قولان:

أحدهما: كفُّه، قاله مجاهدٌ.

والثاني: عصاه، قاله قتادةُ.

فلمَّا مات القبطي ندم موسى، لأنَّه لم يرد قتلَهُ، و﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: هو الذي هيَّج غضبي، حتَّى ضربت هذا، ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٧).

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٣٠).

لابن آدم ﴿مُّضِلٌّ﴾ له ﴿مُّبِينٌ﴾ عداوته. ثُمَّ استغفر فـ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بقتلِ هذا، ولا ينبغي لنبيٍّ أَنْ يقتل حتَّى يؤمر ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بالمغفرةِ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: عونًا للكافرين(١).

وهذا يدلُّ على أَنَّ الإسرائيليَّ الذي أعانه موسى كان كافرًا.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾[القصص: ١٨-٢٠].

قوله: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهي التي قتل بها القبطي ﴿خَائِفًا﴾ على نفسِهِ ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ أي: ينتظر سُوءًا ينالُه منهم، ويخاف أَنْ يقتل به ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ﴾ وهو الإسرائيليُّ ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أي: يستغيث بِهِ على قبطي آخَرَ، أراد أَنْ يسخره أيضًا.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ﴾ في «هاء» الكنايةِ قولان:

أحدهما: أنَّها ترجعُ إلى القبطي.

والثاني: إلى الإسرائيليِّ وهو أصحُّ، فعلى الأوَّلِ يكون المعنى: إنَّك لغوي بتسخيرك وظلمك، وعلى الثاني فيه قولان:

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٣).

أحدهما: أَنْ يكون الغوي بمعنى المغوي، كالأليم والوجيع، بمعنى: المؤلم والموجع، والمعنى: إنَّك لمضل حين قتلتُ بالأمس رجلًا بسببك، وتدعوني اليوم إلى آخَرَ.

والثاني: أَنْ يكون الغوي بمعنى الغاوي، والمعنى: إنَّك غاوٍ في قتالك مَن لا تطيق دفع شرِّه عنك.

قوله: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ أي: بالقبطيِّ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ هذا قولُ الإسرائيليِّ من غير خلافٍ علمناه بين المفسِّرين قالوا: لمَّا رأى الإسرائيليُّ غضب موسى عليه، حين قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ ورآه قد همَّ أَنْ يبطش بالفرعوني، ظنَّ أنَّه يريده فخاف على نفسه، فـ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى﴾ وكان قوم فرعون لم يعلموا من قاتل القبطي، [٦١٦/أ] إلَّا أنَّهم أتوا إلى فرعون فقالوا: إنَّ بني إسرائيل قتلوا رجلًا منَّا، فخذ لنا بحقِّنا، فقال: ابغوني قاتله، ومن يشهد عليه لآخذ لكم حقَّكم، فبينا هم يطوفون ولا يدرون من القاتل، وقعت هذه الخصومة بين الإسرائيلي والقبطي في اليوم الثاني، فلما قال الإسرائيليُّ لموسى: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ انطلق القبطي إلى فرعون فأخبره: أَنَّ موسى هو الذي قتل الرَّجل، فأمر بقتل موسى، فعلم بذلك رجلٌ من شيعة موسى، فأتاه فأخبره فذلك قوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾.

فأمَّا الجبَّارُ، فقال السُّدِّيُّ: هو القتَّال، وقد شرحناه في هود[1]، و﴿أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ آخرها وأبعدها، ويسعى: بمعنى يسرعُ.

---

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٥٩).

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: وهذا الرَّجلُ هو مؤمن آل فرعون، وسيأتي الخلافُ في اسمِهِ في سورة المؤمنِ، فأمَّا الملأ فهم الوجوه من النَّاس والأشراف.

وفي قوله: ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: يتشاورون فيك ليقتلوك، قاله أبو عُبيدةَ[1].

والثاني: يهمُّون بك، قاله ابنُ قُتيبةَ[2].

والثالث: يأمر بعضُهُم بعضًا بقتلك، قاله الزَّجَّاجُ[3].

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٠٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٣٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٨).

وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: ٢١- ٢٨].

قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ أي: من مصرَ خائفًا وقد مضى تفسيرُه.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: المشركين أهل مصر.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: تجاه مدين ونحوها، وأصلُه: اللِّقاء، وزيدت فيه التَّاءُ.

قال الشاعر [من البسيط][1]:

.... فالْيَـوْمَ قَـصَّرَ عَـنْ تِلْقائِـه الأَمَـلُ

أي: عن لقائك.

قال المفسِّرون: خرج خائفًا بغيرِ زادٍ ولا ظهرٍ، وكان بين مصرَ ومدينَ مسيرةَ ثمانيةِ أيَّامٍ، ولم يكن له بالطريق علمٌ، فـ ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: قصده.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لم يكن له علمٌ بالطَّريقِ إلَّا حسنَ ظنِّه بربِّه[2].

---

(١) البيت للراعي النميري في ديوانه (ص:١٩٨)، والكتاب (١/ ٤٤١)، وشرح الكتاب (٤/ ٨٤)، والمقاصد النحوية (٢/ ٣٣٧)، ولسان العرب (١٥/ ٢٥٤)، وبلا نسبة في أدب الكاتب (ص:٦٠٤)، وغريب القرآن (ص:٣٣١)، وصدره: «أَمَّلْتُ خَيْرَكَ هَلْ تَأْتِي مَوَاعِدُهُ».

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم (١٦٧٩٩) في تفسيرهما من طريق سعيد بن جبير، به.

وقال السُّدِّيُّ: بعث الله له مَلَكًا فدلَّه، قالوا: ولم يكن له في طريقِهِ طعامٌ إلَّا ورق الشَّجرِ، فوردَ ماء مدين، وخضرة البقلِ تتراءى في بطنِهِ من الهزالِ[1].

والأمةُ: الجماعةُ، وهم الرُّعاةُ ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: من سوى الأمة ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ﴾ وهما ابنتا شعيبٍ.

قال مُقاتلٌ: واسمُ الكبرى: صَبُورا، والصُّغرى: عَبْرا[2].

﴿تَذُودَانِ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: تكُفَّان غَنَمهما، فحذفَ الغنمَ اختصارًا[3].

قال المفسِّرون: وإنَّما فعلتا ذلك ليفْرُغ النَّاس، وتخلو لهما البئرُ.

قال موسى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو الجوزاءِ، وابنُ يعمرَ، وابنُ السَّمَيْفَعِ: «لا نُسْقِي» برفعِ النُّونِ ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾[4].

وقرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامر، وأبو جعفر: «يَصْدُر» بفتح الياءِ وضمِّ الدَّالِ، أي: حتَّى يرجعَ الرِّعاءُ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٠٣) بنحوه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤١).

(٣) غريب القرآن (ص:٣٣٢).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٤)، والمحرر (٤/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٨/ ٢٩٧) عن ابن مصرف، وزاد في التحصيل (٥/ ١٤٤) طلحة بن سليمان

وقرأ الباقون: ﴿يُصْدِرَ﴾ بضمِّ الياءِ وكسرِ الدَّالِ[١].

أرادوا: حتَّى يرِد الرِّعاءُ غنمهم عن الماءِ، والرِّعاءُ: جمع راعٍ كما يقال: صَاحِبٍ وَصِحَابٍ.

وقرأ عكرمةُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وابنُ يعمرَ، وعاصمٌ الجحدري: «الرُّعَاء» بضمِّ الرَّاءِ[٢].

والمعنى: نحن امرأتان لا نستطيعُ أَنْ نزاحمَ الرِّجالَ، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أَنْ يسقي ماشيته من الكبر، فلذلك احتجنا نحنُ إلى أَنْ [٦١٦/ب] نَسْقِي، وكان على تلك البئرِ صخرةٌ عظيمةٌ، فإذا فرغَ الرِّعاءُ من سقيهم أعادوا الصَّخرة، فتأتي المرأتان إلى فضولِ حياض الرِّعاء، فتسقيان غنمهما ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ موسى.

وفي صفةِ ما صنع قولان:

أحدهما: أنَّه ذهب إلى بئرٍ أُخرى، عليها صخرةٌ لا يقتلعها إلَّا جماعة من النَّاسِ، فاقتلعها وسقى لهما، قاله عمرُ بنُ الخطَّابِ، وشُريحٌ.

والثاني: أنَّه زاحمَ القومَ على الماءِ وسقى لهما، قاله ابنُ إسحاقَ.

والمعنى: سقى غنمهما لأجلهما.

---

(١) السبعة (ص:٤٩٢).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٤) عن بعضهم.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ أي: انصرفَ ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾، وهو ظلُّ شجرةٍ ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾ اللَّام بمعنى إلى، فتقديرُه: إنِّي إلى ما ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وأرادَ بالخيرِ: الطَّعام.

وحكى ابنُ جريرٍ: أنَّه أسمعَ المرأتينِ هذا الكلامَ تعريضًا أَنْ تطعماهُ.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ المعنى: فلمَّا شرِبت غنمهما، رجعتا إلى أبيهما، فأخبرتاه خبر موسى، فبعث إحداهما تدعو موسى[1].

وفيها قولان:

أحدُهما: الصُّغرى.

والثاني: الكُبرى.

فجاءته ﴿تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ قد سترت وجهها بكُمِّ دِرْعها.

وفي سبب استحيائها ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه كان من صفتها الحياء، فهي تمشي مشي مَن لم يعتد الخروجَ والدُّخولَ.

والثاني: لأنَّها دعته لتكافئه، وكان الأجمل عندها أَنْ تدعوه من غيرِ مكافأةٍ.

والثالث: لأنَّها رسولُ أبيها.

قوله: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ قال المفسِّرون: لما سمِعَ موسى هذا القول، كرهه وأراد أَنْ لا يتبعها، فلم يجد بُدًّا للجهد الذي به من

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٢١٥).

اتباعهـا، فتبعهـا فكانـت الرِّيـحُ تـضرب ثوبَهـا فيصـف بعـض جسـدِها، فناداها يـا أمـةَ الله كـوني خلفـي، ودلِّيـني الطَّريـقَ، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾ أي: جـاء موسـى شـعيبًا، ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ أي: أخـبره بأمـرِهِ مـن حـين ولـد، والسـبب الـذي أخرجَـهُ مـن أرضِـهِ، قـال: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا سـلطانَ لفرعـونَ بأرضنـا، ولسـنا في مملكتِـهِ.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهـي الكُـبرى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ أي: اتَّخـذه أجـيرًا، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ أي: خـير مَـن اسـتعملت عـلى عملك، مَـنْ قَـوِيَ عـلى عملـك وأدَّى الأمانـةَ، وإنَّـما سـمَّته قويًّـا لرفعِـهِ الحجـرَ عـن رأسِ البئـرِ، وقيـل: لأنَّـه اسـتقى بدلـوٍ لا يُقِلُّهـا إلَّا العـدد الكثـير مـن الرِّجـالِ، وسـمَّته أمينًـا، لأنَّـه أمرهـا أنْ تمـشي خلفَـهُ.

وقال السُّدِّيُّ: قال لها شعيبٌ: قد رأيت قوَّته، فما يدريك بأمانته؟ فحدَّثته.

قـال المفسِّرون: فرغـب فيـه شـعيب، فقـال لـه: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾ أي: أزوِّجـك ﴿إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾.

قال الفرَّاءُ: تَأْجُرَني وتَأْجِرَني بضمِّ الجيمِ وكسرِها لغتانِ[1].

قـال الزَّجَّـاجُ: والمعنـى: تكـون أجـيرًا لي ثـماني سـنين ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ أي: فذلـك تَفَضُّـلٌ منـك، وليـس بِوَاجِـبٍ عَلَيْـكَ[2].

---

(١) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ١١٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤١).

قولـه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ أي: في العشر ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في حسنِ الصُّحبةِ والوفاءِ بما قلت.

﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ﴾ أي: ذلك الذي وصفت وشرطت عليَّ فلكَ، وما شرطت لي من تزويج إحداهما فلي، فالأمرُ كذلك بيننا، وتمَّ الكلامُ هاهنا. [٦١٧/أ]

ثُمَّ قال: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ يعني: الثماني، والعشر.

قال أبو عُبيدةَ: ما زائدةٌ(١).

قوله: ﴿قَضَيْتُ﴾ أي: أتممت ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ﴾ أي: لا سبيلَ عليَّ، والمعنى: لا تعتد علي بأنْ تلزمني أكثر منه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: والله شَاهِدُنا ما عَقَدَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ(٢).

واختلف العلماءُ في هذا الرَّجل الذي استأجر موسى على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه شعيبٌ نبيُّ الله ﷺ، وعلى هذا أكثر أهل التَّفسير، وفيه أثرٌ عن النَّبيِّ ﷺ يدلُّ عليه، وبه قال وهبٌ، ومُقاتلٌ(٣).

والثاني: أنَّه صاحبُ مدين، واسمُه يثرى، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثالث: رجلٌ من قومِ شعيبٍ، قالُه الحسنُ.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٠٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤٢)، والدر المنثور (٦/ ٤٠٧).

والرابع: أنَّه يثرون ابن أخي شعيب، رواه عمرو بن مرَّة، عن أبي عبيدةَ بن عبدِ الله بن مسعودٍ، وبه قال ابنُ السائبِ.

واختلفوا في التي تزوَّجها موسى من الابنتين على قولين:

أحدُهما: الصُّغرى، روي عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: الكبرى، قاله مُقاتلٌ[1].

وفي اسمِ التي تزوَّجها ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: صَفْوريا، حكاه أبو عمرانَ الجوني.

والثاني: صفورة، قاله شعيبٌ الجبائي.

والثالث: صُبُورا، قاله مُقاتلٌ[2].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤٢).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤٢).

لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[القصص: ٢٩-٣٥].

قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾.

روى ابنُ عبَّاسٍ، عن رسولِ الله ﷺ، أَنَّه سئل: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: «أَوْفَاهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا»[١].

قال مجاهدٌ: مكث بعد قضاءِ الأجلِ عندهم عشرًا أُخَرَ[٢].

وقال وهبُ بنُ منبِّهٍ: أقام عندهم بعد أَنْ أدخلَ عليه امرأته سنين، وقد سبق تفسيرُ هذِهِ الآيةِ[٣] إلى قولِهِ: ﴿أَوْ﴾.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ: «أو جِذوة» بكسرِ الجيمِ.

وقرأ عاصمٌ بفتحها، وقرأ حمزةُ، وخلفٌ، والوليدُ عن ابنِ عامرٍ بضمِّها، وكلها لغاتٌ[٤].

---

(١) رواه الحميدي في مسنده (٥٤٥)، والبزار في مسنده (٢٢٤٥) كما في كشف الأستار، وأبو يعلى في مسنده (٢٤٠٨)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٩٤) وغيرهم، والروايات مطولة ومختصرة، وقد روي موقوفًا على ابن عباس، وهو الصواب.

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم (١٦٨٦٩) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) انظر: تفسير سورة «طه» الآية رقم (١٠).

(٤) السبعة (ص:٤٩٣).



قال ابنُ عبَّاسٍ: الجذوةُ: قطعةُ حطبٍ فيها نارٌ[١].

وقال أبو عُبيدةَ: قطعةٌ غليظةٌ من الحطبِ، ليس فيها لهبٌ، وهي مثل الجِذْمة من أصلِ الشَّجرةِ، قال ابنُ مقبل [من البسيط][٢]:

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزْلَ الْجُذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرِ

والدَّعِر: الذي قد نخرَ، ومنه رجلٌ دَاعِر أي: فاسدٌ.

قوله: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ﴾، وهو جانبه ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾، وهو الذي عن يمين موسى ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ﴾، وهي القطعةُ من الأرض ﴿ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ بتكليم الله موسى فيها من الشجرةِ أي: من ناحيتها.

وفي تلك الشجرة قولان:

أحدهما: أنَّها شجرةُ العُنَّاب، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: عوسجة، قاله قتادةُ، وابنُ السائب، ومُقاتلٌ[٣].

وما بعد هذا قد سبق بيانُه[٤] إلى قوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ أي: من أَنْ ينالك مكروهٌ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٨).

(٢) البيت في ديوانه (ص:٩١)، ومجاز القرآن (٢/ ١٠٣)، ولسان العرب (٤/ ٢٨٦) (دعر)، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٠٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٨٣)، والمخصص (١١/ ٢٣)، والكامل (ص: ٦٨٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤٤).

(٤) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (١٠).

قوله: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ ﴾ أي: أدخلها ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ قد فسَّرنا الجناح في طه[١] إلَّا أنَّ بعضَ المفسِّرين خالف بين تفسير اللَّفظين، فشرحناه.

وقال ابنُ زيدٍ: جناحه الذِّراعُ والعضدُ والكفُّ[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: الجناحُ هاهنا العضدُ، ويقال لليدِ كلها: جناحٌ[٣].

وحكى ابنُ الأنباريِّ، عن الفرَّاء أنَّه قال: الجناح هاهنا العصا. [٦١٧/ ب]

قال ابنُ الأنباري: الجناحُ للإنسان مشبه بالجناح للطائرِ، ففي حال تشبه العرب رجلي الإنسان بجناحي الطائر، فيقولون: قد مضى فلانٌ طائرًا في جناحيه، يعنون ساعيًا على قدميه، وفي حال يجعلون العضد منه بمنزلة جناحي الطائرِ كقوله: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ وفي حال يجعلون العصا بمنزلة الجناحِ، لأنَّ الإنسانَ يدفع بها عن نفسِهِ كدفعِ الطَّائرِ عن نفسِهِ بجناحِهِ، كقوله: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾، وإنَّما يوقع الجناح على هذه الأشياءِ تشبيهًا واستعارةً، كما يقال: قد قُصَّ جناح الإنسان، وقد قطعت يده ورجله: إذا وقعت به جائحةٌ أبطلت تصرُّفه، ويقول الرَّجل للرَّجلِ: أنت يدي ورجلي، أي: أنت من به أصل إلى محابِّي، قال جرير [من الوافر][٤]:

---

(١) انظر: تفسير سورة «طه» الآية رقم (٢٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٩٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٣).

(٤) في ديوانه (١/ ٨٩)، والعقد الفريد (١/ ٣٣١)، وشرح شواهد المغني (١/ ٤٣).

سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ إِلَيَّ رِيشِي وَأَنْبَتَّ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي

وقالت امرأةٌ من العربِ ترثي زوجها الأغر[١]:

يَا عِصْمَتِي فِي النَّائِبَاتِ وَيَا رُكْنِي الْأَغَرُّ وَيَا يَدِيَ الْيُمْنَى
لَا صُنْتُ وَجْهاً كُنْت صَائِنَهُ أَبَدًا وَوَجْهُكَ فِي الثَّرَى يَبْلَى

فأمَّا ﴿ٱلرَّهۡبِ﴾، فقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «مِنَ الرَّهَب» بفتحِ الرَّاءِ والهاءِ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «مِنَ ٱلرُّهْبِ» بضمِّ الرَّاءِ وسكونِ الهاءِ.

وقرأ حفصٌ، وأبان عن عاصمٍ: ﴿مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾ بفتحِ الرَّاءِ وسكونِ الهاءِ[٢].

وهي قراءةُ ابنُ مسعودٍ، وابنُ السَّمَيْفَع.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، والحسنُ، وقتادةُ، بضمِّ الرَّاءِ والهاءِ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: الرُّهْب، والرَّهَب بمعنى واحدٍ، مثل الرُّشْد، والرَّشَدُ[٤].

وقال أبو عُبيدةَ: الرَّهَبُ، والرَّهْبةُ بمعنى: الخوفِ والفرقِ[٥].

---

(١) البيتان في بلاغات النساء لأحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ص:١٨٩)

(٢) السبعة (ص:٤٩٣).

(٣) «الرُّهُبِ» عن عيسى بن عمر، والجحدري في مختصر ابن خالويه (ص:١١٤)، والتحصيل (٥/ ١٤٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٣).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ١٠٤).

وقال ابنُ الأنباريِّ: الرَّهْب، والرُّهُب، والرَّهَب مثل الشَّغْل، والشُّغُل، والشَّغَل، والبَخْل، والبُخُل، والبَخَل، وتلك لغات ترجعُ إلى معنى الخوفِ والفرقِ.

وللمفسِّرين في معنى هذه الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه لما هرب من الحيَّةِ، أمرهُ الله أَنْ يضمَّ إليه جناحه، ليذهب عنه الفزعُ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: المعنى: اضمم يدكَ إلى صدركَ من الخوفِ، ولا خوفَ عليك(١).

وقال مجاهدٌ: كل من فزعَ فضمَّ جناحه إليه، ذهبَ عنه الفَزَعُ(٢).

والثاني: أنَّه لَّما هالَهُ بياضُ يدِهِ وشعاعها، أمر أَنْ يدخلَها في جيبه، فعادت إلى حالتها الأُولى.

والثالث: أنَّ معنى الكلام سكِّن روعكَ وثبِّت جأشكَ.

قال أبو عليٍّ: ليس يرادُ به الضم بين الشيئين، إنَّما أمر بالعزمِ على ما أمر به والجد فيه، ومثله اشدد حيازيمك للموتِ(٣).

قوله: ﴿فَذَٰنِكَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «فَذَانِّكَ» بالتَّشديدِ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحجة (٥/ ٤١٦).

وقرأ الباقونَ: ﴿فَذَانِكَ﴾ بالتَّخفيفِ[١].

قال الزَّجَّاجُ: التشديدُ تثنيةُ «ذلِكَ»، والتَّخفيفُ تثنيةُ «ذاك» فجعلَ اللَّام في «ذلك» بدلًا من تشديدِ النُّونِ في ذانك، ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾ أي: بيانان اثنانِ[٢].

[٦١٨/أ] قال المفسِّرون: فذانك يعني: العصا، واليد حجَّتان من الله لموسى على صدقِهِ.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: أرسلنا بهاتين الآيتين إلى فرعونَ، وقد سبق تفسيرُ ما بعد هذا[٣] إلى قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ أي: أحسنُ بيانًا، لأنَّ موسى كان في لسانِه أثر الجمرة التي تناولها، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾.

قرأ الأكثرونَ: ﴿رِدْءًا﴾ بسكونِ الدَّالِ وبعدها همزة.

وقرأ أبو جعفر: «رِدَا» بفتح الدَّالِ وألف بعدها من غير تنوينٍ ولا همزٍ.

وقرأ نافعٌ كذلك، إلَّا أنَّه نوَّن[٤].

وقال الزَّجَّاجُ: الرِّدء: العَوْنُ، يقال: رَدَأْتُهُ أَردؤُه رَدْءًا: إذا أعنتَه[٥].

قوله: ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾.

قرأ عاصمٌ، وحمزةُ: ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ بضمِّ القافِ.

---

(١) السبعة (ص:٤٩٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٣).

(٣) انظر: تفسير سورة الشعراء الآية رقم (١٤).

(٤) السبعة (ص:٤٩٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٤).

وقرأ الباقونَ بسكونِ القافِ[١].

قال الزَّجَّاجُ: من جزم «يُصَدِّقْنِي» فعلى جوابِ المسألةِ: أرسله «يُصَدِّقْنِي»، ومَن رفعَ فالمعنى: رِدْءاً مصدِّقاً لِيَ[٢].

وأكثر المفسِّرين على أنَّه أشار بقولِهِ تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ إلى هارونَ.

وقال مُقاتلُ بنُ سليمانَ: لكي يصدِّقني فرعون[٣].

قوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: سنعينك بأخيك، ولفظ العضد على جهة المثلِ، لأنَّ اليدَ قوامُها عضدُها، وكلُّ معينٍ فهو عضدٌ، ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ أي: حجَّةً بيِّنةً.

وقيل للزيت: السليط؛ لأنَّه يستضاءُ به، والسلطانُ: أبين الحجج[٤].

قوله: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أي: بقتلٍ ولا أذًى.

وفي قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ **ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّ المعنى: تمتنعان منهم بآياتنا وحججنا، فلا يصلونَ إليكما.

والثاني: أنَّه متعلِّق بما بعده، فالمعنى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، أي: تغلبون بآياتنا.

---

(١) السبعة (ص: ٤٩٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٤).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٤).

والثالث: أنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا تقديرُه: ونجعل لكما سلطانًا بآياتنا، فلا يصلون إليكما.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [القصص: ٣٦- ٣٧].

قوله: ﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ أي: ما هذا الذي جئتنا به إلَّا سحرٌ افتريته من قبل نفسِكَ ولم تبعث به، ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا﴾ الذي تدعونا إليه ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ﴾:

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «قال موسى» بلا واو، وكذلك هي في مصاحفهم[1].

﴿بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي: هو أعلمُ بالمحقِّ منَّا ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، والمفضل: «يَكُونُ» بالياءِ، والباقونَ بالتَّاء[2].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟

(١) السبعة (ص: ٤٩٤).

(٢) السبعة (ص: ٤٩٤).

﴿أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝٤١ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ۝٤٢﴾[القصص: ٣٨-٤٢].

قوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: اصنع لي الآجُرَّ، ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ أي: قصرًا عاليًا[1].

وقال الزَّجَّاجُ: الصَّرح كل بناءٍ متَّسع مرتفع[2].

وجاء في التَّفسير: أنَّه لَّما أمر هامان -وهو وزيرُه- ببناءِ الصَّرحِ، جمع العمَّال والفعلة حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع، فرفعوه وشيَّدوه حتَّى ارتفع ارتفاعًا لم يبلغه بنيان أحدٍ قطُّ، فلمَّا تمَّ ارتقى فرعونُ فوقه، وأمر بنشابة فرمى بها نحو السَّماءِ، فرُدَّت وهي متلطِّخةٌ بالدَّمِ، فقال: قد قتلتُ إله موسى، فبعثَ الله تعالى جبريل فضربَهُ بجناحه فقطَعَهُ ثلاث قطعٍ، فوقعت قطعةٌ على عسكرِ فرعون، فقتلت ألف ألف رجلٍ، ووقعت أُخرى في البحرِ، وأخرى في المغربِ.

قوله: ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أي: أصعدُ إليه وأُشرفُ عليه.

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٣٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٥).

[٦١٨/ب] ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ يعني: موسى ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ادِّعائِهِ إلهًا غيري.

وقال ابنُ جريرٍ: المعنى: أظنُّ موسى كاذبًا في ادِّعائِهِ، أنَّ في السَّماءِ ربًّا أرسله[1].

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني أرض مِصرَ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: بالباطلِ والظُّلمِ ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالبعثِ للجزاءِ.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامر: ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾ برفعِ الياءِ.

وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: بفتحها[2].

قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي: في الدُّنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ أي: قادةً في الكفرِ يأتم بهم العتاة، ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ لأنَّ مَن أطاعهم دخلَها ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ بمعنى: يمنعون من العذابِ، وما بعد هذا مفسرٌ في هودَ[3].

قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المبعدين الملعونينَ.

قال أبو زيدٍ: يقال: قبَّح الله فلانًا، أي: أبعدَه من كلِّ خيرٍ[4].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٢٥٤).

(٢) السبعة (ص:٤٩٤).

(٣) انظر: تفسير سورة هود الآيات رقم (٦٠، ٩٩).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٠).

وقال ابنُ جريجٍ: معنى الآية: وأتبعناهم في هذه الدُّنيا لعنة ويومَ القيامةِ لعنة أُخرى، ثُمَّ استقبل الكلام فقال: هم من المقبوحين[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [القصص: ٤٣-٤٧].

قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني: قومَ نوحٍ، وعادٍ، وثمودَ وغيرَهم.

﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي: ليبصروا به ويهتدوا.

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: وما كنت بجانب الجبلِ الغربي[2].

قوله: ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي: أحكمنا الأمر معهُ بإرسالِهِ إلى فرعونَ وقومِهِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٥٨) من طريق حجاج، به.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٦).



﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لذلك الأمرِ، وفي هذا بيانٌ لصحَّةِ [نبوَّةِ](١) نبيِّنا ﷺ، لأنَّهم يعلمون أنَّه لم يقرأ الكُتبَ، ولم يشاهد ما جرى فلولا أنَّه أوحي إليه ذلك ما علمَ.

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا﴾ أي: خلقنا أُممًا من بعدِ موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ﴾ أي: طالَ إمهالُهم، فنسوا عهدَ الله وتركوا أمرَه، وهذا يدلُّ على أنَّه قد عُهد إلى موسى وقومِهِ عهود في أمرِ محمَّدٍ ﷺ، وأُمروا بالإيمانِ به، فلمَّا طالَ إمهالهم أعرضوا عن مراعاةِ العهودِ، ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا﴾ أي: مقيمًا ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ فتعلم خبر موسى وشعيب وابنتيه، فتتلو ذلك على أهلِ مكَّةَ، ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ أرسلناك إلى أهلِ مكَّةَ، وأخبرناك خبر المتقدِّمين، ولولا ذلك ما علمته ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ أي: بناحية الجبل الذي كُلِّم عليه موسى ﴿إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ موسى وكلَّمناه، هذا قولُ الأكثرين.

وقال أبو هريرةَ: كان هذا النِّداءُ: يا أمَّةَ محمَّدٍ أعطيتكم قبلَ أن تسألوني، واستجبتُ لكم قبل أن تدعوني(٢).

قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾.

---

(١) زيادة من (س).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (١١٣١٨)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم (١٦٩٤٦) في تفسيرهما، والحاكم في المستدرك وصحَّحه (٢/ ٤٤٣) من طريق أبي زرعة ابن عمرو بن جرير به، بنحوه.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لم تشاهد قصصَ الأنبياءِ، ولكنَّا أوحينا إليك، وقصصناها عليك رحمةً من ربِّك(١).

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ جوابُ «لولا» محذوفٌ تقديرُه: لولا أنَّهم يحتجُّون بتركِ الإرسالِ إليهم لعاجلناهم بالعقوبةِ، وقيل: لولا ذلك لم نحتج إلى إرسالِ الرُّسلِ ومؤاثرةِ الاحتجاجِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾[القصص: ٤٨-٥٥].

قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وهو محمَّدٌ عليه السلام والقرآن ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ أي: هلَّا ﴿أُوتِىَ﴾ محمَّدٌ ﷺ من الآياتِ ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ كالعصا واليدِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٧).

قال المفسِّرون: أمرت اليهودُ قريشًا أنْ تسألَ محمَّدًا مثل ما أُوتي موسى، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ أي: فقد كفرُوا [٦١٩/أ] بآياتِ مُوسى.

﴿قَالُوا﴾ في المشارِ إليهم قولان:

أحدهما: اليهودُ.

والثاني: قريش.

﴿سِحْرَانِ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر: «ساحران»[1].

﴿تَظَٰهَرَا﴾ أي: تعاونا.

وروى العبَّاسُ الأنصاري، عن أبي عمرٍو: «تَظَّاهَرَا» بتشديدِ الظَّاءِ[2].

وفيمن عنوا ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: موسى ومحمَّد، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، فعلى هذا هو من قولِ مشركي العَربِ.

والثاني: موسى وهارون، قاله مجاهدٌ، فعلى هذا هو من قولِ اليهودِ لهما في ابتداءِ الرِّسالةِ.

والثالث: محمَّدٌ وعيسى، قاله قتادةُ، فعلى هذا هو من قولِ اليهودِ الذين لم يؤمنوا بنبيِّنا.

---

(١) السبعة (٤٩٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ١١٤) عن يحيى الذماري.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿سِحْرَانِ﴾.

وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: التوراةُ والفرقانُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: الإنجيلُ والقرآنُ، قاله قتادةُ.

والثالث: التوراةُ والإنجيلُ، قاله أبو مجلَزٍ، وإسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ.

ومعنى الكلام: كلُّ سحرٍ منهما يقوِّي الآخَرَ، فنسب التَّظاهرَ إلى السحرين توسُّعًا في الكلامِ.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾ يعنون: ما تقدَّم ذكرُهُ، على اختلافِ الأقوالِ، فقال الله لنبيِّه ﴿قُلْ﴾ لكفَّارِ مكَّةَ: ﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ﴾ أي: من التوراةِ والقرآنِ، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّهما ساحرانِ.

﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ﴾ أي: فإن لم يأتوا بمثلِ التَّوراةِ والقرآنِ، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ أي: أن ما ركبوه من الكفرِ، لم يحملْهم عليه حجَّة، وإنَّما آثروا فيه الهوى ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ﴾ أي: ولا أحد أضلُّ، ﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى﴾ أي: بغير رشادٍ ولا بيانٍ جاء ﴿مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾.

﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾:

وقرأ الحسنُ، وأبو المتوكِّلِ، وابنُ يعمرَ: «وصَلْنَا» بتخفيفِ الصَّادِ[1].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٤)، والتحصيل (٥/ ١٦٩) عن الحسن.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم قريش، قاله الأكثرونَ، منهم مجاهدٌ.

والثاني: اليهودُ، قاله رفاعةُ القرظي.

والمعنى: أنزلنا القرآن يتَّبع بعضه بعضًا، ويخبر عن الأممِ الخاليةِ، كيف عذِّبوا لعلَّهم يتَّعظون.

قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ **وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّهم مؤمنو أهلِ الكتاب، رواه العوفيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ.

والثاني: مسلمو أهل الإنجيلِ.

روى سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ أربعينَ من أصحابِ النَّجاشي قدموا على رسولِ الله ﷺ فشهدوا معه أحدًا، فنزلت فيهم هذه الآيةُ[1].

والثالث: مسلمو اليهودِ، كعبدِ الله بنِ سلامٍ وغيرِه، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من قبلِ القرآنِ، ﴿هُم بِهِۦ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان:

أحدهما: أنَّها ترجعُ إلى محمَّدٍ ﷺ، لِأنَّ ذكرَهُ كان مكتوبًا عندهم في كتبهم، فآمنوا به.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٦٦٢)، وابن الأعرابي في معجمه (٤٧٦) من طريق علي بن ثابت الدهان، عن يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، به، بنحوه.
قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن جعفر بن أبي المغيرة إلا يعقوب القُمي، تفرد به: علي بن ثابت.

والثاني: إلى القرآنِ.

قوله: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: القرآن ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من قبل نزولِ القرآنِ ﴿مُسْلِمِينَ﴾ أي: مخلصينَ لله مصدِّقين بمحمَّدٍ، وذلك لأنَّ ذكرَه كان في كتبهم فآمنوا به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾. [٦١٩/ب]

في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم مؤمنو أهل الكتاب، وهذ قولُ الجمهور، وهو الظاهرُ، **وفيما صبروا عليه قولان**:

أحدهما: أنَّهم صبروا على الكتابِ الأوَّلِ، وصبروا على اتباعهم محمَّدًا، قاله قتادةُ، وابنُ زيدٍ.

والثاني: أنَّهم صبروا على الإيمانِ بمحمَّدٍ قبل أنْ يبعث، ثُمَّ على اتباعه حين بعث، قاله الضَّحاكُ.

والقول الثاني: أنَّهُم قومٌ من المشركين، أسلموا فكان قومهم يؤذونهم، فصبروا على الأذى، قاله مجاهدٌ.

قوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ فيه أقوالٌ قد شرحناها في الرَّعدِ[1].

قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

إحداها: الأذى والسبُّ، قاله مجاهدٌ.

---

(١) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (٢٢).

والثاني: الشِّركُ، قاله الضَّحاكُ.

والثالث: أَنَّهُم قومٌ من اليهود آمنوا، فكانوا يسمعون ما غيَّر اليهودُ من صفةِ رسولِ الله ﷺ، فيكرهون ذلك، ويعرضون عنه، قاله ابنُ زيدٍ.

وهل هذا منسوخٌ أم لا؟ فيه قولان.

وفي قوله: ﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ **قولان**:

أحدهما: لنا ديننا ولكم دينكم.

والثاني: لنا حلمنا ولكم سفهكم.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: لم يُريدُوا التَّحيةَ، وإنَّما أرادوا بيننا وبينكم المتَاركةُ، وهذا قبل أن يؤمرَ المسلمون بالقتالِ[1].

وذكر أهلُ التَّفسيرِ[2]: أنَّ هذا منسوخٌ بآيةِ السيفِ.

وفي قوله: ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ **ثلاثة أقوالٍ**:

إحداها: لا نبتغي دينَ الجاهلينِ.

والثاني: لا نطلبُ مجاورتَهم.

والثالث: لا نريدُ أنْ نكون جهَّالًا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٩).

(٢) وفي (س): (المفسِّرون).

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾[القصص: ٥٦-٥٨].

قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قد ذكرنا سببَ نزولها عند قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة: ١١٣][1].

وقد روى مسلمٌ فيما انفردَ به عن البخاريِّ من حديثِ أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ لعمِّه «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فقال: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي نساءُ قُرَيْش، يَقُلْنَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[2].

قال الزَّجَّاجُ: أجمع المفسِّرون أنَّها نزلت في أبي طالبٍ[3].

وفي قوله: ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ **قولان:**

أحدهما: من أحببت هدايته.

والثاني: من أحببته لقرابته.

---

(١) انظر: تفسير سورة التوبة الآية رقم (١١٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٩).

قولـه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي: يرشـد لدينـهِ مَـن يشـاء، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: مـن قـدر لـه الهـدى.

قوله: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ في روايةِ العُوفي: هم ناسٌ من قريش قالوا ذلك[١].

وقال في رواية ابنِ أبي مُليكةَ: إِنَّ الحارثَ بنَ عامر بن نوفل قال ذلك[٢].

وذكـر مُقاتـلٌ أنَّ الحـارثَ بـنَ عامـر قـال لرسـولِ الله ﷺ: إنَّـا لنعلـم أَنَّ الـذي تقـول حـقٌّ، ولكـن يمنعنـا أَنْ نتَّبـع الهـدى معـك مخافـة أَنْ تتخطَّفنـا العـربُ مـن أرضنـا، يعنـون مكَّـةَ، ومعنـى الآيـة: إِنْ اتَّبعنـاك عـلى دينـكَ خفنـا العـرب لمخالفتنـا إيَّاهـا[٣].

والتَّخطُّـف: الانتـزاعُ بسرعـةٍ، فـردَّ الله عليهـم قولهـم فقـال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا﴾ [٦٢٠/أ] أي: أو لم نسـكنهم حرمًـا؟ ونجعلُـه مكانًـا لهـم، ومعنـى ﴿ءَامِنًا﴾: ذو أمـن يأمـن فيـه النَّـاس، وذلـك أَنَّ العـربَ كان يغـير بعضُهـا عـلى بعـضٍ، وأهـلُ مكَّـةَ آمنـون في الحـرمِ مـن القتـلِ والسَّـبي والغَـارةِ، أي: فكيـف يخافـونَ إذا أسـلموا وهـم في حـرمٍ آمـن؟

---

(١) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٢٨٧)، وابـن أبي حاتـم (١٧٠٠٧) في تفسـيرهما مـن طريـق العـوفي، بـه.

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٨/ ٢٨٧) مـن طريـق ابـن جريـج، عـن ابـن أبي مليكـة، بـه.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥١).

﴿يُجْبَىٰٓ﴾.

قرأ نافعٌ: «تُجبى» بالتَّاء، أي: تجمع إليه وتُحمل من كلِّ النَّواحي الثَّمرات.

﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: من عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله هو الذي فعل بهم ذلك فيشكرونه.

ومعنى الآية: إذا كنتم آمنين في حرمي، تأكلونَ رزقي وتعبدون غيري، فكيف تخافون إذا عبدتموني وآمنتم بي؟ ثُمَّ خوفهم عذاب الأُممِ الخاليةِ فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ منصوبةٌ بإسقاطِ «في» والمعنى: بطرت في معيشتها، والبطرُ: الطُّغيانُ في النِّعْمَةِ[١].

قال عطاءٌ: عاشوا في البَطَرِ، فأكلوا رزقَ الله وعبدوا الأصنامَ[٢].

قوله: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لم يسكنها إلَّا المسافرون ومارُّ الطَّريقِ يومًا أو ساعة[٣].

والمعنى: لم تسكن من بعدهم إلَّا سُكونًا قليلًا، ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: لم يخلفهم أحدٌ بعد هلاكهم في منازلهم، فبقيت خرابًا غير مسكونة.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٠).

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٥٦).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٤).

قولـه تعـالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[القصـص: ٥٩-٦١].

قولـه:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ يعنـي القُـرى الكافـر أهلهـا ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا ﴾ أي: في أعظمِهـا ﴿رَسُولًا ﴾، وإنَّـما خـصَّ الأعظـم ببعثـة الرَّسـولِ، لأنَّ الرَّسـولَ إنَّـما يبعـث إلى الأشرافِ، وأشراف القـومِ ملوكهـم، وإنَّما يسـكنون المواضـعَ التـي هـي أُمُّ مـا حولهـا.

وقال قتادةُ: أمُّ القُرى: مكَّة، والرَّسولُ: محمَّد ﷺ[1].

قوله: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ ﴾:

قال مُقاتلٌ: يخبرهم الرَّسولُ أنَّ العذابَ نازلٌ بهم، إنْ لم يؤمنوا[2].

قولـه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴾ أي: بظُلمِهـم أهلكهـم، وظلمهـم شركهـم.

قولـه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ أي: مـا أعطيتـم مـن مـالٍ وخـيرٍ ﴿فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، تتمتَّعـون بـه أيَّـام حياتكـم، ثُـمَّ يفنـى وينقـضي، ومـا عنـد الله

---

(١) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٢٩١)، وابـن أبي حاتـم (١٧٠١٩) في تفسيرهما مـن طريـق سـعيد بـن أبي عروبـة، بـه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥١).

من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أفضل وأدوم لأهلِه، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ الباقي أفضل من الفاني؟

قوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ اختلف فيمن نزلت على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها نزلت في رسولِ الله ﷺ، وأبي جهلٍ.

والثاني: في عليٍّ وحمزةَ وأبي جهلٍ.

والقولان مرويان عن مجاهدٍ[1].

والثالث: في المؤمنِ والكافرِ، قاله قتادةُ[2].

والرَّابع: في عمَّار والوليد بن المغيرةِ، قاله السُّدِّيُّ.

وفي الوعدِ الحسنِ قولان:

أحدهما: الجنَّةُ.

والثاني: النَّصرُ.

قوله: ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ أي: مصيبه ومدركه ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: كمن هو ممتَّعٌ بشيءٍ يفنى ويزولُ عن قريبٍ، ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: من المحضرين في عذابِ الله، قاله قتادةُ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٩٤) من طريق أبان بن تغلب، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٩٣) من طريق سعيد، به.

والثاني: من المحضرين للجزاءِ، حكاه الماورديُّ(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٦٢ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝٦٣ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ۝٦٤ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝٦٧﴾[القصص: ٦٢-٦٧].

[٦٢٠/ب] قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: ينادي الله تعالى المشركينَ يوم القيامةِ، فيقول: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ هذا على حكايةِ قولهم، والمعنى: أين شركائي في قولكم؟ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي وجبَ عليهم العذابُ، وهم رؤساء الضلالة، وفيهم قولان:

أحدهما: أنَّهم رؤوس المشركين.

والثاني: أنَّهم الشياطين.

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ يعنون الأتباع ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي: أضللناهم كما ضللنا، ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تبرَّأنا منهم إليك، والمعنى: أنَّهم يتبرأُ بعضُهم من بعضٍ، ويصيرون أعداءً.

وقيل لكفَّار بني آدم ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي: استغيثوا بآلهتكم لتخلِّصكم من العذابِ، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ أي: فلم يجيبوهم إلى نصرِهم.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٦١).

﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: جوابُ «لو» محذوفٌ، والمعنى: لو أنَّهم كانوا يهتدون، لما اتَّبعوهم ولما رأوا العذابَ[1].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ أي: ينادي الله الكفَّار، ويسألُهم ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ ﴾:

وقرأ أبو رزين العقيلي، وقتادةُ، وأبو العاليةِ، وأبو المتوكِّلِ، وعاصمٌ الجحدري: «فَعُمِّيَتْ» برفعِ العينِ وتشديدِ الميمِ[2].

قال المفسِّرون: خفيت عليهم الحججُ، وسمِّيتُ أنباء؛ لأنَّها أخبارٌ يخبرَ بها.

قال ابنُ قُتيبةَ: والمعنى عموا عنها ـ من شدَّة الهولِ ـ فلم يجيبوا، و﴿ٱلْأَنۢبَآءُ ﴾ هاهنا الحُججُ[3].

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: لا يسألُ بعضُهم بعضًا عن الحجَّةِ، قاله الضَّحاكُ.

والثاني: أنَّ المعنى: سكتوا فَلَا يتساءلون في تلكِ السَّاعةِ، قاله الفرَّاءُ[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥١).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٤) عن جناح بن حبيش، وأبي زرعة بن عمرو.

(٣) غريب القرآن (ص:٣٣٤).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٣٠٩).

والثالـث: لا يسـأل بعضُهـم بعضًـا أن يحمـل عنـه شـيئًا مـن ذنوبـه، حـكاه المـاورديُّ(١).

قولـه: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ ﴾ مـن الشِّرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ أي: صـدق بتوحيـد الله ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أدَّى الفرائـض ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ «وعسـى» مـن الله واجـبٌ.

قولـه تعـالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) ﴾ [القصـص: ٦٨-٧٠].

قوله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾.

روى العـوفيُّ، عـن ابن عبَّـاسٍ في قولـه: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ قـال: كانـوا يجعلـون لآلهتهـم خـيرَ أموالهـم في الجاهليَّـةِ(٢).

وقـال مُقاتـلٌ: نزلـت في الوليـدِ بـنِ المغـيرةِ حـين قـال: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخـرف: ٣١] والمعنـى: أنَّـه لا تبعـث الرُّسـلَ باختيارِهـم(٣).

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٦٢).

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٢٩٩)، وابـن أبي حاتـم (١٧٠٥٣) في تفسـيرهما مـن طريـق العـوفي، بـه.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٣).

قال الزَّجَّاجُ: والوقفُ الجيِّد على قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ وتكون ما نفيًا، والمعنى: ليس لهم أَنْ يختاروا على الله، ويجوزُ أن تكون «ما» بمعنى «الذي» فيكون المعنى: ويختارُ الذي لهم فيه الخيرة ممَّا يتعبَّدهم به ويدعوهم إليه[1].

قال الفرَّاءُ: والعربُ تقولُ لما تختاره: أعطني الخَيْرَة، والخِيَرَة، والخَيَرة[2].

قال ثعلبٌ: كلها لغاتٌ.

قوله: ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تخفي من الكفرِ والعداوةِ.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم.

قوله: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ أي: يحمده أولياؤه في الدُّنيا، ويحمدونَهُ في الجنَّةِ ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ وهو الفصلُ بين الخلائقِ. والسَّرمدُ: الدائم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [القصص: ٧١-٧٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٤-١٥٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٣٠٩).

قولـه: ﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾ أي: سماع فهمٍ وقبولٍ، فتستدلُّوا بذلك على وحدانيَّةِ الله تعالى، ومعنى ﴿تَسۡكُنُونَ فِيهِۗ﴾ تستريحون من الحركةِ والنَّصب ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ والضَّلالةِ؟ ثُمَّ أخبر أنَّ اللَّيلَ والنَّهارَ رحمةٌ منه. [٦٢١/أ]

وقوله: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ يعني: في اللَّيل ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي: لتلتمسوا من رزقِهِ بالمعاشِ في النَّهارِ ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ الذي أنعمَ عليكم بهما.

قولـه: ﴿وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾ أي: أخرجنا من كلِّ أمةٍ رسولها الذي يشهدُ عليها بالتبليغ ﴿فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ أي: حجتكم على ما كنتم تعبدونَ من دوني ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: علموا أنَّه لا إله إلَّا هو ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾ أي: بطلَ في الآخرةِ ﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ في الدُّنيا من الشُّركاءِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[القصص: ٧٦-٧٧].

قوله: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ أي: من عشيرتِهِ، **وفي نسبِهِ إلى موسى ثلاثة أقوالٍ:**

أحدهـا: أَنَّـه كانَ ابـنَ عمِّـه، رواه سـعيدُ بـنُ جبيرٍ، عـن ابـن عبَّـاسٍ، وبـه قـال عبـدُ الله بـنُ الحـارثِ، وإبراهيـمُ، وابـنُ جريـجٍ.

والثاني: ابنُ خالته، رواه عطاءٌ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: أَنَّه كان عمُّ موسى، قاله ابنُ إسحاقَ.

قـال الزَّجَّـاجُ: قـارون اسـمٌ أعجمـيٌّ لا ينـصرفُ، فلـو كان «فاعـولاً» مـن العربيَّـةِ مـن «قرنـتُ الـشَّيء» لانـصرفَ[1].

قوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ **فيه خمسةُ أقوالٍ:**

أحدهـا: أَنَّـه جعـل لبغـيٍّ جعـلًا عـلى أَنْ تقـذف موسـى بنفسِـها، ففعلت فاسـتحلفها موسـى عـلى مـا قالـت، فأخبرتـه بقصَّتهـا، فـكان هـذا بغيـه، قالـه ابـنُ عبَّـاسٍ.

والثاني: أَنَّه بغى بالكفرِ بالله تعالى، قالهُ الضَّحاكُ.

والثالث: بالكبر، قاله قتادةُ.

والرابـع: أَنَّـه زاد في طـولِ ثيابِـهِ شـبرًا، قالـه عطـاءٌ الخُراسـاني، وشـهرُ بـنُ حوشـب.

والخامـس: أَنَّـه كان يخدمُ فرعـون، فتعـدَّى عـلى بنـي إسرائيـلَ وظلمهم، حكاه المـاورديُّ[2].

---

(١) معاني القرآن (٤/ ١٥٣).

(٢) النكت والعيون (٤/ ٢٦٤).

وفي المرادِ بمفاتحه قولان:

أحدهما: أنَّها مفاتيحُ الخزائنِ التي تفتح بها الأبوابُ، قاله مجاهدٌ وقتادةُ.

وروى الأعمش، عن خيثمةَ قال: كانت مفاتيحُ قارون وقر ستين بغلًا، وكانت من جلودٍ، كلُّ مفتاحٍ مثل الإصبعِ[١].

والثاني: أنَّها خزائنُه، قاله السُّدِّيُّ وأبو صالحٍ والضَّحاكُ.

قال الزَّجَّاجُ: وهذا الأشبه أنْ تكون مفاتحه خزائن مالِهِ، وإلى نحو هذا ذهبَ ابنُ قُتيبةَ[٢].

قال أبو صالحٍ: كانت خزائنه تحملُ على أربعين بغلًا[٣].

قوله: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ أي: تُثقلهم وتُميلهم. ومعنى الكلام: لَتُنِيءُ العُصبة، فلمَّا دخلت الباءُ في «العُصْبة» انفتحت التَّاء، كما تقول: هذا يَذْهَبُ بالأبصارِ، وهذا يُذْهِبُ الأبصارَ، وهذا اختيارُ الفرَّاءِ وابنُ قُتيبةَ والزَّجَّاجُ في آخرين[٤].

وقال بعضُهم: هذا من المقلوبِ، وتقديره: ما إنِ العُصْبة لَتَنُوء بمفاتحه، كما يقال: إنها لَتَنُوء بها عجيزُتها، أي: هي تَنْوء بعجيزتها،

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم (١٧٠٨٣) في تفسيرهما، به.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٤)، وغريب القرآن (ص:٣٣٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم (١٧٠٩٣) في تفسيرهما.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٣١٠)، وغريب القرآن (ص:٣٣٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٥).

وأنشدوا: [من الوافر][1]

فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أُطِيقُ

أي: فديتُ بنفسي وبمالي نفسَه.

وهذا اختيارُ أبي عبيدةَ، والأخفشُ[2]، وقد بيَّنا معنى العُصبةَ في سورة يوسفَ[3]، وفي المرادِ بها هاهنا ستَّةُ أقوالٍ:

أحدها: أربعون رجلًا، رواه العوفيُّ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: ما بين الثلاثة إلى العشرةِ، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: خمسة عشر، قاله مجاهدٌ. [٦٢١/ ب]

والرابع: فوق العشرة إلى الأربعين، قاله قتادةُ.

والخامس: سبعون رجلاً، قاله أبو صالحٍ.

والسادس: ما بين الخمسة عشر إلى الأربعين، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ **في القائل له قولان**:

أحدهما: أنَّهم المؤمنون من قومِهِ، قاله السُّدِّيُّ.

---

(١) البيت لعروة بن الورد في لسان العرب (٥/ ٣١٦)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٩٧٢)، ومغني اللبيب (٢/ ٦٩٢).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١٠)، ومعاني القرآن (٢/ ٤٧١).

(٣) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٨).

والثاني: أنَّه قولُ موسى له، حكاه الماورديُّ[١].

قوله: ﴿لَا تَفۡرَحۡ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: لا تأْشَر ولا تبطَر، قال الشاعر [من الطويل][٢]:

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي ... وَلَا جَازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَحَوِّلِ

أي: لست بأشِرَ، فأمَّا السُّرور فليس بمكروهٍ.

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾:

وقرأ أبو رجاء، وأبو حيوةَ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ أبي عبلةَ: «الفَارِحِين» بألفٍ[٣].

قوله: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ أي: اطلب فيما أعطاكَ الله من الأموالِ.

وقرأ أبو المتوكِّل، وابنُ السَّمَيْفَع: «واتَّبِعْ» بتشديدِ التَّاءِ، وكسر الباءِ بعدها، وعينٍ ساكنةٍ غير معجمة[٤].

﴿ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ وهي الجنَّةُ، وذلك يكون بإنفاقِهِ في رضى الله تعالى وشكرِ المنعمِ بِهِ.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٦٧).

(٢) البيت لهُدْبَة بن خَشْرم العُذري في حماسة البحتري ١/ ٢٥٢)، وبلا نسبة في غريب القرآن (ص/ ٣٣٥)، والأضداد (ص: ١٩٨)، وشرح شواهد المغني (١/ ٢٧٧).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥) عن عيسى بن سليمان الجحدري.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥) ذكره عن الأخفش.



﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أَنْ يعمل في الدُّنيا للآخرةِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ والجمهورُ.

والثاني: أَنْ يقدِّم الفضلَ ويمسك ما يغنيه، قاله الحسنُ.

والثالث: أَنْ يستغني بالحلالِ عن الحرامِ، قاله قتادةُ.

وفي معنى ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ حكاها الماورديُّ[1]:

[أحدها][2]: أعطِ فضلَ مالكِ كما زادك على قدرِ حاجتكَ.

والثاني: أحسن فيما افترض عليك كما أحسنَ في إنعامِه إليكَ.

والثالث: أحسن في طلبِ الحلالِ كما أحسنَ إليكَ في الإحلالِ.

قوله: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فتعمل فيها بالمعاصي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧٨].

قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ يعني: المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ:

أحدُها: على علمٍ عندي بصنعةِ الذَّهبِ، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

قال الزَّجَّاجُ: وهذا لا أصلَ له، لأَنَّ الكيمياءَ باطلٌ، لا حقيقةَ له[3].

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٦٧).

(٢) زيادة من (س).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٦).

والثاني: برضى الله عني، قاله ابنُ زيدٍ.

والثالث: على خير علمِه الله عندي، قاله مُقاتلٌ[(١)].

والرابع: إنَّما أعطيته لفضلِ علمي، قاله الفَرَّاءُ[(٢)].

قال الزَّجَّاجُ: ادَّعى أنَّه أعطي المال لعلمه بالتوراة[(٣)].

والخامس: على علمٍ عندي بوجوه المكاسبِ، حكاه الماورديُّ[(٤)].

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ يعني: قارون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ﴾ بالعذابِ ﴿مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ في الدُّنيا حين كذبوا رسلَهم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموالِ.

وفي قوله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ **ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم، وإنْ سئلوا سؤالَ توبيخٍ، قاله الحسنُ.

والثاني: أنَّ الملائكة تعرفُهم بسيماهم، فَلَا تسألهم عن ذنوبِهم، قاله مجاهدٌ.

والثالث: يدخلون النَّار بغير حسابٍ، قاله قتادةُ.

وقال السُّدِّيُّ: يعذبون ولا يسألونَ عن ذنوبهم.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٣١١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٦).

(٤) النكت والعيون (٤/ ٢٦٨).

قولـه تعـالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [القصـص: ٧٩-٨٠].

قوله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾.

قال الحسنُ: في ثيابٍ حمر وصفر[١].

وقال عكرمةُ: في ثيابٍ معصفرةٍ.

وقـال وهـبُ بـنُ منبِّـهٍ: خـرج عـلى بغلـةٍ شـهباءَ عليهـا سَرج أحمـر مـن أُرْجُـوان، ومعـه أربعـةُ آلافِ مُقَاتِـلٍ، وثلاثمائـة وصيفـة عليهـنَّ الحـلي والزينـة [٦٢٢/أ] عـلى بغـالٍ بيـضٍ.

قال الزَّجَّاجُ: الأرجوانُ في اللُّغةِ: صبغٌ أحمرُ[٢].

قولـه: ﴿لَذُو حَظٍّ﴾ أي: لـذو نصيـبٍ وافـرٍ مـن الدُّنيـا، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني الأحبار من بني إسرائيل[٣].

---

(١) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٣٢٩)، وابـن أبي حاتـم (١٧١٣٣) في تفسـيرهما مـن طريـق مبـارك، بـه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٦).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٩).

وقال مُقاتلٌ: الذين أوتوا العلمَ بما وعد الله في الآخرةِ، قالوا للَّذين تمنَّوا ما أُوتي قارون: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ أي: ما عنده من الجزاءِ ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ﴾ مما أعطي قارون[1].

قوله: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾:

قال أَبو عُبيدةَ: لا يوفق لها ويرزقها[2].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «وَلاَ يَلْقَاهَا» بفتح الياءِ وسكون اللَّامِ وتخفيف القاف[3].

وفي المشار إليها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها الأعمالُ الصالحةُ، قاله مُقاتلٌ[4].

والثاني: أنَّها الجنَّةُ، والمعنى: لا يعطاها في الآخرةِ إلَّا الصَّابرون على أمرِ الله، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثالث: أنَّها الكلمةُ التي قالوها، وهي قولهم: ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾، قاله الفَرَّاءُ[5].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١١).

(٣) بلا نسبة في إعراب شواذ القرآن (٢/ ٢٦٧).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٣١١).

قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[القصص: ٨١-٨٢].

قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ لَمَّا أمر قارون البغي بقذفِ موسى على ما سبقَ شرحُهُ[١] غضبَ موسى، فدعا عليه، فأوحى الله تعالى إليه: إنِّي قد أمرت الأرضَ أنْ تطيعك فمرْها، فقال موسى: يا أرضُ خذيه فأخذته حتى غيَّبت سريره، فلمَّا رأى ذلك ناشدَه بالرحم، فقال: خذيه فأخذته حتى غيِّبت قدميه، فما زال يقول: خذيه حتَّى غيَّبته، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى ما أفظَّكَ وعزَّتي وجلالي لو استغاثَ بي لأغثتُهُ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: فخسفت به الأرض إلى الأرضِ السُّفلى[٢].

وقال سمرةُ بنُ جندبٍ: إنَّه يخسف به كلَّ يومٍ قامة فتبلغ به الأرض السُّفلى يومَ القيامةِ[٣].

وقال مُقاتلٌ: فلمَّا هلك قارون، قال بنو إسرائيل: إنَّما أهلكه موسى، ليأخذ مالَه وداره، فخسفَ الله بدارِهِ ومالِهِ بعده بثلاثةِ أيَّامٍ[٤].

---

(١) انظر: تفسير سورة القصص الآية رقم (٧٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم (١٧١٥٩) في تفسيرهما.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٦١) في تفسيرهما.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٧).

قولـه: ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: يمنعونـه مـن الله تعـالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ أي: مـن الممتنعـين مما نـزل بـه، ثُـمَّ أعلمنـا أنَّ المتمنـين مكانـه ندمـوا عـلى ذلـك التمنـي بالآيـة التـي تـلي هـذه.

وقوله: ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾:

الأكثرونَ على ضمِّ الخاءِ، وكسرِ السِّينِ.

وقـرأ يعقـوبُ، والوليـدُ عـن ابـنِ عامـر، وحفـصٌ وأبـانُ عـن عاصـمٍ: بفتـح الخـاءِ والسِّـينِ[١].

فأمَّا قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ فقال ابنُ عبَّاسٍ: معناه: ألم تر.

وكذلك قال أبو عُبيدةَ، والكسائيُّ[٢].

وقـال الفَـرَّاءُ: «ويـك أن» في كلامِ العـرب تقريـر، كقـولِ الرَّجـلِ: أمـا تـرى إلى صنـعِ الله وإحسـانِهِ، أنشـدني بعضهـم [مـن الخفيـف][٣]:

وَيْـكَأَنْ مَـنْ يَكُـنْ لَـهُ نَشَـبٌ يُحْـبَبْ   وَمَـنْ يَفْتَقِـرْ يَعِـشْ عَيْـشَ ضُرِّ

وقال ابنُ الأنباريِّ: في قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ **ثلاثةُ أوجهٍ:**

---

(١) السبعة (ص:٤٩٥).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١٢).

(٣) البيـت لزيـد بـن عمـرو بـن نفيـل في الكتـاب (٢/ ١٥٥)، وشرح أبيـات سـيبويه (٢/ ١١)، ولسـان العـرب (١٥/ ٤٩٠)، وخزانـة الأدب (٦/ ٤٠٤)، وسـمط الـلآلي (ص: ١٠٣)، وبـلا نسـبة في معـاني القـرآن (٢/ ٣١٢).

إن شئت قلت: «ويك» حرف، و«أَنَّه» حرفٌ، والمعنى: ألم تر أنَّه، والدليلُ على هذا قول الشاعر [من الخفيف][(١)]:

سَأَلَتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَانِي قَلَّ مَالِي، قَدْ جِئْتُمَانِي بِنُكْرِ
وَيْكَأَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ

والثاني: أن يكون «ويك» حرفًا، و«أَنَّه» حرفًا، والمعنى: ويلك اعلم [٦٢٢/ ب] أَنَّه فحذفتِ اللَّامُ، كما قالوا: قم لا أباك، يريدون: لا أبالك، وأنشدوا [من الوافر][(٢)]:

أَبِالمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنِّي مُلاقٍ، لَا أَبَاكِ تُخَوِّفِينِي

أراد: لا أبالك، فحذف اللَّام.

والثالث: أن تكون [«وي»][(٣)] حرفًا، و«كأنه» حرفًا، فيكون معنى: «وي» التعجُّب، كما تقول: وي لم فعلت كذا كذا، ويكون معنى كأنَّه: أظنُّه وأعلمه كما تقول في الكلام: كأنَّك بالفرج قد أقبل، فمعناه: أظنُّ الفرج مُقبلاً، وإنَّما وصلوا الياءَ بالكافِ في قوله: «ويكأنَّه» لأنَّ الكلام بهما كثر، كما جعلوا: «يا ابن أم» في المصحفِ حرفًا واحدًا وهما حرفان [طه:٩٤].

---

(١) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل في الكتاب (٣/ ٥٥٥)، وشرح الكتاب (٢/ ٢٩)، والبخلاء للجاحظ (ص:٢٤٠).

(٢) البيت لأبي حية النميري في ديوانه (ص:١٧٧)، ولسان العرب (١١/ ٢١٠)، وشرح شواهد الإيضاح (ص: ٢١١)، وخزانة الأدب (٤/ ١٠٠ـ ١٠٥ ـ ١٠٧).

(٣) سقطت من الأصل، وهي من (س).

وكان جماعةٌ منهم يعقوب يقفون على «ويك» في الحرفين، ويبتدؤون «أنَّ» و«أنَّه» في الموضعينِ.

وذكر الزَّجَّاجُ عن الخليلِ: أنَّه قال: «وي» مفصولة من كأنَّ، وذلك أنَّ القومَ تندموا فقالوا: «وي» متندِّمين على ما سلفَ منهم، وكل مَن ندِمَ فأظهر ندامته قال: «وي».

وحكى ابنُ قُتيبةَ عن بعضِ العلماءِ أنَّه قال: معنى ويكأنَّ: رحمة لك بلغة حمير[1].

قوله: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بالرَّحمةِ والمعافاةِ والإيمانِ ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾[القصص: ٨٣-٨٤].

قوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ يعني: الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وفيه خمسةُ أقوالٍ:

إحداها: أنَّه البغي، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: الشَّرفُ والعزُّ، قاله الحسنُ.

والثالث: الظُّلمُ، قاله الضَّحاكُ.

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٠٤).

والرابع: الشِّركُ، قاله يحيى بن سلام.

والخامسُ: الِاستكبارُ عن الإيمانِ، قاله مُقَاتِلٌ[١].

قوله: ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ **فيه قولان:**

أحدُهما: العملُ بالمعاصي، قاله عكرمةُ.

والثاني: الدُّعاء إلى غيرِ عبادةِ الله، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله: ﴿وَالْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: العاقبةُ المحمودةُ لهم.

قوله: ﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ قد فسَّرناه في سورة النَّملِ[٢].

قوله: ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّـَٔاتِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد الذين أشركوا ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إلَّا جزاءَ عملِهم من الشِّركِ، وجزاؤهُ النَّارُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ الْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٥-٨٨].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٨).

(٢) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (٨٩).

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

قال مُقَاتِلٌ: خرج رسولُ الله ﷺ من الغارِ ليلًا، فمضى من وجهِهِ إلى المدينةِ، فسار في غيرِ الطَّريقِ مخافةَ الطَّلبِ، فلمَّا أمن رجعَ إلى الطَّريقِ، فنزل الجحفةَ بين مكَّةَ والمدينةَ، فعرفَ الطَّريقَ إلى مكَّةَ، فاشتاقَ إليها وذكر مولِدَه، فأتاه جبريلُ فقال: أتشتاقُ إلى بلدك ومولدك؟ قال: «نَعَمْ»، قال: فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ فنزلت هذه الآيةُ بالجحفةِ[1].

وفي معنى ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: فرضَ عليكَ العملَ بالقرآنِ، قاله عطاءُ بنُ أبي رباحٍ، وابنُ قُتيبةَ[2].

والثاني: أعطاكَ القُرآنَ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنزلَ عليك القرآنَ، قاله مُقاتلٌ، والفرَّاءُ، وأبو عُبيدةَ[3].

وفي قوله: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ **أربعةُ أقوالٍ**:

أحدها: إلى مكَّةَ، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ في روايةٍ، والضَّحاكُ.

[٦٢٣/أ] قال ابنُ قُتيبةَ: معاد الرَّجلِ بلده، لأنَّه يتصرَّف، ثُمَّ يعود إلى بلدِهِ[4].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٩).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٣٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٩)، مجاز القرآن (٢/ ١١٢)، ومعاني القرآن (٢/ ٣١٣).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:٢٤٠).

والثاني: إلى معادك من الجنَّةِ، رواه عكرمةُ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، والزُّهريُّ.

فإن اعتُرض على هذا فقيل: الرَّدُّ يقتضي أنَّه قد كان فيها رُدَّ إليه، **فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ**:

أحدها: أنَّه لما كان أبوه آدم في الجنَّةِ ثُمَّ أُخرجَ، كان كأن ولده أخرج منها، فإذا دخلَها فكأنَّه أُعيد.

والثاني: أنَّه دخلَها ليلةَ المعراجِ، فإذا دخلَها يومَ القيامةِ، كان ردًّا إليها، ذكرهما ابنُ جريرٍ[١].

والثالث: أنَّ العربَ تقول: رجع الأمرُ إلى كذا، وإن لم يكن له كون فيه قط، وأنشدوا [من الطويل][٢]:

.... يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وقد شرحنا هذا في قولِهِ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[البقرة: ٢١٠][٣].

والثالث: لرادك إلى الموتِ، رواه سعيدُ بنُ جُبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال أبو سعيدٍ الخدري.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٥١).

(٢) البيت للبيد في ديوانه (ص:١٦٩)، وحماسة البحتري (ص:٨٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٥)، ولسان العرب (٤/ ٢١٧)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٤٦)، وصدره: «وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ».

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢١٠).



والرابع: لـرادُّك إلى القيامـةِ بالبعـثِ، قالـه الحسـنُ، والزُّهـريُّ، ومجاهـدٌ في روايـةٍ، والزَّجَّـاجُ[1].

ثُـمَّ ابتـدأ كلامًـا يـردُّ بـه عـلى الكفَّـارِ حـين نسـبوا النَّبـيَّ ﷺ إلى الضلالِ، فقـال: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ والمعنـى: قـد علـم أنِّي جئـت بالهـدى، وأنَّكـم في ضـلالٍ مبـينٍ، ثُـمَّ ذكَّـره نعمـه فقـال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أي: أن تكـون نبيًّـا وأن يوحـى إليـك القـرآن، ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن﴾.

قال الفرَّاءُ: هذا استثناءٌ منقطعٌ، والمعنى: إلَّا أنَّ ربَّك رحمك، فأنزله عليك.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: عونًـا لهـم عـلى دينهـم، وذلـك أنَّهـم دعـوه إلى ديـنِ آبائـه فأمـر بالاحـترازِ منهـم، والخطـابُ بهـذا وأمثاله لـه، والمرادُ أهـل دينـه لئـلَّا يظاهـروا الكفَّـار ولا يوافقوهـم[2].

قوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ **فيه قولان**:

أحدهمـا: إلَّا مـا أُريـد بـه وجهـه، رواه عطـاءٌ، عـن ابـنِ عبَّـاسٍ، وبـه قـال الثَّـوريُّ.

والثاني: إلَّا هو، قاله الضَّحاكُ، وأبو عُبيدةَ[3].

قولـه: ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ أي: الفصـلُ بـين الخلائـقِ في الآخـرةِ دون غـيرِه ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ في الآخـرةِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٨).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٣١٣).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢١٢).

سورة العنكبوت

فصلٌ في نزولها

روى العوفيُّ، عن ابن عبَّاسٍ أنَّها مكِّيةٌ، وبه قال الحسنُ، وقتادةُ، وعطاءٌ، وجابرُ بنُ زيدٍ، ومُقَاتِلٌ[١].

وفي روايةٍ عن ابن عبَّاسٍ أنَّها مدنيَّةٌ.

وقال هبةُ الله بنُ سلامة المفسِّرُ: نزل من أوَّلها إلى رأسِ العشرِ بمكَّةَ، وباقيها بالمدينةِ[٢].

وقال غيرُه عكس هذا: نزل العشرُ بالمدينةِ وباقيها بمكَّةَ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾﴾ [العنكبوت: ١-٤].

قوله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ في سببِ نزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه لما أمر بالهجرةِ، كتب المسلمون إلى إخوانهم بمكَّةَ: أنَّه لا يقبل منكم إسلامكم حتَّى تهاجروا، فخرجوا نحو المدينةِ فأدركهم المشركون، فردُّوهم فأنزلَ الله ﷻ من أوَّل هذه السُّورة عشر آياتٍ، فكتبوا

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧١).

(٢) الناسخ والمنسوخ (ص: ١٤١).



إليهم يخبرونهم بما نزل فيهم، فقالوا: نخرج فإنْ اتَّبعنا أحدٌ قاتلناه، فخرجوا فاتَّبعهم المشركونَ، فقاتلوهم فمنهم مَن قتل ومنهم مَن نجا، فأنزلَ الله ﷻ فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ [النحل: ١١٠] هذا قولُ الحسنِ، والشَّعبيِّ(١). [٦٢٣/ ب]

والثاني: أنَّها نزلت في عمَّار بنِ ياسرٍ، إذ كان يعذَّب في الله ﷻ، قاله عبدُ الله بنُ عبيد بن عميرٍ(٢).

والثالث: أنَّها نزلت في مِهْجَع مولى عمر بن الخطَّاب، حين قتلَ ببدرٍ، فجزع عليه أبواه وامرأتُه، فأنزلَ الله تعالى في أبويه وامرأتِهِ هذه الآية(٣).

قوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد بالنَّاسِ الذين آمنوا بمكَّةَ كعيَّاش بنِ أبي ربيعةَ، وعمَّار بنِ ياسرٍ، وسلمةَ بنِ هشامٍ، وغيرِهم(٤).

قال الزَّجَّاجُ: لفظُ الآيةِ استخبارٌ، ومعناه معنى التقريرِ والتَّوبيخ، والمعنى: أحسبَ النَّاسُ أنْ يتركوا بأَنْ يقولوا: آمنا، ولأَنْ يقولوا: آمنا أي: أحسبوا أَنْ يقنع منهم بأنْ يقولوا: إنَّا مؤمنون فقط، ولا يمتحنون بما يبين حقيقة إيمانهم، ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي: لا يختبرون بما يعلم به صدق

---

(١) أثر الشعبي رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم (١٧١٣١) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٥٨) من طريق ابن جريج، به.

(٣) أورده الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٢٧٥) عن النقاش.

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٢).

إيمانهم من كذبه[١].

وللمفسِّرين فيه قولان:

أحدهما: لا يفتنون في أنفسِهم بالقتلِ والتَّعذيبِ، قاله مجاهدٌ.

والثاني: لا يبتلون بالأوامرِ والنَّواهي.

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: ابتليناهم واختبرناهم.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: فليرين الله الذين صدقوا في إيمانهم عند البلاءِ، إذا صبروا لقضائِهِ، وليرين الكاذبين في إيمانهم إذا شكوا عندَ البلاءِ، قاله مُقاتلٌ[٢].

والثاني: فليميزن، لأنَّه قد علم ذلك من قبل، قاله أبو عُبيدةَ[٣].

والثالث: فليظهرن ذلك حتَّى يوجد معلومًا، حكاه الثعلبيُّ[٤].

وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وجعفرُ بنُ محمَّدٍ: «فَلَيُعْلِمَنَّ الله»، و«لَيُعْلِمَنَّ الكَاذِبين» و«لَيُعْلِمَنَّ الله الذين آمنوا وليُعْلِمَنَّ المنافقين» [العنكبوت: ١١] بضمِّ الياءِ وكسر اللَّامِ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٢).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١١٣).

(٤) الكشف والبيان (٧/ ٢٦٩).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥) عن علي بن أبي طالب، والزهري، وفي التحصيل (٥/ ١٨٣) عن علي وحده.



قولـه: ﴿ أَمْ حَسِبَ ﴾ أي: أيحسـب ﴿ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ يعنـي: الـشِّرك ﴿ أَن يَسْبِقُونَاۚ ﴾ أي: يفوتونـا ويعجزونـا ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي: بئـسَ مـا حكمـوا لأنفسِـهِم حـين ظنُّـوا ذلـك.

قـال ابـنُ عبَّـاسٍ: عنى بهم الوليـد بـن المغـيرة، وأبـا جهـلٍ، والعـاص بـن هشـامٍ وغيرهـم[1].

قولـه تعـالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧ ﴾ [العنكبـوت: ٥-٧].

قوله: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ ﴾ قد شرحناه في آخرِ الكهفِ[2].

﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ ﴾ يعنـي: الأجـلُ المـضروبُ للبعـثِ، والمعنـى: فليعمـل لذلـك اليـومِ ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لمـا يقـول ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بـما يعمـل ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ ﴾ أي: إنَّ ثوابَـه إليـه يرجـعُ.

قولـه: ﴿ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ أي: لنبطلنَّهـا حتَّـى تصـيرَ بمنزلـةِ مـا لم يعمــل، ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: بأحســنِ أعمالهـم وهــو الطاعـةُ، ولا نجزيهـم بمسـاوئ أعمالهـم.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٣).

(٢) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (١١٠).

قولـه تعـالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٨-٩].

قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ ﴾:

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو مجلَزٍ، وعاصمٌ الجحدري: «إِحْسَاناً» بألفٍ[١].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رجاء: «حَسَنًا» بفتحِ الحاءِ والسِّينِ[٢].

روى أبو عثمان النَّهديُّ، عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ قال: فيَّ أنزلت هذه الآيةُ، كنت رجلًا برًّا بأمِّي، فلمَّا أسلمت قالت: يا سعدُ ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعنَّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشربُ حتَّى أموت، فتعيَّر بي، فيقال: يا قاتل أمِّه، قلت: لا تفعلي يا أمَّاه إنِّي لا أدع ديني هذا لشيءٍ، قال: فمكثت يومًا وليلة لا تأكل، فأصبحت قد جهدت، ثُمَّ مكثت يومًا آخرَ وليلة لا تأكل، فلمَّا رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمَّاه لو كانت لك مائة نفسٍ، [٦٢٤/أ] فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركتُ ديني هذا الشيءِ فكلي، وإنْ شئت لا تأكلي، فلمَّا رأت ذلك أكلت، فأنزلت هذه الآيةُ[٣].

---

(١) في التحصيل (٥/ ١٨٣)، والمحرر (٤/ ٣٠٨)، والكامل (ص:٣٩٧) عن الجحدري، وعنه في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥) قراءة أخرى؛ وهي: «حَسَنًا».

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥) عن عيسى، والجحدري.

(٣) رواه أبو داود الطيالسي (٢٠٨)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٣٦)، وأبو عوانة في المستخرج (٤/ ١٠٤)، وعبد بن حميد (١٣٢)، وغيرهم من طريق شعبة، عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد قال: أُنزلت في أبي أربعُ آياتٍ... فذكره.



وقيل: إنَّها نزلت في عيَّاش بنِ أبي ربيعةَ، وقد جرى له مع أمِّه نحو هذا.

وذكر بعضُ المفسِّرين: أنَّ هذه الآية والتي في لقمان[١]، وفي الأحقاف[٢] نزلن في قصَّة سعدٍ.

قال الزَّجَّاجُ: مَن قرأ: «حُسْنًا» فمعناه: ووصينا الإنسان أن يفعلَ بوالديه ما يحسن، ومَن قرأ: «إحْسَانًا» فمعناه: ووصينا الإنسان أن يحسن إلى والديه، وكأنَّ «حُسْنًا» أعمُّ في البرِّ[٣].

قوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾:

قال أبو عُبيدةَ: مجازُ هذا الكلام مجازُ المختصر الذي فيه ضميرٌ، والمعنى: وقلنا له ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾[٤].

قوله: ﴿لِتُشْرِكَ بِي﴾ معناه لتشرك بي شريكًا لا تعلمه لي، وليس لأحدٍ بذلك علمٌ، فلا تطعهما.

قوله: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في زمرةِ الصَّالحين في الجنَّةِ.

وقال مُقاتلٌ: «في» بمعنى «مع»[٥].

---

(١) انظر: تفسير سورة لقمان الآية رقم (١٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأحقاف الآية رقم (١٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦١).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١١٣).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٥).

قولــه تعــالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [العنكبــوت: ١٠-١١].

قولــه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ اختلفــوا فيمــن نزلــت عــلى أربعــةِ أقــوالٍ:

أحدهــا: أنَّهــا نزلــت في المؤمنــين الذيــن أخرجهــم المشركــونَ إلى بــدرٍ، فارتــدُّوا، رواه عكرمــةُ عــن ابــنِ عبَّــاسٍ(١).

والثــاني: نزلــت في قــومٍ كانــوا يؤمنــون بألسـنتهم، فـإذا أصابهــم بـلاءٌ مــن الله أو مصيبــة في أنفسِــهِم وأموالهــم افتتنــوا، قالــه مجاهــدٌ(٢).

والثالــث: نزلــت في نــاسٍ مــن المنافقــين بمكَّــةَ، كانــوا يؤمنــون فــإذا أوذوا وأصابهــم بــلاءٌ مــن المشركــينَ، رجعــوا إلى الــشِّركِ، قالــه الضَّحــاكُ(٣).

والرابــع: أنَّهــا نزلــت في عيَّــاش بــنِ أبي ربيعــةَ كان أســلم، فخــاف عــلى نفسِــهِ مــن أهلــه وقومِــهِ، فخــرج مــن مكَّــةَ هاربًــا إلى المدينــةِ، وذلــك قبــل قــدومِ رســولِ الله ﷺ إلى المدينــةِ، فجزعــت أمُّــه، فقالــت لأخويــه أبي جهــل

---

(١) رواه ابــن جريــر الطــبري (٧/ ٣٨١)، وابــن أبي حاتــم (١٧١٧٠) في تفســيرهما مــن طريــق عمــرو بــن دينــار، بــه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٦٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٢٧٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٦٥).

والحارثُ ابني هشامٍ ـ وهما أخواه لأمِّه ـ: والله لا آوي بيتًا ولا آكل طعامًا ولا أشرب شرابًا، حتَّى تأتياني به، فخرجا في طلبه، فظفرا به فلم يزالا به حتَّى تابعهما، وجاءا به إليها فقيَّدته، وقالت: والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمَّدٍ، ثُمَّ أقبلت تجلده بالسياطِ وتعذِّبه، حتَّى كفرَ بمحمَّدٍ عليه السلام جزعًا من الضَّرب، فنزلت فيه هذه الآية، ثُمَّ هاجر بعد وحسن إسلامُه، هذا قولُ ابنُ السائبِ، ومُقاتل[1].

وفي رواية عن مُقاتلٍ أنَّهما جلداه، في الطَّريق مائتي جلدة فتبرَّأ من دين محمَّدٍ، فنزلت هذه الآيةُ[2].

قوله: ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: ناله أذىً أو عذاب بسبب إيمانه ﴿جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: ما يصيبه من عذابهم في الدُّنيا ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الآخرةِ، وإنَّما ينبغي للمؤمنِ أنْ يصبر على الأذى في الله تعالى، لما يرجو من ثوابِهِ ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ يعني: دولة للمؤمنين ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ يعني: المنافقين للمؤمنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ على دينكم.

فكذَّبهم الله عز وجل وقال: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ من الإيمانِ والنِّفاقِ.

وقد فسَّرنا الآية التي تلي هذه في أوَّل السُّورةِ.

---

(١) أورده مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣/ ٣٧٥).

(٢) المصدر السابق.

قولـه تعـالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (١٣)﴾ [العنكبـوت: ١٢-١٣].

قوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾ يعنون ديننا.

قـال مجاهـدٌ: هـذا قـولُ كفَّـارِ قريـشٍ لمـن آمـن مـن أهـلِ مكَّـةَ، قالـوا [٦٢٤/ ب] لهـم: لا نبعـثُ نحـن ولا أنتـم فاتبعونـا، فـإنْ كان عليكـم شيءٌ فهـو علينـا[١].

قوله: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾:

قـال الزَّجَّـاجُ: هـو أمـرٌ في تأويـل الـشَّرط والجـزاءِ، يعنـي: إنْ اتَّبعتـم سـبيلنا؛ حملنـا خطاياكـم[٢].

وقال الأخفشُ: كأنَّهم أمروا أنفسَهم بذلك[٣].

وقرأ الحسنُ: «ولِنَحْمِل» بكسرِ اللَّامِ[٤].

قال ابنُ قُتيبةَ: الواو زائدةٌ، والمعنى: لنحمل خطاياكم[٥].

---

(١) في تفسـير مجاهـد (ص:٥٣٤)، ورواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٣٦٨)، وابـن أبي حاتـم (١٧١٨٢) في تفسـيرهما مـن طريـق ابـن أبي نجيـح، بـه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦١).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٧٣).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥)، والتحصيل (٥/ ١٨٤) عن الحسن، وعيسى الثقفي

(٥) غريب القرآن (ص:٣٣٧).



قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: فيما ضمنوا من حملِ خطاياهم.

قولــه: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي: أوزار أنفسـهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أي: أوزارًا مـع أوزارهـم، وهـي أوزارُ الذيـن أضلُّوهـم، وهـذا كقولِـه: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحـل: ٢٥].

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سـؤالُ توبيـخٍ وتقريـعٍ ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ مـن الكـذبِ عـلى الله ﷻ.

وقال مُقاتلٌ: عن قولهم: نحنُ الكفلاء بكلِّ تبعة تصيبكم من الله ﷻ[1].

قوله تعـالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٤-١٥].

قولـه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ في هـذه القصَّـة تسليةٌ للنَّبـيِّ ﷺ حيـث أعلـم أَنَّ الأنبيـاءَ قـد ابتلـوا قبلـه، وفيهـا وعيـدٌ شـديدٌ لمـن أقـام عـلى الـشِّركِ، فإِنَّهُـم وإِنْ أمهلـوا فقـد أمهـل قـوم نـوحٍ أكثـر ثُـمَّ أخـذوا.

قولــه: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ **اختلفـوا في عمـرِ نـوحٍ عـلى خمسـةِ أقـوالٍ:**

أحدهـا: بعـث بعـد أربعـين سـنة، وعـاش في قومِـهِ ألـف سـنة إِلَّا خمسـين عامًـا يدعوهـم، وعـاشَ بعـد الطُّوفـان ستِّين سـنة، رواه يوسـفُ بـنُ مهـرانَ، عـن ابـن عبَّـاسٍ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٧).

والثاني: أنَّه لبث فيهم ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عامًا، وعاشَ بعد ذلك سبعينَ عامًا، فكان مبلغ عمره ألفَ سنةٍ وعشرين سنة، قاله كعبُ الأحبارِ.

والثالث: أنَّه بعث وهو ابنُ خمسين وثلاثمائة، فلبث فيهم ألف سنةٍ إلَّا خمسين عامًا، ثُمَّ عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة، قاله عونُ بنُ أبي شدَّادٍ.

والرابع: أنَّه لبث فيهم قبل أَنْ يدعوهم ثلاثمائة سنة، ودعاهم ثلاثمائة سنة، ولبثَ بعد الطُّوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، قاله قتادةُ.

وقال وهبُ بنُ منبِّهٍ: بعث لخمسين سنة.

والخامس: أَنَّ هذه الآيةُ بيَّنت مقدارَ عمرِهِ كلِّه، حكاه الماورديُّ[1].

فإنْ قيل: ما فائدةُ قولِهِ: ﴿إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾؟ فهلَّا قال: تسعمائة وخمسين؟

فالجواب: أنَّ المراد به تكثيرُ العددِ، وذكر الألفِ أفخم في اللَّفظ وأعظمُ للعددِ.

قال الزَّجَّاجُ: تأويلُ الاستثناءِ في كلامِ العربِ التَّوكيدُ، تقول: جاءني إخوتك إلَّا زيدًا، فتؤكد أَنَّ الجماعةَ جاؤوا وتنقص زيدًا، واستثناء نصف الشَّيءِ قبيحٌ جدًّا لا تتكلَّم به العربُ، وإنَّما تتكلَّمُ بالاستثناءِ كما تتكلَّم بالنُّقصان، تقول: عندي درهمٌ ينقص قيراطًا، فلو قلت: ينقصُ نصفه، كان الأولى أَنْ تقول: عندي نصفَ درهمٍ، ولم يأتِ الاستثناءُ في كلامِ العربِ إلَّا قليلٌ من كثيرٍ[2].

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٧٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٣).

قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الموتُ، روت عائشةُ عن رسولِ الله ﷺ في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ قال: «الْمَوْتُ»(١).

والثاني: المطرُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ.

[٦٢٥/أ] قال ابنُ قُتيبةَ: هو المطرُ الشَّديدُ(٢).

والثالث: الغرقُ، قاله الضَّحاكُ.

قال الزَّجَّاجُ: الطُّوفانُ من كُلِّ شيءٍ ما كان كثيرًا مُطِيفًا بالجماعةِ كلها، فالْغَرَقُ الذي يَشْتَمِلُ على المُدُنِ الكَثِيرةِ طوفان، وكذلك القتلُ الذريعُ والموتُ الجارف طوفان(٣).

قوله: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كافرون(٤).

قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ يعني: السفينة.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٩٩) من طريق المنهال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحكم بن ميناء، به.

والمنهال بن خليفة العجلي، أبو قدامة الكوفي ضعيف.

(٢) غريب القرآن (ص:٣٣٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٤).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٥).

قال قتادةُ: أبقاها الله آيةً للنَّاسِ بأعلى الجودي[١].

قال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: وجائزٌ أن يكون أراد الفعلة التي فعلها بهم من الغرق ﴿ءَايَةً﴾ أي: عبرةً ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بعدهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾[العنكبوت: ١٦-١٨].

قوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هو معطوفٌ على نوحٍ، والمعنى: أرسلنا إبراهيمَ[٢].

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني: عبادة الله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من عبادةِ الأوثانِ، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما هو خيرٌ لكم ممَّا هو شرٌّ لكم، والمعنى: ولكنَّكم لا تعلمون.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾.

قال الفَرَّاءُ: ﴿إِنَّمَا﴾ في هذا الموضعِ حرفٌ واحدٌ، وليست على معنى الذي[٣].

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٧٢)، وابن أبي حاتم (١٧٢٠٧) في تفسيرهما من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٤).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٣١٥).

وقوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ مردودٌ على ﴿إِنَّمَا﴾ كقولك: إنَّما تفعلون كذا، وإنَّما تفعلون كذا.

وقال مُقاتلٌ: الأوثانُ الأصنامُ[(١)].

قال ابنُ قُتيبةَ: واحدُها وَثَنٌ، وهو ما كان من حجارةٍ أو جَصٍّ[(٢)].

قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾:

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع، وأبو المتوكِّل: «وتَخْتَلِقُون» بزيادةِ تاءٍ[(٣)].

ثُمَّ فيه قولان:

أحدهما: تختلقون كذبًا في زعمكم أنَّها آلهةٌ.

والثاني: تصنعون الأصنامَ، والمعنى: تعبدون أصنامًا، أنتم تصنعونها، ثُمَّ بيَّن عجزهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ أي: لا يقدرون على أَنْ يرزقوكم ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ أي: فاطلبوا من الله فإنَّه القادرُ على ذلك.

قوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ هذا تهديدٌ لقريشٍ، ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ والمعنى: فأهلكوا.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٧).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٣٧).

(٣) في إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٢٧٣) بلا نسبة.

ٱلْآخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِي وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[العنكبوت: ١٩-٢٣].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر: ﴿يَرَوْا۟﴾ بالياءِ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ بالتَّاءِ.

وعن عاصمٍ كالقراءتين[١].

وعنى بالكلام كفَّارَ مكَّةَ ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: كيف يخلقهم ابتداءً من نطفةٍ، ثُمَّ من علقةٍ، ثُمَّ من مضغةٍ إلى أن يتمَّ الخلقُ، ثُمَّ يعيده أي: ثُمَّ هو يعيدُه في الآخرةِ عند البعثِ.

وقال أبو عُبيدةَ: مجازه: أولم يروا كيف استأنفَ الله الخلقَ الأوَّل، ثُمَّ يعيدُه، وفيه لغتان: أبدأ وأعاد، وكان مبدئًا ومعيدًا، وبدأ وعادَ، وكان بادئًا وعائدًا[٢].

قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: الخلقُ الأوَّلُ والخلق الثاني.

قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: انظروا إلى المخلوقاتِ التي في الأرضِ، وابحثوا عنها، هل تجدون لها خالقًا غيرَ الله؟ فإذا علموا أنَّه لا

(١) السبعة (ص:٤٩٨).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١٥).

خالـق لهـم سـواه لزمتهـم الحجَّـةُ في الإعـادةِ، وهـو قولـه: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: ثُـمَّ الله ينشـئهم عنـد البعـثِ نشـأة أُخـرى.

وأكثر القرَّاءِ قرؤوا: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ بتسكينِ الشِّينِ وتركِ المدِّ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: «النَّشَآءَةَ» بالمدِّ[1].

قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه في الآخرةِ بعد إنشائهم.

والثاني: أنَّه في الدُّنيا.

ثُمَّ فيه خمسةُ أقوالٍ، حكاها الماورديُّ[2]:

أحدها: يعذِّب مَن يشاء بالحرصِ، ويرحم مَن يشاءَ بالقناعةِ.

والثاني: يعذِّب بسوءِ الخلق، ويرحم بحسنِ الخلقِ.

[٦٢٥/ب] **والثالث**: يعذِّب بمتابعة البدعةِ، ويرحم بملازمةِ السنَّةِ.

والرابع: يعذِّب بالانقطاعِ إلى الدُّنيا، ويرحم بالإعراضِ عنها.

والخامس: يعـذِّب مَـن يشـاء ببغـضِ النَّـاسِ لـه، ويرحـم مَـن يشـاء بحـبِّ النَّـاسِ لـه.

قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: تردون.

---

(١) السبعة (ص:٤٩٨).

(٢) النكت والعيون (٤/ ٢٨٠).

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ **فيه قولان، حكاهما الزَّجَّاجُ:**

أحدهما: وما أنتم بمعجزينَ في الأرضِ، ولا أهل السَّماء بمعجزين في السَّماءِ.

والثاني: وما أنتم بمعجزين في الأرضِ، ولا لو كنتم في السَّماءِ[١].

وقال قطرب: هذا كقولِكَ: ما يفوتني فلان لا هاهنا ولا بالبصرةِ، أي: ولا بالبصرةِ لو صار إليها.

قال مُقاتلٌ: والخطابُ لكفَّارِ مكَّةَ، والمعنى: لا تسبقون الله حتَّى يجزيكم بأعمالكم السَّيئةِ، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ أي: قريبٍ ينفعكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعكُم منَ الله[٢].

قولُه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ ﴾ أي: بالقرآنِ والبعثِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى ﴾ في الرَّحمةِ قولانِ:

أحدُهما: الجنَّةُ، قاله مُقاتلٌ[٣].

والثاني: العفو والمغفرةُ، قاله أبو سليمانَ.

قال ابنُ جريرٍ: وذلك في الآخرةِ عند رؤيةِ العذابِ[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٨).

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٨٠).

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[العنكبوت: ٢٤-٢٥].

ثُمَّ عاد الكلامُ إلى قصَّة إبراهيمَ وهو قولُه تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ أي: حين دعاهم إلى الله ونهاهم عن الأصنام ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وهذا بيانٌ لسَفَهِ أحلامِهم، حين قابلوا احتجاجَهُ عليهم بهذا.

قوله : ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ المعنى: فحرَّقوه فأنجاه الله ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يشيرُ إلى إنجائِهِ إبراهيمَ.

قوله: ﴿وَقَالَ﴾ يعني: إبراهيم ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ» بالرَّفعِ والإضافةِ[1].

قال الزَّجَّاجُ: «مَوَدَّةُ» مرفوعةٌ بإضمارِ هي، كأنَّه قال: تلك مودَّةُ بينكم، أي: ألفتكم واجتماعكم على الأصنام مودَّة بينكم، والمعنى: إنَّما اتَّخذتم هذه الأوثان لتتوادُّوا بها في الحياةِ الدُّنيا، ويجوز أَنْ تكون «ما» بمعنى «الذي»[2].

---

(١) السبعة (ص:٤٩٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٦).

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ المسيّب، وعكرمةُ، وابنُ أبي عبلةَ: «مَوَدَّةٌ» بالرَّفع «بَيْنَكُمْ» بالنَّصبِ[١].

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «مَوَدَّةً بَيْنَكم»[٢].

قال أبو عليٍّ: المعنى: اتَّخذتم الأصنامَ للمودَّة «وَبَيْنَكُمْ» نصبَ على الظَّرفِ والعاملُ فيه «ٱلْمَوَدَّة»[٣].

وقرأ حمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بنصبِ مودَّة مع الإضافةِ، وهذا على الاتِّساع في جعلِ الظَّرفِ اسمًا لما أضيفَ إليه.

قال المفسِّرونَ: معنى الكلام: إنَّما اتخذتموها لتتَّصل المودَّة بينكم واللِّقاء والاجتماع عندها، وأنتم تعلمون أنَّها لا تضرُّ ولا تنفعُ، ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: يتبرَّأُ القادةُ من الأتباعِ، ويلعن بعضكم بعضًا، يلعن الأتباع القادة؛ لأنَّهم زيَّنوا لهم الكفرَ.

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥)، والتحصيل (٥/ ١٨٤) عن الأعشى، عن أبي بكر، عن عاصم.

(٢) السبعة (ص:٤٩٨-٤٩٩).

(٣) الحجة (٥/ ٤٢٨).

قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾[العنكبوت: ٢٦-٣٠].

قوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ أي: صدَّق بإبراهيمَ ﴿وَقَالَ﴾ يعني: إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلى رضى ربي.

والثاني: إلى حيث أمرني ربي، فهاجر من سوادِ العراقِ إلى الشَّامِ وهجر قومَه المشركين.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ بعد إسماعيل ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ من إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ وذلك أنَّ الله تعالى لم يبعثْ نبيًّا بعد إبراهيم إلَّا من صلبِهِ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

[٦٢٦/أ] **أحدها:** الذِّكرُ الحسنُ، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: الثناءُ الحسنُ والولدُ الصَّالحُ، رواه أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: العافيةُ والعملُ الحسنُ والثناءُ، فلست تلقى أحدًا من أهل المللِ إلَّا يتولَّاه، قاله قتادةُ.

والرابع: أنَّه أري مكانه من الجنَّةِ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قد سبقَ بيانُه[1].

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٣٠).

قال ابنُ جريرٍ: له هناك جزاءُ الصَّالحين غير منقوصٍ من الآخرةِ بما أُعطي في الدُّنيا من الأجرِ[(١)].

وما بعد هذا قد سبقَ بيانُه[(٢)] إلى قولِهِ: ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ **وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّهم كانوا يعترِضون من مرَّ بهم لعملهم الخبيث، قاله أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهم كانوا إذا جلسوا في مجالسِهم يرمون ابنَ السَّبيلِ بالحجارةِ، فيقطعون سبيل المسافرِ، قاله مُقاتلٌ[(٣)].

والثالث: أنَّه قطع النَّسل للعدولِ عن النِّساء إلى الرِّجال، حكاه الماورديُّ[(٤)].

قوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: النادي المجلسُ، والمنكر مَجْمَعُ الفواحشِ من القولِ والفعلِ[(٥)].

وللمفسِّرين في المراد بهذا المنكرِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: «**كَانُوا يَخْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، فَذَاكَ الْمُنْكَرُ**»، روته أمُّ هانئ بنتُ أبي طالبٍ، عن رسولِ الله ﷺ[(٦)].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٨٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٨٠).

(٣) تفسير مقاتل ين سليمان (٣/ ٣٨٠).

(٤) النكت والعيون (٤/ ٢٨٢).

(٥) غريب القرآن (ص:٣٣٨).

(٦) رواه الطيالسي في مسنده (١٧٢٢)، وأحمد في مسنده (٤٤/ ٤٥٩)، والترمذي (٣١٩٠)،=



وقال عكرمةُ والسُّدِّيُّ: كانوا يحذفون كلَّ من مرَّ بهم[1].

والثاني: لفُّ القميصِ على اليدِ، وجرُّ الإزارِ، وحلُّ الأزرارِ، والحذفُ والرَّمي بالبندق، ولعبُ الحمام، والصفير، في خصال أخر رواها ميمونُ بنُ مهرانَ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّه الضُّراطُ، رواه عروةُ، عن عائشةَ، وكذلك فسَّره القاسمُ بنُ محمَّدٍ.

والرابع: أنَّه إتيانُ الرِّجال في مجالسهم، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ.

وهذه الآيةُ تدلُّ على أنَّه لا ينبغي للمجتمعين أن يتعاشروا إلَّا على ما يقرب من الله ﷻ، ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزءِ واللَّعبِ.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي﴾ أي: بتصديق قولي في العذابِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ

=وابن جرير الطبري (١٨/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم (١٧٢٧١) في تفسيرهما، والطبراني في الكبير (١٠٠١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٤)، والبيهقي في شعب الأيمان (٦٣٣١) من طرق عن سماك بن حرب، عن أبي صالح، مولى أُمِّ هانئ به، بنحوه.

وإسناده ضعيف؛ لضعف أبي صالح مولى أُمِّ هانيء، واسمه باذام.

(١) أثر عكرمة رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٠) من طريق عمر بن أبي زائدة، به، وأثر السدي كذا رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٠) من طريق أسباط بن نصر، به.

رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[العنكبوت: ٣١-٣٥].

قوله: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يعنون: قريةَ لوطٍ.

قوله: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾:

قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر، وعاصمٌ: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾، و﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ بتشديدِ الحرفين، وخفَّفهما حمزةُ، والكسائيُّ.

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ مشدَّدة، و«إِنَّا مُنْجُوكَ» مخفَّفة ساكنة النُّون[١].

وقد سبق شرح ما أخللنا بذكره[٢] إلى قولِهِ: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو الحصْب والخسفُ.

قوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ﴾ **في المكني عنها قولان:**

أحدهما: أنَّها الفعلة التي فعلَ بهم.

فعلى هذا في الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها الحجارةُ التي أدركت أوائلَ هذِهِ الأمة، قاله قتادةُ.

---

(١) السبعة (ص: ٥٠٠).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧٧).

والثاني: الماءُ الأسودُ على وجه الأرضِ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: الخبرُ عمّا صنعَ بهم.

والثاني: أنّها القريةُ.

فعلى هذا في المراد بالآية ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنّها آثارُ منازلهم الخربة، قاله ابنُ عبّاسٍ.

والثاني: أنَّ الآيةَ في قريتهم إلى الآنْ، أنَّ أساسها أعلاها، وسقوفها أسفلها، حكاهُ أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

والثالث: أنَّ المعنى: تركناها آيةً تقول: إنَّ في السَّماءِ لآيةً، يريد أنّها هي الآية، قاله الفرَّاءُ[1].

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[العنكبوت: ٣٦-٣٧].

قوله: ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ قال المفسِّرون: اخشوا البعثَ الذي فيه جزاءُ الأعمالِ.

قوله تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٣١٥).

فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٨-٤٠].

[قوله: ﴿ وَعَادًا ﴾][1]:

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وأهلكنا عادًا وثمودًا، لأنَّ قبل هذا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ [٦٢٦/ب] ٱلرَّجْفَةُ ﴾[2].

قوله: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ﴾ أي: ظهر لكم يا أهل مكَّةَ من منازلهم بالحجازِ واليمنِ آية في هلاكِهم، ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ قال الفَرَّاءُ: أي ذوي بصائر[3].

وقال الزَّجَّاجُ: أتوا ما أتوه وقد تبيَّن لهم أنَّ عاقبتَه عذابُهم[4].

وقال غيرُه: كانوا عند أنفسِهم مستبصرين، يظنُّون أنَّهم على حقٍّ.

قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴾ أي: ما كانوا يفوتون الله أَنْ يفعلَ بهم ما يُريدُ.

قوله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾ أي: عاقبنا بتكذيبه ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾ يعني: قوم لوطٍ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾

---

(١) ما بين المعكوفين سقط من الأصل، وهو من (س).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٨).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٣١٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٩).

يعني: ثمودًا وقومَ شعيب، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: قارون وأصحابه، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ﴾ يعني: قومَ نوحٍ وفرعونَ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾؛ فيعذِّبهم على غيرِ ذنبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالإقامةِ على المعاصي.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[العنكبوت: ٤١-٤٣].

قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنام، يتَّخذُها المشركونَ أولياء يرجون نفعها ونصرَها، فمثلُهم في ضعفِ احتيالهم ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ﴾.

قال ثعلب: والعنكبوتُ أنثى، وقد يذكِّرها بعضُ العربِ.

قال الشاعر [من الوافر][1]:

عَلَى هُطَّالِهِمْ مِنْهُمْ بُيُوتٌ كَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ هُوَ ابْتَنَاهَا

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ﴾ أي: هو عالمٌ بما عبدوه من دونِه، لا يخفى عليه ذلك، والمعنى: أنَّه يجازيهم على كفرِهم

---

(١) بلا نسبة معاني القرآن (٢/ ٣١٧)، ولسان العرب (١/ ٦٣٢)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٠٩)، والمخصص (١٧/ ١٧)، وخزانة الأدب (٥/ ٨٧)، وتاج العروس (٣/ ٤٤٦).

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ ﴾ يعني: أمثال القرآن التي شبَّه بها أحوالَ الكفَّارِ، وقيل: إنَّ تلك بمعنى هذه و﴿ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ الذين يعقلونَ عن الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٤-٤٥].

قوله: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ أي: للحقِّ، ولإظهارِ الحقِّ.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ في المرادِ بالصَّلاة قولانِ:

أحدهما: أنَّها الصلاةُ المعروفةُ، قاله الأكثرونَ.

وروى أنسُ بنُ مالكٍ، عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ الله إِلَّا بُعْدًا**»[1].

والثاني: أنَّ المراد بالصَّلاة القرآن، قاله ابنُ عمرَ، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقد شرحنا معنى الفحشاء والمنكرِ فيما سبق[2].

---

(١) رواه الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢١) من طريق عمر بن شاكر، عن أنس بن مالك، به، بنحوه. وعمر بن شاكر البصري ضعيف.

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٦٨)، وتفسير سورة النحل الآية رقم (٩٠).

وفي معنى هذه الآيةِ للعلماءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أَنَّ الإنسانَ إذا أَدَّى الصَّلاةَ كما ينبغي وتدبَّر ما يتلو فيها، نهته عن الفحشاءِ والمنكرِ، هذا مقتضاها وموجبها.

والثاني: أنَّها تنهاهُ ما دام فيها.

والثالث: أَنَّ المعنى: ينبغي أَنْ تنهى الصلاة عن الفحشاءِ والمنكرِ.

قوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ **فيه أربعةُ أقوالٍ**:

أحدها: ولذكرُ الله إيَّاكم أكبرُ من ذكركم إيَّاه، رواه ابنُ عمرَ، عن رسولِ الله ﷺ[1]، وبه قال ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ في آخرين.

والثاني: ولذكرُ الله أفضلُ من كلِّ شيءٍ سواه، وهذا مذهبُ أبي الدَّرداء، وسَلْمَان، وقتادة.

والثالث: ولذكرُ الله في الصَّلاة أكبر ممَّا نهاك عنه من الفحشاءِ والمنكرِ، قاله عبدُ الله بنُ عونٍ.

والرابع: ولذكرُ الله العبدَ ما كان في صلاتِهِ أكبر من ذكرِ العبد لله، قاله ابنُ قُتيبةَ[2].

---

(١) رواه ابن السني، وابن مردويه في تفسيره، والديلمي كما في الدر المنثور (٦/ ٤٦٦).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٣٨).

قولــه تعــالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾[العنكبـوت: ٤٦].

قولــه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ في التــي هــي أحســن ثلاثــة أقــوالٍ: [٦٢٧/أ]

أحدها: أنَّها لا إله إلَّا الله، رواه الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّها الكفُّ عنهم، إذا بذلوا الجزيةَ فإنْ أبوا قوتلوا، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّها القرآنُ والدُّعاء إلى الله بالآياتِ والحججِ.

قولـه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ وهـم الذيـن نصبـوا الحـربَ، وأبـوا أنْ يـؤدُّوا الجزيـةَ، فجادِلـوا هـؤلاءِ بالسَّيفِ، حتَّـى يسـلموا أو يعطـوا الجزيـةَ، وقولـوا لمـن أدَّى الجزيـة منهـم، إذا أخبركـم بـشيءٍ ممـا في كتبهـم: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا﴾ الآيـة.

وقــد روى أبــو هريــرةَ قــال: كان أهــلُ الكتــابِ يقــرؤون التَّــوراةَ[١] بالعبرانيـة، ويفسِّرونهـا بالعربيَّـة لأهـلِ الإسـلام[٢]، فقـال رسـولُ الله ﷺ: «**لَا تُصَدِّقُـوا أَهْـلَ الْكِتَـابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُـمْ، وَلَكِـنْ قُولُـوا**:﴿ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾[٣] الآيـة.

---

(١) في الأصل، و(ر): (الكتاب)، والمثبت من (س)، وهو الموافق لرواية البخاري.

(٢) في الأصل، و(ر): (الشام)، والمثبت من (س)، وهو الموافق لرواية البخاري.

(٣) رواه البخـاري في صحيحـه (٤٤٨٥)، والنسـائي في الكـبرى (١١٣٢٣)، والبـزار في مسـنده (٨٦١٧)، وابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٤٢٢)، وابـن أبي حاتـم (١٧٣٦٤) في تفسـيرهما.

فصل

واختلف في نسخ هذه الآيةِ على قولين:

أحدهما: أنَّها نسخت بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] قاله قتادةُ، والكلبيُّ.

والثاني: أنَّها ثابتةُ الحكمِ، وهو مذهبُ ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٧-٤٩].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتابَ عليهم، ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: مؤمني أهلِ الكتابِ، ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ وهم الذين أسلموا ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

قال قتادةُ: إنَّما يكون الجحدُ بعد المعرفةِ[1].

قال مُقَاتِلٌ: وهمُ اليهودُ[2].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٤٢٤)، وابن أبي حاتم (١٧٣٦٩) في تفسيرهما من طريق سعيد، به.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٧).

قوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾:

قال أبو عُبيدةَ: مجازه ما كنت تقرأ قبله كتابًا، و«من» زائدةٌ، فأمَّا الهاءُ في «قبله» فهي عائدةٌ إلى القرآنِ، والمعنى: ما كنت قارئًا قبل الوحي ولا كاتبًا، وهكذا كانت صفتُه في التوراةِ والإنجيلِ، أنَّه أمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، وهذا يدلُّ على أنَّ الذي جاء به، من عند الله تعالى[١].

قوله: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت[٢] قارئًا كاتبًا لشكَّ اليهودُ فيك، ولقالوا: ليست هذه صفتُه في كتابنا، و﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ الذين يأتون بالباطلِ، **وفيهم هاهنا قولان:**

أحدهما: كفَّار قريش، قاله مجاهدٌ.

والثاني: كفَّارُ اليهودِ، قاله مُقاتلٌ[٣].

قوله: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ في المكنَّى عنه قولانِ:

أحدهما: أنَّه النَّبيُّ محمَّد ﷺ.

ثُمَّ في معنى الكلامِ قولان:

أحدهما: أنَّ المعنى: بل وجدان أهل الكتاب في كتبهم أنَّ محمَّدًا ﷺ لا يكتب ولا يقرأ، وأنَّه أمِّيٌّ: آياتٌ بيِّناتٌ في صدورهم، وهذا مذهبُ ابنِ عبَّاسٍ، والضَّحاكِ، وابنِ جريجٍ.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١١٦).

(٢) في الأصل: (كان)، والمثبت من (س).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٦).

والثـاني: أَنَّ المعنـى: بـل محمَّـد ذو آيـاتٍ بيِّنـاتٍ في صـدورِ الذيـن أوتـوا العلـمَ مـن أهـل الكتـابِ، لأنَّهـم يجدونـه بنعتِـهِ وصفتِـهِ، قالـه قتـادةُ.

والثـاني: أنَّـه القـرآنُ، والذيـن أوتـوا العلـمَ المؤمنـون الذيـن حملـوا القرآنَ عـلى عهـدِ رسـولِ الله ﷺ، وحملـوهُ بعده.

وإنَّـما أعطـي الحفـظ هـذه الأمَّـة وكان مـن قبلهـم لا يقـرؤون كتابَهـم إلَّا نظـرًا، فـإذا أطبقـوه لم يحفظـوا مـا فيـه سـوى الأنبيـاء، وهـذا قـولُ الحسـنِ.

وفي المرادِ بالظَّالمين هاهنا قولان:

[٦٢٧/ ب] أحدهما: المشركونَ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: كفَّار اليهود، قاله مُقاتلٌ(١).

قولـه تعـالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٥٢﴾[العنكبـوت: ٥٠-٥٢].

قوله: ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

قـرأ نافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وابـنُ عامـر، وحفـصٌ عـن عاصـمٍ: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ عـلى الجمـعِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٧).

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «آيَةٌ» على التَّوحيدِ[١].

وإنَّما أرادوا كآياتِ الأنبياء ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هو القادرُ على إرسالها وليست بيدي، وزعمَ بعضُ علماءِ التَّفسيرِ أنَّ قولَه: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ منسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

ثُمَّ بين الله ﷻ أنَّ القرآنَ يكفي من الآياتِ التي سألُوها بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

وذكر يحيى بن جعدة: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَتَوا نَبِيَّ الله ﷺ بِكُتُبٍ قَدْ كَتَبُوا فِيهَا بَعْضَ مَا يَقُولُ الْيَهُودُ، فَلَمَّا أَنْ نَظَرَ فِيهَا أَلْقَاهَا، ثُمَّ قَالَ: «**كَفَى بِهَا حَمَاقَةَ قَوْمٍ، أَوْ ضَلَالَةَ قَوْمٍ، أَنْ يَرْغَبُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، إِلَى قَومِ غَيْرِهِمْ**» فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ إلى آخر الآيةِ[٢].

قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ قال المفسِّرون: لما كذبوا بالقرآنِ نزلت: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يشهد لي أني رسولُه، ويشهد عليكم بالتكذيب، وشهادةُ الله له إثباتُ المعجزةِ له بإنزالِ الكتاب عليه، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: بغيرِ الله.

وقال مُقاتلٌ: بعبادةِ الشَّيطانِ[٣].

---

(١) السبعة (ص:٥٠١).

(٢) رواه الدارمي (٤٩٥)، وأبو داود في المراسيل (٤٥٤)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٤٢٩)، وابن أبي حاتم (١٧٣٨٠) في تفسيرهما، وابن عبد البر في جامع العلم وفضله (١٤٨٥-١٤٨٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٧).

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾[العنكبوت: ٥٣-٥٥].

قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾:

قال مُقاتلٌ: نزلت في النضرِ بنِ الحارثِ، حين قال: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢][(١)].

وفي الأجلِ المسمَّى أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه يومُ القيامةِ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: أجل الحياة إلى حين الموت، وأجلُ الموت إلى حين البعث، قاله قتادةُ.

الثالث: مدَّة إعمارهم، قاله الضَّحاكُ.

والرابع: يوم بدر، حكاه الثَّعلبيُّ[(٢)].

قوله: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾ يعني العذاب.

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو نهيك، وابنُ أبي عبلةَ: «ولَتَأْتِيَنَّهم» بالتَّاء[(٣)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكشف والبيان (٧/ ٢٨٧).

(٣) المحتسب (٢/ ١٣٣).

قوله: ﴿ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بإتيانه.

قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾أي: جامعة لهم.

قوله: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ بالنُّونِ، وقرأ نافعٌ بالياءِ(١).

فمن قرأ بالياءِ أراد الملك الموكَّل بعذابِهم، ومن قرأ بالنُّونِ فلأنَّ ذلك لمَّا كان بأمرِ الله تعالى جازَ أن يُنسَب إليه، ومعنى ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: جزاءَ ما عملتم من الكفرِ والتَّكذيبِ.

قوله تعالى: ﴿ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠) ﴾[العنكبوت: ٥٦-٦٠].

قوله: ﴿ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامر: ﴿ يَاعِبَادِيَ ﴾ بتحريك الياءِ.

وقرأ أبو عمرٍو وحمزةُ والكسائيُّ بإسكانها(٢).

قوله: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾.

---

(١) السبعة (ص: ٥٠١).

(٢) السبعة (ص: ٥٠١ ـ ٥٠٢).

وقرأ ابنُ عامر وحده: «أَرْضِيَ» بفتحِ الياءِ[(١)].

وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه خطابٌ لمن آمن من أهل مكَّةَ، قيل لهم: إنَّ أرضي يعني: المدينة واسعةٌ، فلا تجاوروا الظَّلمةَ في أرضِ مكَّةَ، قاله أبو صالحٌ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

وكذلك قال مُقَاتِلٌ: نزلت في ضعفاءِ مسلمي مكَّةَ أي: إنْ كنتم في ضيقٍ بمكَّةَ من إظهارِ الإيمانِ؛ فأرضُ المدينةِ واسعةٌ[(٢)].

والثاني: أنَّ المعنى: إذا عُمل بالمعاصي في أرضٍ، فاخرجُوا منها، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال عطاءُ.

والثالث: إنَّ رزقي لكم واسعٌ، قاله مطرِّفُ بنُ عبدِ الله.

قوله: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾:

[٦٢٨/أ] أثبت فيها الياء يعقوبُ في الحالين، وحذفها الباقون.

قال الزَّجَّاجُ: أمرهم بالهجرةِ من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله إلى حيث تتهيَّأ لهم العبادةُ، ثُمَّ خوَّفهم بالموتِ، لتهون عليهم الهجرةُ، فقال: ﴿كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ المعنى: فلا تقيموا في دارِ الشِّركِ خوفًا من الموت، ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ بعد الموت، فنجزيكم بأعمالكم[(٣)].

(١) السبعة (ص:٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧٢).

والأكثرونَ قرؤوا: ﴿تُرْجَعُونَ﴾: بالتَّاء على الخطابِ، وقرأ أبو بكرٍ، عن عاصمٍ بالياء[١].

قوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامر: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ بالباءِ، أي: لننزلنهم.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلف: «لَنُثْوِيَنَّهُم» بالثَّاء[٢]، وهو من ثويت بالمكان إذا أقمت به.

قال الزَّجَّاجُ: يقال: ثوى الرَّجلُ إذا أقام، وأَثْوَيْتُه إذا أنزلته منزلًا يقيم فيه[٣].

قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: لَمَّا أمرهم رسولُ الله ﷺ بالخروجِ إلى المدينةِ، قالوا: يا رسول الله نخرجُ إلى المدينةِ وليس لنا بها عقارٌ ولا مالٌ فمن يؤوينا ويطعمنا؟ فنزلتِ هذه الآيةُ[٤].

قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى الآية: كم من دابَّةٍ لا ترفعُ شيئًا لغدٍ.

---

(١) السبعة (ص: ٥٠٢).

(٢) السبعة (ص:٥٠٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧٣).

(٤) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٢٨٨) بلا إسناد.

قال ابنُ عيينةَ: ليس يَخْبأُ إلَّا الإنسانُ، والفأرةُ، والنَّملةُ[1].

قال المفسِّرون: وقوله ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾ أي: حيثما توجَّهت ﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾ أي: ويرزقكم إنْ هاجرتم إلى المدينةِ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولكم: لا نجدُ ما ننفق بالمدينةِ ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما في قلوبكم.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾[العنكبوت: ٦١-٦٣].

قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ يعني: كفَّار مكَّة، وكانوا يقرون بأنَّه الخالقُ والرَّازقُ، وإنَّما أمرُه أن يقولَ: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ على إقرارهم، لأنَّ ذلك يلزمُهم الحجَّةُ فيوجب عليهم.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ توحيد الله مع إقرارهم بأنَّه الخالقُ والمرادُ بالأكثرِ: الجميع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾[العنكبوت: ٦٤-٦٦].

قوله: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ والمعنى: وما الحياةُ في

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٣٩).

هـذه الدنيـا إلَّا غـرورٌ ينقـضي عـن قليـلٍ، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ يعنـي: الجنَّـة ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾.

قـال أبـو عُبيـدةَ: الـلَّام في ﴿لَهِىَ﴾ زائـدةٌ للتَّوكيـدِ[١]، والحيـوانُ والحيـاةُ واحـدٌ، والمعنـى: هـي دارُ الحيـاةِ التـي لا مـوتَ فيهـا، ولا تنغيـصَ يشـوبُها كـما يشـوب الحيـاة الدُّنيـا ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لـو علمـوا لرغبـوا عـن الفـاني في الباقـي، ولكنَّهـم لا يعلمـون.

قولـه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يعنـي: المشركـين، ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: أفـردُوه بالدُّعـاءِ.

قال مُقاتلٌ: والدِّينُ بمعنى التَّوحيدِ[٢].

والمعنـى: أنَّهـم لا يدعـون مـن يدعونَـه شريـكًا لـه ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ أي: خلَّصهـم مـن أهـوالِ البحـرِ وأفضـوا إلى الـبرِّ ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ في الـبرِّ، وهذا إخبـارٌ عـن عنادهـم ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ هـذه لام الأمـرُ، ومعنـاه التَّهديـد والوعيـدُ، كقولـه: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت٤٠]، والمعنـى: ليجحـدوا نِعْمـة الله في إنجائـه إيَّاهـم ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾:

قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، وحمـزةُ، والكسـائيُّ بإسـكانِ الـلامِ عـلى معنـى الأمـرِ[٣]، والمعنـى: ليتمتعـوا بباقـي أعمارِهـم، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبـة كفرِهـم.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١١٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٩).

(٣) السبعة (ص:٥٠٢).

وقرأ الباقونَ بكسرِ اللَّام في ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾، فجعلوا اللَّامين بمعنى كي، فتقديره: لكي يكفروا ولكي يتمتَّعوا، فيكون معنى الكلام: إذا هم يشركون ليكفروا وليتمتَّعوا، أي: لا فائدةَ لهم في الإشراكِ إلَّا الكفر والتمتعُ بما يتمنون به في العاجلةِ، من غيرِ نصبٍ لهم في الآخرةِ. [٦٢٨/ب]

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت: ٦٧-٦٩].

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يعني مكَّة، وقد شرحنا هذا المعنى في القصص[1] ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾ أي: أنَّ العربَ يسبي بعضُهم بعضًا وأهل مكَّة آمنون.

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الشِّركُ، قاله قتادةُ.

والثاني: الأصنام، قاله ابنُ السائبِ.

والثالث: الشيطانُ، قاله مُقاتلٌ[2].

قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) انظر: تفسير سورة القصص الآية رقم (٥٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٩٠).

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ، وعاصمٌ الجحدري: «تُؤْمِنونَ وبنِعمة الله تكفُرونَ» بالتَّاء فيهما[١].

قوله: ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمَّدًا والإسلام، وقيل: بإنعام الله عليهم حين أطعمهم وآمنهم ﴿يَكْفُرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ﴾ أي: زعم أنَّ له شريكًا، وأنَّه أمر بالفواحشِ ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ يعني: محمَّدًا والقرآن ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ وهذا استفهامٌ بمعنى التقرير، كقول جرير [من الوافر][٢]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ أي: قاتلوا أعداءنا لأجلنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفقنَّهم لإصابةِ الطريقِ المستقيمةِ؛ وقيل: لنزيدنَّهم هداية ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالنُّصرةِ والعونِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد بالمحسنين: الموحِّدين[٣].

وقال غيرُه: يريدُ المجاهدين.

وقال ابنُ المبارك: من اعتاصت عليه مسألةٌ، فليسأل أهل الثُّغورِ عنها لقوله: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي، وزاد في التحصيل (٥/ ١٩٩) عليًا.

(٢) في ديوانه (ص: ٨٥)، وشرح شواهد المغني (١/ ٤٢)، ولسان العرب (٧/ ١٠١)، ومغني اللبيب (١/ ١٧).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٦).



وهي مكيَّةٌ كلها بإجماعهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قولــه تعــالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[الـروم: ١-٥].

قولـه: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ذكـر أهـلُ التَّفسـيرِ في سـببِ نزولهـا: أنَّـه كان بـين فـارس والـرُّوم حـربٌ، فغلبـت فـارس الـرُّوم، فبلـغ ذلـك رسـول الله ﷺ وأصحابـه، فشـقَّ ذلـك عليهـم، وفـرحَ المشركـونَ بذلـك، لأنَّ فـارسَ لم يكـن لهـم كتـابٌ، وكانـوا يجحـدون البعـثَ ويعبـدونَ الأصنـامَ، والـرُّومُ أصحـابُ كتـابٍ، فقـال المشركـون لأصحـابِ رسـولِ الله ﷺ : إنَّكـم أهـلُ كتـابٍ، والنَّصـارى أهـلُ كتـابٍ، ونحـن أمِّيـون، وقـد ظهـر إخواننـا مـن أهـل فـارس عـلى إخوانكـم مـن الـرُّوم، فـإنْ قاتلتمونـا لنظهـرنَّ عليكـم، فنزلـت هـذه الآيـةُ، فخـرج بهـا أبـو بكـرٍ الصِّديـق إلى المشركـين فقالـوا: هـذا كلام صاحبـك فقـال: الله أنـزل هـذا، فقالـوا لأبي بكـرٍ: نراهنـك عـلى أنَّ الـرُّومَ لا تغلـب فـارس، فقـال أبـو بكـرٍ: البضـع مـا بـين الثَّـلاث إلى التِّسـعِ فقالـوا: الوسـط مـن ذلـك سـت فوضعـوا الرِّهـان، وذلـك قبـل أنْ يحـرم الرِّهـان، فرجـع أبـو بكـرٍ إلى أصحابـه فأخبرهـم فلامـوه وقالـوا: هـلَّا أقررتهـا كـما أقرَّهـا الله، لـو



شاء أنْ يقول: ستًّا لقال: فلمّا كانت سنة ست لم تظهر الروم على فارس، فأخذوا الرهان، فلما كانت سنة سبع ظهرت الرومُ على فارس[1].

وروى ابن عباس قال: لما نزلت ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ناحب أبو بكر قريشًا فقال له رسولُ الله ﷺ: «**أَلَا احْتَطْتَ، فَإِنَّ البِضْعَ مَا بَيْنَ السَّبْعِ وَالتِّسْعِ**»[2]، وذكر بعضُهم أنَّهم ضربوا الأجل خمس سنين، وقال بعضهم: ثلاث سنين فقال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّ البِضْعَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى تِسْعٍ**»، فخرج أبو بكرٍ فقال لهم: أزايدكم في الخطرِ، وأمدُّ في الأجلِ إلى تسع سنين، ففعلوا فقهرهم أبو بكرٍ وأخذ رهانهم[3]. [٦٢٩/أ]

وفي الذي تولَّى وضع الرِّهان من المشركين قولان:

أحدهما: أُبيُّ بنُ خلفٍ، قاله قتادةُ.

والثاني: أبو سفيانَ بنُ حربٍ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٧/ ٢٩٢)، والوسيط (٣/ ٣٢٧)، والدر المنثور (٦/ ٤٧٩).

(٢) لم نقف عليه.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٩٦)، والبخاري في خلق أفعال العباد (١١٥)، والترمذي (٣١٩٣)، والنسائي في الكبرى (١١٣٨٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٤٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٩٨٧)، والطبراني في الكبير (١٢٣٧٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٥) وصححه، ووافقه الذهبي، وغيرهم بألفاظ متقاربة من طريق سعيد بن جبير، به.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، والضَّحاكُ، وأبو رجاء، وابنُ السَّمَيْفَع: «في أدَاني الأَرْضِ» بألفٍ مفتوحة الدَّالِ[1]؛ أي: أقرب الأرض، أرض الرُّوم إلى فارس.

قال ابنُ عبَّاسٍ: وهي طرفُ الشَّامِ[2].

وفي اسمِ هذا المكان ثلاثةُ أقوالٍ:

إحداها: أنَّه الجزيرةُ وهي أقربُ أرضِ الرُّومِ إلى فارس، قاله مجاهدٌ.

والثاني: أذرعات وكسكر، قاله عكرمةُ.

والثالث: الأردنُ وفلسطين، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿وَهُم﴾ يعني: الرُّومُ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾:

وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو رجاء، وعكرمةُ، والأعمشُ: «غَلْبِهِمْ» بتسكينِ اللَّامِ[3]؛ أي: من بعد غلبةِ فارس إيَّاهم.

والغَلَبُ والغَلَبَةُ لغتانِ.

﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ فارس ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ في البِضعِ تسعةُ أقوالٍ قد ذكرناها في يوسفَ[4].

قال المفسِّرون: وهي هاهنا سبع سنين، وهذا من علمِ الغيب الذي يدلُّ على أنَّ القرآنَ حقٌّ.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٧)، والبحر المحيط (٨/ ٣٧٤) عن الكلبي.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٧) عن علي بن أبي طالب، وفي التحصيل (٥/ ٢١٢) عن ابن عمر.

(٤) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٤٢).

قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أي: من قبل أَنْ تغلب الرُّوم، ومن بعد ما غلبت، والمعنى: أَنَّ غلبةَ الغالبِ وخذلان المغلوبِ بأمر الله وقضائِه.

﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ يعني: يوم غلبت الرُّوم فارس ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ للرُّوم، وكان التقاء الفريقين في السنةِ السَّابعةِ من غلبةِ فارس إيَّاهم، فغلبتهم الرُّوم وجاء جبريلُ يخبر بنصرِ الرُّومِ على فارس، فوافق ذلك يوم بدرٍ، وقيل: يوم الحديبيةِ.

قوله تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ٨﴾[الروم: ٦-٨].

قوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: وعد الله وعدًا ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ أَنَّ الرُّومَ يظهرون على فارس ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ الله لا يخلف وعدَه في ذلك.

ثُمَّ وصف كفَّارَ مكَّةَ، فقال: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾.

قال عكرمةُ: هي المعايشُ[1].

وقال الضَّحاكُ: يعلمون بنيان قصورها وتشقيق أنهارِها[2].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٦٩) بنحوه.

وقال الحسنُ: يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم، ولقد بلغَ والله من علم أحدِهم بالدُّنيا أنَّه ينقر الدِّرهم بظفرِهِ فيخبرك بوزنِهِ، ولا يحسن يصلِّي[1].

قوله: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ لأنَّهم لا يؤمنونَ بها.

قال الزَّجَّاجُ: وذكرهم ثانية يجري مجرى التَّوكيدِ، كما يقول: زيدٌ هو عالمٌ وهو أوكد من قولك: زيدٌ عالمٌ[2].

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: معناه: أولم يتَّفكروا فيعلموا، فحذفَ فيعلموا لأَنَّ في الكلام دليلًا عليه[3].

ومعنى ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلَّا للحقِّ، أي: لإقامةِ الحقِّ ﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وهو وقتُ الجزاءِ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ المعنى: لكافرونَ بلقاءِ ربِّهم، فقدِّمت الباءُ، لأنَّها متَّصلةٌ بـ﴿لَكَافِرُونَ﴾ وما اتَّصل بخبر «إِنَّ» جاز أَنْ يقدَّم قبل اللام، ولا يجوزُ أَنْ تدخلَ اللَّام بعد مضي الخبرِ من غير خلافٍ بين النَّحويين، لا يجوز أَنْ تقول: إنَّ زيدًا كافرٌ بالله، لأنَّ اللَّام [٦٢٩/ ب] حقَّها أَنْ تدخلَ على الابتداءِ، أو الخبرِ أو بين الابتداءِ والخبرِ، لأنَّها تؤكد الجملة.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦٣) مختصرًا.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧٨).

وقال مُقاتلٌ: في قوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ للسماوات والأرضِ أجل ينتهيان إليه، وهو يومُ القيامةِ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني كفَّار مكَّة ﴿بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ﴾ أي: بالبعثِ ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[الروم: ٩-١١].

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أولم يسافروا فينظروا مصارع الأممِ قبلهم، كيف أهلكوا بتكذيبهم فيعتبروا.

قوله: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: قلبوها للزِّراعةِ، ومنه قيل للبقرةِ: مثيرة.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، ومعاذٌ القارئ، وأبو حيوةَ: «وآثَارُوا الأرض» بمدِّ الهمزةِ وفتح الثَّاءِ مرفوعة الرَّاءِ[2].

﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾؛ أي: أكثر من عمارةِ أهلِ مكَّةَ لطولِ أعمارِ أولئك وشدَّة قوَّتهم.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٠٨).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٧) عن أبي حيوة، وفي التحصيل (٥/ ٢١٢) عن الواقدي، عن ابن جماز، عن ابن القعقاع، وفي المحتسب (٢/ ١٦٣)، والمحرر (٤/ ٣٣٠)، والبحر المحيط (٨/ ٣٧٨) عن أبي جعفر، وقال ابن مجاهد: ليس بشيء، وخرجه بعضهم على الإشباع.

﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ أي: بالدلالات ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بتعذيبهم على غير ذنبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالكفرِ والتَّكذيبِ، ودلَّ هذا على أنَّهم لم يؤمنوا فأُهلكوا.

ثُمَّ أخبرَ عن عاقبتهم فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ يعني: الخَلَّة السيئة **وفيها قولان:**

أحدهما: أنَّها العذابُ، قاله الحسنُ.

والثاني: جهنَّم، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾:

قال الفَرَّاءُ: معناه لأن كذَّبوا فلمَّا ألقيت اللَّام كان نصبًا[١].

وقال الزَّجَّاجُ: لتكذيبهم بآياتِ الله واستهزائهم[٢].

وقيل: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدرٌ بمنزلةِ الإساءةِ؛ فالمعنى: ثُمَّ كان التَّكذيبُ آخر أمرِهم، أي: ماتوا على ذلك، كأنَّ الله تعالى جازاهم على إساءتِهم أن طبعَ على قلوبهم حتَّى ماتوا على التكذيب عقوبة لهم.

وقال مكيُّ بنُ أبي طالبٍ النَّحويُّ: ﴿عَٰقِبَةَ﴾ اسم كان، ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ خبرُها، ﴿وأَن كَذَّبُواْ﴾ مفعول من أجلِهِ، ويجوزُ أن يكون ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مَفْعُولة بـ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾، ﴿وأَن كَذَّبُواْ﴾ خبر كانَ، ومن نصب

(١) معاني القرآن (٢/ ٣٢٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧٩).

﴿عَٰقِبَةَ﴾ جعلها خبر كان، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ اسمُها، ويجوزُ أن يكون ﴿وأَن كَذَّبُوا۟﴾ اسمها[1].

وقرأ الأعمشُ: ﴿أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ برفعِ السُّوءِ[2].

قوله: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: يخلقُهم أوَّلًا، ثُمَّ يعيدُهم بعد الموتِ أحياء كما كانوا.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامر، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتَّاء؛ فعلى هذا يكون الكلامُ عائدًا من الخبرِ إلى الخطابِ.

وقرأ أبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: بالياءِ[3]؛ لأنَّ المتقدِّمَ ذكره غيبة، والمرادُ بذكرِ الرُّجوعِ: الجزاء على الأعمالِ، والخلق: بمعنى المخلوقين، وإنَّما قال: ﴿يُعِيدُهُۥ﴾ على لفظِ الخلقِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٢-١٦].

---

(١) مشكل إعراب القرآن (٢/ ٥٦٠).

(٢) السبعة (ص:٥٠٦).

(٣) السبعة (ص:٥٠٦).

قوله: ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ قد شرحنا الإبلاس في الأنعام[1].

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ أي: من أوثانهم التي عبدوها ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ في القيامةِ ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ يتبرَّؤونَ منها وتتبرَّأ منهم.

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ وذلكَ بعدَ الحسابِ ينصرفُ قومٌ إلى الجنَّةِ وقومٌ إلى النَّارِ.

قوله: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ الرَّوضةُ المكانُ المخضَّر من الأرضِ، وإنَّما خصَّ الرَّوضةَ، لأنَّها كانت أعجبُ الأشياءِ إلى العربِ.

قال أبو عُبيدةَ: ليس شيءٌ عند العربِ أحسن من الرياضِ المعشبةِ، ولا أطيب ريحًا، قال الأعشى [من البسيط][2]:

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحُزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ
يَوْمًا بِالطِّيبِ مِنْهَا نَشْرُ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأُصُلُ

قال المفسِّرون: والمرادُ بالرَّوضةِ: رياضُ الجنَّةِ. [٦٣٠/أ]

وفي معنى ﴿يُحْبَرُونَ﴾ **أربعةُ أقوالٍ:**

إحداها: يكرمون، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: ينعمون، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٤٤).

(٢) في ديوانه (ص:١٠٧)، ومجاز القرآن (٢/ ١٢٠)، والشعر والشعراء (١/ ٢٥٢)، والكامل (٣/ ٥٣)، والزاهر في كلمات الناس (٢/ ٢٥٧).

قال الزَّجَّاجُ: والحَبْرة في اللُّغةِ كلّ نعمة حسنة[١].

والثالث: يفرحون، قاله السُّدِّيُّ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: يحبرون يسرُّون، والحَبْرَة السُّرُورُ[٢].

والرابع: أنَّ الحبر السَّماع في الجنَّةِ، فإذا أخذ أهلُ الجنَّةِ في السَّماع، لم تبقَ شجرةٌ إلَّا ورَّدت، قاله يحيى بنُ أبي كثيرٍ.

وسئل يحيى بنُ معاذٍ: أي الأَصواتِ أحسَنُ؟ فقال: مَزامِيرُ أُنْسٍ في مَقَاصِيرِ قُدْسٍ بألْحَانِ تَحْمِيدٍ في رِيَاضِ تَمْجِيدٍ ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر ٥٥][٣].

قوله: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ أي: هم حاضرونَ العذاب أبدًا لا يخفَّف عنهم.

قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[الروم: ١٧-١٩].

ثُمَّ ذكر ما تدركُ به الجنَّةُ ويتباعدُ به من النَّارِ فقال: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٠).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٤٠).

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٣٥٤) عن ذي النون.

قال المفسِّرون: المعنى: فصلُّوا لله حين تمسونَ، أي: حين تدخلون في المساءِ ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي: تدخلونَ في الصَّباحِ، و﴿تُظْهِرُونَ﴾ تدخلون في الظَّهيرةِ، وهي وقتُ الزَّوالِ ﴿وَعَشِيًّا﴾، أي: وسبِّحوهُ عشيًّا.

وهذه الآيةُ قد جمعت الصَّلوات الخمس، فقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ يعني صلاة المغربِ والعشاءِ، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ يعني به صلاة الفجرِ، ﴿وَعَشِيًّا﴾ العصر، و﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الظُّهر.

قوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يحمدُه أهلُ السَّمواتِ، وأهلُ الأرضِ، ويصلون له(١).

قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ فيه أقوالٌ قد ذكرناها في سورةِ آلِ عمرانَ(٢).

قوله: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يجعلها منبتة بعد أنْ كانت لا تنبت، وتلك حياتها.

﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بضمِّ التَّاءِ، وفتحها حمزةُ، والكسائي(٣).

والمرادُ: تخرجون يوم القيامةِ من الأرضِ، أي: كما أحيا الأرضَ بالنَّبات يحييكم بالبعثِ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣١).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٢٧).

(٣) السبعة (ص:٥٠٦).

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الروم: ٢٠-٢٩].

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: من دلائل قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾، يعني آدم لأنَّه أصلُ البشرِ ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ من لحمٍ ودمٍ يعني: ذريَّته ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ أي: تنبسطون في الأرضِ.

قوله: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه يعني بذلك آدم، خلق حواء من ضلعِهِ، وهو معنى قول قتادة.

والثاني: أَنَّ المعنى جعل لكم آدميَّات مثلكم، ولم يجعلهنَّ من غيرِ جنسكم، قاله الكلبيُّ.

قوله: ﴿لِتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ أي: لتأووا إلى الأزواجِ.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وذلك أنَّ الزَّوجينِ يتوادَّان ويتراحمان من غيرِ رحمٍ بينهما ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكره من صنعِهِ ﴿لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في قدرةِ الله وعظمتِهِ.

قوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ يعني: اللُّغاتِ من العربيَّةِ، والعجميَّةِ، وغيرِ ذلك ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾؛ لأَنَّ الخلقَ بين أسود وأبيض وأحمر، وهم ولدُ رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ.

وقيل: المرادُ باختلافِ الألسنةِ، اختلاف النَّغماتِ والأصواتِ، حتَّى إنَّه لا يشتبه صوتُ أخوين من أبٍ وأمٍّ، والمرادُ باختلافِ الألوانِ اختلاف [٦٣٠/ ب] الصُّور، فلَا تشتبه صورتانِ مع التَّشاكلِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، عن عاصمٍ: «للعالَمين» بفتح اللَّامِ.

وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ بكسرِ اللَّامِ[١].

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: نومكم.

---

(١) السبعة (ص: ٥٠٦ـ٥٠٧).

قال أبو عُبيدةَ: المنامُ من مصادرِ النَّومِ بمنزلة قام يقوم قيامًا ومقامًا، وقال يقول مقالًا(١).

قال المفسِّرون: وتقديرُ الآية: منامكم بالليل ﴿وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾ وهو طلبُ الرِّزقِ بالنَّهارِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سماع اعتبار وتذكُّر وتدبُّر ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ﴾ قال اللُّغويون: إنَّما حذف أن لدلالةِ الكلامِ عليه، وأنشدوا [من الطويل](٢):

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَتَارَةً أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ

ومعناه: فتارة أموتُ فيها.

وقال طرفة [من الطويل](٣):

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرُ الْوَغَى ....

أراد: أَنْ أحضر.

وقد شرحنا معنى الخوفِ والطَّمعِ في رؤية البرقِ في سورةِ الرَّعدِ(٤).

---

(١) مجاز القرآن (٢/١٢٠).

(٢) البيت لتميم بن مقبل في ديوانه (ص:٢٤)، وحماسة البحتري (ص:١٢٣)، والحيوان (٣/ ٤٨)، والكتاب (٢/ ٣٤٦)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ١١٤).

(٣) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه (ص:٣٢)، والإنصاف (٢/ ٥٦٠)، والكتاب (٣/ ٩٩)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٨٠٠)، ولسان العرب (١٣/ ٣٢)، وخزانة الأدب (١/ ٤٦٣)، وعجزه: «وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي».

(٤) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (١٢).

قولـه: ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: تدومـا قائمتـين ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾ ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةً﴾ وهـي نفخـةُ إسرافيـل الأخـيرة في الصُّـورِ بأمـرِ الله ﷻ ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: مـن قُبورِكـم ﴿إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ منهـا.

ومـا بعـد هـذا قـد سبقَ بيانُـه[1] إلى قولِـهِ: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ وفيـه أربعـةُ أقـوالٍ:

إحداهـا: أَنَّ الإعـادةَ أهـونُ عليـه مـن البدايـةِ، وكلٌّ هـيِّنٌ عليـه، قالـه مجاهـدٌ، وأبـو العاليـةِ.

والثـاني: أَنَّ أهـونَ بمعنـى هـيِّن، فالمعنـى وهـو هـيِّنٌ عليـه، وقـد يوضـع أفعـل في موضـع فاعـل، ومثلـه قولهـم في الأذانِ: الله أكـبر، أي: الله كبـير.

قال الفرزدق [من الطَّويل][2]:

إِنَّ الَّـذِي سَـمَكَ السَّـمَاءَ بَنَـى لَنَـا ... بَيْتًـا دَعَائِمُـهُ أَعَـزُّ وَأَطْـوَلُ

وقال معنُ بنُ أَوس المزني [من الطَّويل][3]:

لَعَمْـرُكَ مَـا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَـلُ ... عَـلَى أَيِّنَـا تَعْـدُو المَنِيَّـةُ أَوَّلُ

أي: وإني لوجل.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٦)، وتفسير سورة العنكبوت الآية رقم (١٩).

(٢) في ديوانـه (٢/ ١٥٥)، وشرح المفصـل (٦/ ٩٧)، والصاحبـي في فقـه اللغـة (ص:٢٥٧)، ولسـان العـرب (٥/ ١٢٧)، والمقاصـد النحويـة (٤/ ٤٢).

(٣) في ديوانـه (ص:٣٩)، وخزانـة الأدب (٨/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥)، وشرح التصريـح (٢/ ٥١)، وشرح ديـوان الحماسـة للمرزوقـي (ص: ١١٢٦).



وقال غيرُه [من الكامل][(١)]:

أَصبَحْتُ أَمْنَحُكَ الصُّدُوْدَ وَإِنَّنِي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُوْدِ لأَمْيَلُ

وأنشدوا أيضًا [من الطَّويل][(٢)]:

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ

أي بواحدٍ، هذا قول أبي عُبيدةَ[(٣)]، وهو مرويٌّ عن الحسنِ، وقتادةَ.

وقد قرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو عمران الجُوني، وجعفرُ بنُ محمَّدٍ: «وهو هَيِّنٌ عليه»[(٤)].

والثالث: أنَّه خاطبَ العبادَ بما يعقلون، فأعلمهم أنَّه يجبُ أن يكون عندهم البعثُ أسهل من الابتداء في تقديرهم وحكمِهم، فمن قدر على الإنشاءِ كان البعثُ أهونُ عليه، هذا اختيارُ الفَرَّاءِ، والمبرِّد، والزَّجَّاجُ، وهو قولُ مُقاتلٌ[(٥)].

وعلى هذه الأقوالِ الثلاثةِ تكون الهاء في «عليه» عائدةٌ إلى الله تعالى.

---

(١) البيت للأحوص في ديوانه (ص:١٦٦)، ومجاز القرآن (٢/ ١٦٢)، والكتاب (١/ ٣٨٠)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٧٧)، والمقتضب (٣/ ٢٣٣).

(٢) البيت للإمام الشافعي في ملحق ديوانه (ص:١٥٩)، وتاج العروس (٩/ ٢٧١)، وللإمام علي في ديوانه (ص:٦٧)، ولطرفة بن العبد في بهجة المجالس (٢/ ٧٤٦)، وينسب لغيرهم.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٢١).

(٤) في المحرر الوجيز (٤/ ٣٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٨٦) عن عبد الله بن مسعود.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٣٢٤)، معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٣)، تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤١٢).

والرابع: أنَّ الهاءَ تعودُ على المخلوقِ، لأنَّه خلقَه نطفة، ثُمَّ علقة، ثُمَّ مضغة، ويوم القيامةِ يقول له: كن فيكون، رواه أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وهو اختيارُ قطرب.

قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قال المفسِّرون: أي له الصِّفة العُليا في السَّماواتِ والأرضِ، وهي أنَّه لا إله غيرُه.

قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا﴾ سببُ نزولها: أنَّ أهلَ الجاهليةِ كانوا يلبُّونَ فيقولون: لبَّيكَ لا شريكَ لك، إلَّا شريكًا هو لكَ، تملكه وما ملك، فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ[1]، ومُقاتلٌ[2]. [٦٣١/أ]

ومعنى الآية: بيَّن لكم أيُّها المشركونَ شبهًا وذلك الشَّبه ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، ثُمَّ بيَّنه فقال: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي: من عبيدكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من المالِ والأهلِ والعبيدِ، أي: هل يشارككم عبيدُكم في أموالكم ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ أي: أنتم وشركاؤكم من عبيدكم سواء ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: كما تخافون أمثالكم من الأحرارِ، وأقرباءكم كالآباءِ والأبناءِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: تخافونهم أَنْ يرثوكم، كما يرث بعضُكم بعضًا[3].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٣٤٨)، وفي الأوسط (٧٩١٠) من طريق حماد بن شعيب، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، بنحوه، وحماد بن شعيب التميمي الحماني، ضعيف.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤١٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٩٠) من طريق ابن جريج، عن عطاء الخرساني، به.

وقال غيرُه: تخافونهم أَنْ يقاسمُوكم أموالكم كما يفعلُ الشُّركاءُ.

والمعنى: هل يرضى أحدُكم أَنْ يكون عبدُه شريكَه في مالِهِ وأهلِهِ حتَّى يساويه في التَّصرُّف في ذلك؟ فهو يخافُ أن ينفردَ في مالِهِ بأمر يتصرَّف فيه، كما يخافُ غيره من الشُّركاءِ الأحرارِ، فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسِكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوكٌ لي؟

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما بيَّنا هذا المثل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن الله ثُمَّ بين أنَّهم إنَّما اتَّبعوا الهوى في إشراكهم فقال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي: أشركوا بالله ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ وهذا يدلُّ على أنَّهم إنَّما أشركوا بإضلالِ الله إيَّاهم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: مانعين من عذابِ الله.

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾[الروم: ٣٠-٣٨].

قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾:

قال مُقاتلٌ: أخلص دينك الإسلام ﴿لِلدِّينِ﴾ أي: للتَّوحيد[١].

وقال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: استقم بدينك نحو الجهةِ التَّي وجَّهك الله إليها.

وقال غيرُه: سدِّد عملك، «والوجه»: ما يتوجَّه إليه، وعمل الإنسان ودينه: ما يتوجَّه إليه لتسديده وإقامتِه.

قوله: ﴿حَنِيفًا﴾:

قال الزَّجَّاجُ: «الحَنِيفُ» الذي يميل إلى الشَّيءِ ولا يرجعُ عنه، كالحَنَفِ في الرِّجل، وهو مَيْلُها إلى خارجها خلْقَةً، لا يَقْدِر الأَحنَفُ أن يَرُدَّ حَنَفَهُ.

قولُه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ منصوبٌ بمعنى: اتَّبِعْ فطرةَ الله، لأنَّ معنى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ اتَّبِعْ الدينَ القَيِّمَ، واتَّبِعْ فِطرةَ الله أي: دينَ الله، والفطرة: الخِلْقَة التي خلق الله عليها البشر، وكذلك قولُه ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**»[٢]؛ أي: على الإيمانِ بالله[٣].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤١٣).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة، وتمامه: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ».

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٤).

وقال مجاهدٌ في قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ﴾ قال: الإسلام[١]، وكذلك قال قتادةُ[٢].

والذي أشار إليه الزَّجَّاجُ أصحُّ، وإليه ذهب ابنُ قُتيبةَ[٣]، فقال: فرق ما بيننا وبين أهل القدرِ في هذا الحديثِ، أنَّ الفطرةَ عندهم الإسلام، والفطرة عندنا: الإقرارُ بالله، والمعرفةُ به، لا الإسلام، ومعنى الفطرة: ابتداءُ الخلقة، فالكلُّ أقرُّوا حين قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] ولست واجدًا أحدًا إلَّا هو مقرٌّ بأنَّ له صانعًا ومدبِّرًا، وإنْ عبد شيئًا دونه، وسماه بغيرِ اسمِهِ؛ فمعنى الحديث: إنَّ كلَّ مولودٍ في العالمِ على ذلك العهدِ وذلك الإقرار الأوَّل، وهو الفطرة، ثُمَّ يُهوِّد اليهودُ أبناءهم أي يعلِّمونهم ذلك، وليس الإقرارُ الأوَّلُ مما يقع به حكم ولا ثواب.

وقد ذكر نحو هذا أبو بكر الأثرم، واستدلَّ عليه بأنَّ النَّاسَ [٦٣١/ب] أجمعوا على أنَّه لا يرثُ المسلمُ الكافرَ، ولا الكافر المسلم، ثُمَّ أجمعوا على أنَّ اليهوديَّ إذا مات له ولدٌ صغيرٌ ورثه، وكذلك النَّصرانيُّ والمجوسيُّ، ولو كان معنى الفطرة الإسلام ما ورثه إلَّا المسلمون، ولا دفن إلَّا معهم، وإنَّما أرادَ بقولِهِ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» أي: على تلك البدايةِ التي أقرُّوا له فيها بالوحدانيةِ، حين أخذهم من صلبِ آدمَ، فمنهم من جحدَ ذلك بعد إقرارِهِ.

---

(١) هو في تفسير مجاهد (ص:٥٣٩)، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٩٥) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٩٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) غريب القرآن (ص:٣٤١).

ومثلُ هذا الحديثِ حديث عياض بن حِمَارٍ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «قَالَ اللهُ ﷻ: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ»[(١)]، وذلك أنَّه لم يَدْعُهُم يومَ الميثاقِ إلَّا إلى حرفٍ واحدٍ، فأجابوه.

قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لفظه لفظ النَّفي، ومعناه النَّهي، والتقدير: لا تبدِّلوا خلق الله، **وفيه قولان:**

أحدهما: أنَّه خصاء البهائمِ، قاله عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه.

والثاني: دينُ الله، قاله مجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ، والنَّخعيُّ في آخرين.

وعن ابنِ عبَّاسٍ، وعكرمةَ كالقولين.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ يعني: التَّوحيد المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني كفَّار مكَّة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيدَ الله.

قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: زعم جميعُ النَّحويين أنَّ معنى هذا: فأقيموا وجوهكم منيبين، لأنَّ مخاطبةَ النَّبيِّ ﷺ تدخل معه فيها الأمَّة، ومعنى ﴿مُنِيبِينَ﴾: راجعينَ إليه في كلِّ ما أمر، فلا يخرجونَ عن شيءٍ من أمرِهِ[(٢)].

وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه[(٣)] إلى قولِهِ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ **وفيه قولان:**

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٨٦٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٥).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣)، وتفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥٩).

أحدهما: أنَّه القحطُ، والرَّحمةُ: المطرُ.

والثاني: أنَّه البلاءُ، والرَّحمةُ: العافيةُ.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ وهم المشركون، والمعنى: إنَّ الكلَّ يلتجؤونَ إليه في شدائدهم، ولا يلتفتُ المشركونَ حينئذٍ إلى أوثانِهم.

قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ قد شرحناهُ في آخرِ العنكبوتِ[1]، وقوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ خطابٌ لهم بعد الإخبارِ عنهم.

قوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على هؤلاءِ المشركينَ ﴿سُلْطَانًا﴾ أي: حجَّةً وكتابًا من السَّماءِ ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يأمرُهم بالشِّركِ؟ وهذا استفهامُ إنكارٍ، معناه: ليس الأمرُ كذلك.

قوله: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾:

قال مُقاتلٌ: يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿رَحْمَةً﴾، وهي المطرُ، والسَّيئة: الجوع والقحطُ[2].

وقال ابنُ قُتيبةَ: الرَّحمة: النِّعمةُ، والسِّيئةُ: المصيبةُ[3].

قال المفسِّرون: وهذا الفرحُ المذكورُ هاهنا هو فرحُ البطرِ، الذي لا شكرَ فيه، والقنوطُ: اليأسُ من فضلِ الله، وهو خلافُ وصفِ المؤمنِ، فإنَّه يشكرُ عند النِّعمةِ، ويرجو عندَ الشدَّةِ، وقد شرحناه في بني إسرائيل

(١) انظر: تفسير سورة العنكبوت الآية رقم (٦٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤١٤).

(٣) غريب القرآن (ص:٣٤٢).

إلى قولـه: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنـي إعطـاء الحـق ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أفضـل مـن الإمسـاكِ ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي: يطلبـونَ بأعمالهـم ثـوابَ الله.

قولــه تعــالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾[الـروم: ٣٩-٤٠].

قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ في هذه الآية أربعةُ أقوالٍ:

إحداهــا: أنَّ الرِّبــا هاهنــا: أنْ يهـدي الرَّجــلُ للرَّجــلِ الـشَّيء يقصـد أنْ يثيبَـه عليـه أكثـر مـن ذلـك، هـذا قـولُ ابـنِ عبَّـاسٍ، وسـعيدِ بـنِ جبـيرٍ، ومجاهــدٍ، وطــاووس، والضَّحــاكِ، وقتــادةَ، والقرظــيِّ.

قال الضَّحاكُ: فهذا ليس فيه أجرٌ ولا وزرٌ[١].

وقال قتادةُ: ذلك الذي لا يقبله الله ولا يجزي به وليس فيه وزر[٢].

والثاني: أنَّه الرِّبا المحرَّم، قاله الحسنُ البصريُّ. [٦٣٢/أ]

والثالــث: أنَّ الرَّجــلَ يعطـي قرابتـه المـالَ، ليصـير بـه غنيًّـا لا يقصـد بذلـك ثـوابَ الله تعـالى، قالـه إبراهيـمُ النَّخعـيُّ.

والرابـع: أنَّـه الرَّجـل يعطـي مَـن يخدمـه؛ لأجـل خدمتـهِ لا لأجـلِ الله تعـالى، قالـه الشَّـعبيُّ.

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣/ ١٨)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٥٠٥) في تفسيرهما.

(٢) رواه عبد الرزاق (٣/ ١٨)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٥٠٥) في تفسيرهما.

قوله: ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾:

وقرأ نافعٌ، ويعقوبُ: «لِتُرْبُواْ» بالتَّاءِ وسكونِ الواو[1]؛ أي: في اجتلابِ أموالِ النَّاسِ واجتذابها.

﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يزكو ولا يضاعف؛ لأنَّكم قصدتم زيادةَ العوضِ ولم تقصدوا القربة.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ أي: ما أعطيتم من صدقةٍ لا تطلبون بها المكافأةَ، إنَّما تريدون بها ما عندَ الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: الذين يجدون التضعيف والزِّيادة[2].

وقال الزَّجَّاجُ: أي ذوو الأضعافِ من الحسناتِ، كما يقال: رجلٌ مُقْوٍ أي: صاحبُ قوَّةٍ، ومُوْسِر: صاحب يَسَارٍ[3].

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾[الروم: ٤١-٤٣].

قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في هذا الفسادِ أربعةُ أقوالٍ:

إحداها: نقصانُ البركةِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) السبعة (ص:٥٠٧).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٤٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه(٤/ ١٨٨).

والثاني: ارتكابُ المعاصي، قاله أبو العالية.

والثالث: الشِّركُ، قاله قتادةُ، والسُّدِّيُّ.

والرابع: قحطُ المطرِ، قاله عطيَّةُ.

فأمَّا البرُّ، فقال ابنُ عبَّاسٍ: البر: البَرِّيَّة التي ليس عندها نهرٌ[١].

وفي البحر قولان:

أحدهما: أنَّه ما كان من المدائنِ والقرى على شطِّ نهرٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقال عكرمةُ: لا أقول بَحْرُكُمْ هذا، ولكن كُلُّ قريةٍ عامرةٍ[٢].

وقال قتادةُ: المرادُ بالبرِّ أهل البوادي، وبالبحر أهل القرى[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: المرادُ بالبحر مدن البحرِ على الأنهار وكل ذي ماءٍ فهو بحرٌ[٤].

والثاني: أنَّ البحرَ الماء المعروف.

قال مجاهدٌ: ظهورُ الفسادِ في البرِّ: قتل ابن آدم أخاه، وفي البحرِ: ملك جائرٌ يأخذ كلَّ سفينةٍ غصبًا[٥].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ٤٩٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٠) من طريق معمر، به.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٨).

(٥) هو في تفسير مجاهد بن سليمان (ص:٥٣٩)، ورواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٥١١)، وابن أبي حاتم في تفسيرهما من طريق ليث بن أبي سليم، به.

وقيل لعطيةَ: أي فسادٌ في البحر؟ فقال: إذا قلَّ المطرُ قلَّ الغوصُ[(١)].

قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بما عملوا من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم﴾.

وقرأ أبو عبدُ الرَّحمن السُّلميُّ، وعكرمةُ، وقتادةُ، وابنُ محيصن، وروحٌ عن يعقوبَ، وقنبل عن ابن كثيرٍ: «لِنُذِيقَهُمْ» بالنُّونِ[(٢)].

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ أي: جزاء بعضِ أعمالهم، فالقحطُ جزاءٌ، ونقصانُ البركةِ جزاءٌ، ووقوعُ المعصيةِ منهم جزاءٌ معجَّلٌ لمعاصيهم أيضًا.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ في المشارِ إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم الذين أذيقوا الجزاء.

ثُمَّ في معنى رجوعهم قولان:

أحدهما: يرجعون عن المعاصي، قاله أبو العالية.

والثاني: يرجعون إلى الحقِّ، قاله إبراهيمُ.

والثاني: أنَّهم الذين يأتون بعدهم، فالمعنى: لعلَّه يرجع مَنْ بَعْدهم، قاله الحسنُ.

قوله: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافروا ﴿فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: الذين كانوا قبلكم، والمعنى: انظروا إلى مساكنهم وآثارهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ المعنى: فأهلكوا بشركِهم.

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور(٦/ ٤٩٦) عن عطية السعدي.

(٢) السبعة (ص:٥٠٧).

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ أي: أقم قصدكَ لاتِّباع الدِّين القيِّم، وهو الإسلامُ المستقيمُ.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ يعني: يوم القيامة لا يقدر أحدٌ على ردِّ ذلك اليوم، لأنَّ الله تعالى قد قضى كونه ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ أي: يتفرَّقون إلى الجنَّة والنَّارِ.

قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الروم: ٤٤- ٤٥].

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾ أي: جزاء كفرِهِ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ [٦٣٢/ ب] يَمْهَدُونَ ﴾ أي: يوطئون.

وقال مجاهدٌ: يسوون المضاجع في القبورِ[١].

قال أبو عُبيدةَ: «مَنْ» يقعُ على الواحدِ، والاثنين، والجمعِ من المذكَّرِ والمؤنَّث، ومجازها هاهنا مجازُ الجميع، و«يمهد» بمعنى يكتسب ويعمل ويستعد[٢].

---

(١) هو في تفسير مجاهد(ص:٥٤٠)، ورواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٥١٦)، وابن أبي حاتم (١٧٥١١) في تفسيرهما عن ابن أبي نجيح، به.

(٢) مجاز القرآن (٣/ ١٢٤).

قولـه تعـالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الـروم: ٤٦-٤٧].

قولــه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ تبـشر بالمطـرِ ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾، وهـو الغيـثُ والخصـبُ ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ ﴾ في البحـر بتلـك الرِّيـاحِ بأمـرِهِ ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ ﴾ بالتِّجـارةِ في البحـرِ ﴿مِن فَضْلِهِۦ ﴾ وهـو الـرِّزقُ، وكلُّ هـذا بالرِّيـاحِ.

قولـه: ﴿ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي: بالـدلالات عـلى صدقِهـم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ ﴾ أي: عذَّبنـا الذيـن كذَّبوهـم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا ﴾ أي: واجبًـا هـو أوجبـه عـلى نفسِـهِ ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إنجاؤهم مع الرُّسـلِ من عـذابِ المكذِّبين.

قولــه تعــالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا

يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[الروم: ٤٨-٥٧].

قوله: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رجاء، والنَّخعيُّ، وطلحةُ بنُ مصرِّفٍ، والأعمشُ: «يُرْسِلُ الرِّيحَ» بغير ألفٍ[1].

قوله: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تزعجه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾ الله ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ إنْ شاء بسطَهُ مسيرةَ يومٍ، أو يومين، أو أقلَّ أو أكثرَ ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ أي: قطعًا متفرِّقة، والأكثرونَ فتحوا سين ﴿كِسَفًا﴾.

وقرأ أبو رزين، وقتادةُ، وابنُ عامر، وأبو جعفرٍ، وابنُ أبي عبلةَ: بتسكينها[2].

قال أبو عليٍّ: يمكن أنْ يكون مثل: سِدْرَة وسِدْر، فيكون معنى القراءتين واحدًا[3].

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾.

---

(١) الكامل في القراءات (ص:٤٩٤).

(٢) السبعة (ص:٥٠٨)، والحجة (٥/ ٤٤٨)، والتيسير (ص: ١٧٥).

(٣) الحجة (٥/ ٤٤٨).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وأبو العاليةِ: «مِن خَلَلِهِ»[(١)]، وقد شرحناه في النُّور[(٢)].

﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ أي: بالوَدْقِ، ومعنى يستبشرون: يفرحون بالمطرِ ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم﴾ المطرُ ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾.

وفي هذا التَّكرير ثلاثةُ أقوالٍ:

إحداها: أنَّه للتأكيدِ كقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾ [الحجر٣٠]، قاله الأخفشُ في آخرين[(٣)].

والثاني: أَنَّ «قبل» الأولى للتَّنزيل، والثانية للمطرِ، قاله قطرب.

قال ابنُ الأنباريِّ: والمعنى: من قبلِ نزولِ المطرِ، من قبلِ المطرِ، وهذا مثل ما يقول القائل: آتيك من قبلِ أَنْ تتكلَّم من قبل أَنْ تطمئن في مجلسِكَ، فلا تنكر الإعادةُ لاختلافِ الشيئين.

والثالث: أنَّ الهاءَ في قوله: ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ ترجعُ إلى الهدى وإن لم يتقدَّم له ذكرٌ، فيكون المعنى: كانوا يقنطون من قبلِ نزولِ المطرِ، من قبل الهدى، فلمَّا جاء الهدى والإسلام زال القُنوط، ذكره ابنُ الأنباريِّ عن أبي عمرَ الدوري، وأبي جعفرِ بن قادم.

---

(١) في المحتسب (٢/ ١٦٤) عن سيدنا علي، وابن عباس، والضحاك، والحسن، بخلاف، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٥٧) ابن مسعود، ومعاذ العنبري، عن أبي عمرو، والزعفراني.

(٢) انظر: تفسير سورة النور الآية رقم (٤٣).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٧٦).

والمبلسون: الآيسون، وقد سبق الكلامُ في هذا[١].

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ، عن عاصمٍ: «إِلَى أَثَرِ».

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ ﴾ على الجمعِ[٢].

والمرادُ بالرَّحمةِ هاهنا المطرُ، وأثرها النبت، والمعنى: انظر إلى حسنِ تأثيرِه في الأرضِ ﴿ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: كيف يجعلُها تنبتُ بعد أَنْ لم يكن فيها نبتٌ.

وقرأ عثمانُ بن عفَّان، وأبو رجاء، وأبو عمران الجَوني، وسليمانُ التَّيمي: «كَيْفَ تُحْيِ» بتاءٍ مرفوعةٍ مكسورةَ الياء ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ بفتحِ الضَّادِ[٣].

قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا ﴾ أي: ريحًا باردةً مضرَّة، والرِّيحُ إذا أتت على لفظِ الواحدِ أُريدَ بها العذاب، ولهذا كان رسولُ الله ﷺ يقولُ عند [٦٣٣/أ] هبوبِ الرِّيحِ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا**»[٤].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٤٤).

(٢) السبعة (ص:٥٠٨).

(٣) في التحصيل (٥/ ٢٢٥) عن الجحدري، وأبي حيوة، وغيرهما.

(٤) رواه الشافعي في مسنده (٥٠٢)، وأبو يعلى في مسنده (٢٤٥٦)، والطبراني في الكبير (١١٥٣٣)، وفي الدعاء (٩٧٧)، والبيهقي في الدعوات (٣٦٩)، وفي إسناد الشافعي: إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، وهو متروك، وفي إسناد الباقين؛ الحسين بن قيس الرحبي، وهو ضعيفٌ أيضًا. انظر: الكامل (٣/ ٢٢٣).



﴿ فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا ﴾ يعني النبت، والهاءُ عائدةٌ إلى الأثرِ.

قال الزَّجَّاجُ: [المعنى][1]: فرأوا النَّبت قد اصفرَّ وجفَّ؛ ﴿ لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴾ ومعناه لَيَظَلُّنَّ لأنَّ معنى الكلام الشَّرط والجزاء، فهم يستبشرونَ بالغيثِ، ويكفرونَ إذا انقطع عنهم الغيثُ وجفَّ النبتُ[2].

وقال غيرُه: المرادُ برحمةِ الله: المطرُ، وظلُّوا بمعنى: صاروا ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي: من بعد اصفرارِ النَّبتِ، يجحدون ما سلفَ من النَّعمةِ.

وما بعد هذا مفسَّرٌ في سورةِ النَّملِ[3] إلى قولِهِ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ وقد ذكرنا الكلامَ فيه في الأنفالِ[4].

قال المفسِّرونَ: المعنى خلقكم من ماءٍ ذي ضعفٍ، وهو المنيُّ، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ ﴾ يعني ضعف الطفولةِ قوَّةَ الشَّبابِ، ثُمَّ جعل من بعد قوَّة الشَّبابِ ضعف الكبر وشيبة ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ أي من ضعف وقوَّة وشباب وشيبة، وهو العليمُ بتدبير خلقِهِ القدير على ما يشاء.

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: السَّاعةُ في القرآنِ على معنى: السَّاعة التي تقومُ فيها القيامةُ، فلذلك لم تعرف أي ساعة هي[5].

---

(١) سقطت من الأصل، وهي من (س)، ومعاني القرآن وإعرابه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٩).

(٣) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (٨٠، ٨١).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٦٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٩١).

قوله: ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: يحلفُ المشركون ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في القبورِ ﴿غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾

قال ابنُ قُتيبةَ: يقال: أُفِكَ الرَّجلُ؛ إذا عُدِل به عن الصِّدقِ، فالمعنى: أنَّهم قد كذبوا في هذا الوقتِ، كما كذبوا في الدُّنيا[1].

وقال غيرُه: أرادَ الله تعالى أن يفضحَهم يومَ القيامةِ بين المؤمنين، فحلفوا على شيءٍ يبين للمؤمنين كذبهم فيه، ويستدلُّون على كذبِهم في الدُّنيا، ثُمَّ ذكر إنكار المؤمنين عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ وفيهم قولان:

أحدهما: أنَّهم الملائكة.

والثاني: المؤمنون.

قوله: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ فيه تقديمًا وتأخيرًا تقديره: وقال الذين أُوتوا العلمَ بكتاب الله والإيمان بالله، قاله ابنُ جريجٍ في جماعةٍ من المفسِّرينَ.

والثاني: أنَّه على نظمِهِ.

(١) غريب القرآن (ص:٣٤٣).

ثُمَّ في معناه قولان:

أحدهما: لقد لبثتم في علمِ الله، قاله الفرَّاءُ[١].

والثاني: لقد لبثتم في خبر الكتابِ، قاله ابنُ قُتيبةَ[٢].

قوله: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: اليوم الذي كنتم تنكرونه ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ في الدُّنيا أنَّه يكون.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر: «لَا تَنفَعُ» بالتَّاءِ.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: بالياءِ؛ لأنَّ التأنيثَ غير حقيقي[٣].

قال ابنُ عبَّاسٍ: لا يقبل من الذين أشركوا عذرٌ ولا توبةٌ[٤].

قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يطلبُ منهم العتبى والرُّجوع في الآخرةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٥٨-٦٠].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٣٢٦).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٤٣).

(٣) السبعة (ص:٥٠٩).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٩).

قولـه: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ أي: كعصـا موسـى ويـده ﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: مـا أنتـم يـا محمَّـد وأصحابـك ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أي: أصحـاب أباطيـل، وهـذا بيـانٌ لعنادهـم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كـما طبـع عـلى قلوبهـم حتَّـى لا يصدقـون الآيـات ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيـد الله، فالسـببُ في امتنـاعِ [٦٣٣/ ب] الكفَّـار مـن التَّوحيـدِ الطَّبـعُ عـلى قلوبِهـم.

قوله: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصركَ وإظهاركَ على عدوِّك ﴿حَقٌّ﴾.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾.

وقرأ يعقوبُ إلَّا روحًا وزيدًا: «يَسْتَخِفَّنْكَ» بسكونِ النُّون[1].

قـال الزَّجَّـاجُ: لا يسـتفزنَّك عـن دينـكَ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: هـم ضـلَّال شـاكون[2].

وقال غيرُه: لا يوقنون بالبعثِ والجزاءِ.

وزعم بعضُ المفسِّرين أنَّ هذه الآية منسوخةٌ.

---

(١) في المحـرر (٤/ ٣٤٤) عـن ابـن أبي إسـحاق، ويعقـوب، وزاد في البحـر المحيـط (٨/ ٤٠٤) ابـن أبي عبلـة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٩٢).

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة المؤمنون	



رقم الآية	الصفحة
سورة النور	

رقم الآية	الصفحة
سورة الفرقان	



رقم الآية	الصفحة
سورة الشعراء	

رقم الآية	الصفحة
سورة النمل	

رقم الآية	الصفحة
سورة العنكبوت	